



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية  
عليه السلام

WWW. **Ghaemiyeh** .com  
WWW. **Ghaemiyeh** .org  
WWW. **Ghaemiyeh** .net  
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمّد أبو الفضل البراء عميم

( ٢ )

دار النهضة العربية  
بيبي الباني الجليلي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٩	شرح نهج البلاغه المجلد ١٠
٩	اشاره
١١	اشاره
١٣	تتمه باب الخطب و الأوامر
١٣	اشاره
١٣	١٧٥ و من كلام له ع فى معنى طلحه بن عبىء الله
١٣	اشاره
١٥	ذكر ما كان من أمر طلحه مع عثمان
٢٠	١٧٦ من خطبه له ع
٢٠	اشاره
٢٢	فصل فى ذكر بعض أقوال الغلاه فى على
٢٣	جمله من إخبار على بالأمر الغيبى
٢٦	١٧٧ و من خطبه له ع
٢٦	اشاره
٣٠	فصل فى القرآن و ذكر الآثار التى وردت بفضله
٤٨	فصل فى الآثار الواردة فى شديد عذاب جهنم
٥١	فصل فى العزله و الاجتماع و ما قيل فىهما
٦٠	ذكر فوائد العزله
٧٦	١٧٨ و من كلام له ع فى معنى الحكمن
٧٦	اشاره
٧٧	كتاب معاويه إلى عمرو بن العاص و هو على مصر
٧٩	١٧٩ و من خطبه له ع
٨٥	١٨٠ و من كلام له ع

- ٨٨ ..... ١٨١ و من كلام له ع فى ذم أصحابه
- ٩٥ ..... ١٨٢ و من كلام له ع .....
- ٩٧ ..... ١٨٣ و من خطبه له ع - - - - -
- ٩٧ ..... اشاره .....
- ٩٧ ..... نوف البكالى .....
- ٩٨ ..... نسب جعده بن هبيرة .....
- ١١٤ ..... نسب العمالقه .....
- ١١٥ ..... نسب عاد و ثمود .....
- ١١٥ ..... نسب الفراعنه .....
- ١١٥ ..... نسب أصحاب الرس .....
- ١٢٣ ..... عمار بن ياسر و نسبه و نبذ من أخباره .....
- ١٣٠ ..... ذكر أبى الهيثم بن التيهان و طرف من أخباره .....
- ١٣١ ..... ذكر ذى الشهادتين خزيمه بن ثابت و طرف من أخباره .....
- ١٣٤ ..... ذكر سعد بن عباده و نسبه .....
- ١٣٥ ..... ذكر أبى أيوب الأنصارى و نسبه .....
- ١٣٤ ..... ١٨٤ من خطبه له ع .....
- ١٣٤ ..... اشاره .....
- ١٤٤ ..... نبذ و أقاويل فى التقوى .....
- ١٤٨ ..... طرف و أخبار .....
- ١٤٩ ..... خطبه لأبى الشخاء العسقلانى .....
- ١٥١ ..... رأى للمؤلف فى كتاب نهج البلاغه .....
- ١٥٣ ..... ١٨٥ و من كلام له ع قاله للبرج بن مسهر الطائى .....
- ١٥٥ ..... ١٨٦ و من خطبه له ع .....
- ١٥٥ ..... اشاره .....
- ١٥٩ ..... فصل فى فضل الصمت و الاقتصاد فى المنطق .....
- ١٦٣ ..... ذكر الآثار الوارده فى أفات اللسان .....

- ١٧٤ ----- ذكر الخوف و ما ورد فيه من الآثار
- ١٩٣ ----- ذكر بعض أحوال العارفين
- ١٨٧ و من خطبه له ع يصف فيها المنافقين ----- ١٩٥
- ١٨٨ و من خطبه له ع ----- ٢٠٢
- ١٨٩ و من خطبه له ع ----- ٢٠٨
- ١٩٠ و من خطبه له ع ----- ٢١١
- اشاره ----- ٢١١
- ذكر خبر موت الرسول ع ----- ٢١٥
- ١٩١ و من خطبه له ع ----- ٢٢٠
- اشاره ----- ٢٢٠
- اختلاف الأقوال في عمر الدنيا ----- ٢٢٨
- ١٩٢ و من كلام له ع كان يوصى به أصحابه ----- ٢٣٥
- اشاره ----- ٢٣٥
- فصل في ذكر الآثار الواردة في الصلاة و فضلها ----- ٢٣٨
- ذكر الآثار الواردة في فضل الزكاه و التصدق ----- ٢٤٣
- ١٩٣ و من كلام له ع ----- ٢٤٧
- اشاره ----- ٢٤٧
- سياسه على و جريها على سياسه الرسول ع ----- ٢٤٨
- كلام أبي جعفر الحسنی في الأسباب التي أوجبت محبه الناس لعلى ----- ٢٥٩
- سياسه على و معاويه و إيراد كلام للجاحظ في ذلك ----- ٢٦٣
- ذكر أقوال من طعن في سياسه على و الرد عليها ----- ٢٦٨
- ١٩٤ و من كلام له ع ----- ٢٩٧
- اشاره ----- ٢٩٧
- قصه صالح و ثمود ----- ٢٩٨
- ١٩٥ و من كلام له ع ----- ٣٠١
- اشاره ----- ٣٠١

٣٠٨ ----- ما رواه أبو حيان في حديث السقيفه

٣٢٧ ----- فهرس الخطب

٣٢٩ ----- فهرس الموضوعات

٣٧٥ ----- تعريف مركز



شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ

گرداورنده: شریف الرضی، محمد بن حسین

نویسنده: علی بن ابی طالب (علیه السلام)، امام اول

شماره بازیابی: ۷۶۹۲-۵

پدیدآور: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادی: نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پدیدآور: شرح نهج البلاغه [نسخه خطی] ابن ابی الحدید

وضعیت کتابت: محمد طاهر ابن شیخ حسن علی ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاہری: ۳۴۵ گ [عکس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازہ سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ رادہ گذاری؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابی الحدید علی نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفیق التتميم.

باب المختار من كتب امير المؤمنين علی علیه السلم و رسائله الی ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التي بنی هذا الشرح علی قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله علی

زیادات تخلو عنها اکثر النسخ... و یکف عنی عادیه الظالمین انه سمیع مجیب و حسبنا الله وحده و صلواته علی سیدنا محمد

النبی و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فی ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدی الاول سنه اربع و ثمانین و الف کتبه الفقیر الحقیق... ابن شیخ

حسن علی محمد طاهر غفرالله تعالی له و لوالديه تمت.

یادداشت کلی: زبان: عربی

تاریخ تالیف: اول رجب ۶۴۴ - صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوخته و عناوین نانوخته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص : ۱

**اشاره**



إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

الحمد لله الواحد العدل (٢)

١٧٥ و من كلام له ع في معنى طلحه بن عبيد الله

إشاره

قَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهْدَدُ بِالْحَرْبِ وَ لَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَ أَنَا عَلَى مَا وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصِيرِ وَ اللَّهُ مَا اسْتَتَعَجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَ بِبَدْمِهِ لِأَنَّهُ مَطْنَتُهُ وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يُعَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبَسَ (٣) الْأَمْرُ وَ يَقَعَ الشُّكُّ.

وَ وَاللَّهِ مَا صَيَّعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانٍ ظَالِمًا كَمَا كَانَ يَزْعُمُ لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يُؤَازِرَ قَاتِلِيهِ وَ أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ.

وَ لَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَهَنِّهِينَ عَنْهُ وَ الْمُعِيدِينَ فِيهِ وَ لَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصِيْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَعْتَرِزَهُ وَ يَزُكِّدَ جَانِبًا وَ يَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرِفْ بَابَهُ وَ لَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

ص: ٣

١-١-١) ساقط من ب.

١-١-٢) ساقط من ب.

كان هاهنا تامّه و الواو واو الحال أى خلقت و وجدت و أنا بهذه الصفه كما تقول خلقنى الله و أنا شجاع.

و يجوز أن تكون الواو زائده و تكون كان ناقصه و خبرها ما أهدد كما فى المثل لقد كنت و ما أخشى بالذئب (١).

فإن قلت إذا كانت ناقصه لزم أن تكون الآن بخلاف ما مضى فيكون الآن يهدد و يرهب.

قلت لا- يلزم ذلك لأن كان الناقصه للماضى من حيث هو ماض و ليس يشترط فى ذلك أن يكون منقطعا بل قد يكون دائما كقوله تعالى وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢).

ثم ذكر ع أنه على ما وعده ربّه من النصر و أنه واثق بالظفر و الغلبه الآن كما كانت عادته فيما سبق .

ثم شرح حال طلحه و قال إنه تجرد (٣) للطلب بدم عثمان مغالطه للناس و إيهاما لهم أنه برىء من دمه فيلبس الأمر و يقع الشك.

و قد كان طلحه أجهد نفسه فى أمر عثمان و الإجلاب (٤) عليه و الحصر له و الإغراء به و منته نفسه الخلافه بل تلبس بها و تسلّم بيوت الأموال و أخذ مفاتيحها و قاتل الناس و أحدقوا به و لم يبق إلا أن يصفق (٥) بالخلافه على يده

ص: ٤

---

١- ١) بقيه المثل: «فاليوم قيل الذئب الذئب»، و أول من قاله قباث بن أشيم الكنائى، و انظر مجمع الأمثال ٢: ١٨٠.

٢- ٢) سورة النساء ١٧.

٣- ٣) يقال: تجرد للأمر؛ إذا جد فيه و تفرغ له.

٤- ٤) أجلب عليه، أى حاول أن يجمع الناس له من كل مكان.

٥- ٥) صفق على يديه بالبيعه صفقاً و صفقه، أى ضرب يده على يده.

١- ذکر أبو جعفر محمد بن جریر الطبری فی کتاب التاریخ قال حدثنی عمر بن شبة عن علی بن محمد عن عبد ربّه عن نافع عن إسماعیل بن أبی خالد (١) عن حکیم (٢) بن جابر قال قال علی ع لطلحه و عثمان محصور أنشدک الله إلا رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتی تُعطی بنو أمیه الحق من أنفسها .

و روى الطبری أن عثمان كان له على طلحه خمسون ألفاً فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحه قد تهيأ مالك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونه لك على مروءتك (٣) .

قال فكان عثمان يقول وهو محصور جزاء سنمار .

و روى الطبری أيضاً أن طلحه باع أرضاً له من عثمان بسبعمائيه ألف فحملها إليه فقال طلحه إن رجلاً يبيت (٤) و هذه عنده و في بيته لا يدري ما يطرفه من أمر الله لغريز بالله فبات و رؤيه تختلف بها في سلكك المدينه يقسمها حتى أصبح و ما عنده منها درهم واحد .

قال الطبری روى ذلك الحسن البصري و كان إذا روى ذلك يقول ثم جاء إلينا يطلب الدينار و الدرهم أو قال و الصفرَاء و البيضاء (٥) .

١- (١) في الأصول: «أبو طالب»، تحريف و صوابه من تاريخ الطبری.

٢- (٢) حکیم بمفتوحه و كسر الكاف؛ كذا ضبط في التقريب.

٣- (٣) تاريخ الطبری ٤٠٤:٤.

٤- (٤) في الطبری: «تسقى».

٥- (٥) تاريخ الطبری ٤٠٥:٤.

وَرَوَى الطَّبْرِيُّ أَيْضًا قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا حَجَّجْتُ بِالنَّاسِ نِيَابَهُ عَنْ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ مَرَزْتُ بِعَائِشَةَ بِالصَّلْصَلِ (١) فَقَالَتْ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَنْشُدْكَ اللَّهَ فَإِنَّكَ قَدْ أُعْطِيتَ لِسَانًا وَعَقْلًا إِنْ تُخَذِلِ النَّاسَ عَنْ طَلْحَةَ فَقَدْ بَانَتْ لَهُمْ بَصَائِرُهُمْ فِي عُثْمَانَ وَ أَنْهَجَتْ (٢) وَ رَفَعَتْ لَهُمُ الْمَنَارَ وَ تَحَلَّبُوا مِنَ الْبُلْدَانِ لِأَمْرِ قَدْحَمٍ وَ إِنْ طَلْحَةَ فِيمَا بَلَغَنِي قَدْ اتَّخَذَ رِجَالًا عَلَى بِيُوتِ الْأَمْوَالِ وَ أَخَذَ مَفَاتِيحَ الْخَزَائِنِ وَ أَظُنُّهُ يَسِيرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِسِيرِهِ ابْنُ عَمِّهِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ يَا أُمَّهُ لَوْ حَدَّثَ بِالرَّجُلِ حَدَّثَ مَا فَرَّعَ النَّاسُ إِلَّا إِلَى صَاحِبِنَا فَقَالَتْ إِيهَا عَنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ مُكَابَرَتَكَ وَ لَا مُجَادَلَتَكَ (٣) .

١- وَ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ فِي كِتَابِ مَقْتَلِ عُثْمَانَ أَنَّ طَلْحَةَ مَنَّعَ مِنْ دَفْنِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ أَنَّ عَلِيًّا عَ لَمْ يُبَايِعِ النَّاسَ إِلَّا بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ وَ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَحَدَ بَنِي أَسِيدِ بْنِ عَبِيدِ الْعُزَّى وَ حُجَيْرِ بْنِ مُطْعَمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نُوفَلِ اسْتَنْجَدَا بِعَلِيِّ عَ عَلَى دَفْنِهِ فَأَقْعَدَ طَلْحَهُ لَهُمْ فِي الطَّرِيقِ نَاسًا بِالْحِجَارَةِ فَخَرَجَ بِهِ نَفَرٌ يَسِيرٌ مِنْ أَهْلِهِ وَ هُمْ يُرِيدُونَ بِهِ حَائِطًا بِالْمَدِينَةِ يُعْرِفُ بِحَشِّ كَوْكَبِ (٤) كَانَتْ الْيَهُودُ تَدْفِنُ فِيهِ مَوْتَاهُمْ فَلَمَّا صَارَ هُنَاكَ رُجِمَ سِرِيرُهُ وَ هُمَا بِطَرْحِهِ فَأَرْسَلَ عَلِيُّ عَ إِلَى النَّاسِ يَعْزِمُ عَلَيْهِمْ لِيَكْفُوا عَنْهُ فَكَفُوا فَانْطَلَقُوا بِهِ حَتَّى دَفَنُوهُ فِي حَشِّ كَوْكَبِ .

١ - ١) صلصل: موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها؛ نزل به صلى الله عليه و سلم يوم خرج من المدينة إلى مكة عام الفتح؛ قال عبد الله بن مصعب الزبيري: أشرف على ظهر القديمه هل ترى برقاً سرى في عارض متهلل نصح العقيق فبطن طيبه موهنا ثم استمر يوم قصد الصلصل.

٢ - ٢) أنهج الطريق: وضح.

٣ - ٣) تاريخ الطبري ٤٠٧: ٤.

٤ - ٤) حش كوكب: موضع عند بقيع الغرقد، ذكره ياقوت، وقال: اشتراه عثمان بن عفان، و زاده في البقيع، و لما قتل ألقى فيه، ثم دفن في جنبه.



وَرَوَى الطَّبْرِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكَرْ طَلْحَةَ بَعِيْنِهِ وَزَادَ فِيْهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى النَّاسِ أَمَرَ بِمَذْلِكِ الْحَائِطِ فَهَيَّدَهُمْ حَتَّى أَفْضَى بِهِ إِلَى الْبَقِيْعِ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَدْفِنُوا مَوْتَاهُمْ حَوْلَ قَبْرِهِ حَتَّى اتَّصَلَ [ذَلِكَ]

(١) بِمَقَابِرِ الْمُسْلِمِيْنَ .

وَرَوَى الَمَدَائِنِيُّ فِي هَذَا الْكِتَابِ قَالِ دُفِنَ عَثْمَانُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعَتَمَةِ وَ لَمْ يَشْهَدْ جَنَازَتَهُ إِلَّا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَ ابْنُهُ عَثْمَانُ وَ ثَلَاثَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ فَرَفَعَتْ ابْنَتُهُ صَوْتَهَا تَنْدُبُهُ وَ قَدْ جَعَلَ طَلْحَةُ نَاسًا هُنَاكَ أَكْثَرَهُمْ كَمِيْنًا فَأَخَذَتْهُمْ الْحِجَارَةُ وَ صَاحُوا نَعْتَلُ (٢) نَعْتَلُ فَقَالُوا الْحَائِطُ الْحَائِطُ فَدُفِنَ فِي حَائِطِ هُنَاكَ

٢١٠٣

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ قَالِ لَمَّا قُتِلَ عَثْمَانُ تَكَلَّمُوا فِي دَفْنِهِ فَقَالَ طَلْحَةُ يُدْفَنُ بِدَيْرِ سَلْعٍ يَعْنِي مَقَابِرَ الْيَهُودِ . وَ ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ هَذَا إِلَّا أَنَّهُ رَوَى عَنْ طَلْحَةَ فَقَالَ قَالِ رَجُلٌ يُدْفَنُ بِدَيْرِ سَلْعٍ فَقَالَ حَكِيْمُ بْنُ حِرَامٍ وَاللَّهِ لَا يَكُونُ هَذَا أَبَدًا وَ أَحَدٌ مِنْ وُلْدِ قُصَيِّ [حَتَّى]

(٣) حَتَّى كَادَ الشَّرُّ يَلْتَحِمُ فَقَالَ ابْنُ عِدِيْسٍ الْبَلَوِيُّ أَيُّهَا الشَّيْخُ وَ مَا يَضُرُّكَ أَيْنَ دُفِنَ قَالَ لَا يُدْفَنُ إِلَّا بِبَقِيْعِ الْعُرْقَدِ (٤) حَيْثُ دُفِنَ سَلْفُهُ وَ رَهْطُهُ فَخَرَجَ بِهِ حَكِيْمُ بْنُ حِرَامٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فَمَنَعَهُمُ النَّاسُ عَنِ الْبَقِيْعِ فَمَدَفَنُوهُ بِحَشِّ كَوْكَبِ (٥) .

ص: ٧

١- ١) من تاريخ الطبري.

٢- ٢) نعتل: رجل من أهل مصر؛ كان طويل اللحية؛ و كان شاتمو عثمان رضى الله عنه يسمونه بذلك.اللسان.

٣- ١) من تاريخ الطبري.

٤- ٤) تاريخ الطبري ٤١٧، ٤١٢: ٤.

-٥

١- وَ رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا حُصِرَ كَانَ عَلِيٌّ عَ بَخِيْبِرَ فِي أُمُوَالِهِ فَلَمَّا قَدِمَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ إِنَّ لِي عَلَيْكَ حُقُوقًا حَقُّ الْإِسْلَامِ وَ حَقُّ النَّسَبِ وَ حَقُّ مَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْعَهْدِ وَ الْمِيثَاقِ وَ وَاللَّهِ إِنْ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا كُلِّهِ شَيْءٌ وَ كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ لَكَانَ عَارًا عَلَى بَنِي عَبْدِ مَنَاظٍ أَنْ يَبْتَزَّهُمْ أَخُو تَيْمٍ مُلْكُهُمْ يَعْنِي طَلْحَةَ فَتَقَالَ لَهُ عَ سَيَأْتِيكَ الْخَبْرُ ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ جَالِسًا فَدَعَاهُ فَاعْتَمَدَ عَلَى يَدِهِ وَ خَرَجَ يَمْشِي إِلَى طَلْحَةَ فَدَخَلَ دَارَهُ وَ هِيَ دِحَاسٌ (١) مِنْ النَّاسِ فَقَامَ عَ فَقَالَ يَا طَلْحَةُ مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ أْبَعِدَ مَا مَسَّ الْحِزَامَ الطُّبَيْيْنَ فَانْصِرَفَ عَلِيٌّ عَ وَ لَمْ يُحِزْ إِلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَالِ فَنَادَى افْتَحُوا هَذَا الْبَابَ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى فَتْحِهِ فَقَالَ اكْسِرُوهُ فَكَسِرُوهُ فَقَالَ أَخْرَجُوا هَذَا الْمَالَ فَجَعَلُوا يُخْرِجُونَهُ وَ هُوَ يُعْطِي النَّاسَ وَ بَلَغَ الَّذِينَ فِي دَارِ طَلْحَةَ مَا صَبَحَ عَلِيٌّ عَ فَجَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ إِلَيْهِ حَتَّى بَقِيَ طَلْحَةُ وَ خِيْدَهُ وَ بَلَغَ الْخَبْرَ عُثْمَانَ فَسِرَّ بِذَلِكَ ثُمَّ أَقْبَلَ طَلْحَةَ يَمْشِي عَامِدًا إِلَى دَارِ عُثْمَانَ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ لَقَدْ رُمْتُ أَمْرًا حَالَ اللَّهُ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ فَقَالَ عُثْمَانُ إِنَّكَ وَ اللَّهُ مَا جِئْتَ تَائِبًا وَ لَكِنْ جِئْتَ مَغْلُوبًا وَ اللَّهُ حَسِيبُكَ يَا طَلْحَةُ

(٢)

ثم قسم ع حال طلحه فقال لا يخلو إما أن يكون معتقدا حل دم عثمان أو حرمة أو يكون شاكا في الأمرين فإن كان يعتقد حله لم يجز له أن ينقض البيعه لنصره إنسان حلال الدم و إن كان يعتقد حرمة فقد كان يجب عليه أن ينهه عنه الناس أى يكفهم.

ص: ٨

(١-١) دحاس من الناس؛ أى ممتلكه.

(٢-٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٣١.

و أن يعذر فيه بالتشديد أى يقصر و لم يفعل ذلك و إن كان شاكا فقد كان يجب عليه أن يعتزل الأمر و يركد جانبا و لم يعتزل و إنما صلى بنار الفتنة و أصلاها غيره.

فإن قلت يمكن أن يكون طلحه اعتقد إباحه دم عثمان أولا ثم تبدل ذلك الاعتقاد بعد قتله فاعتقد أن قتله حرام و أنه يجب أن يقتص من قاتليه.

قلت لو اعترف بذلك لم يقسم على ع هذا التقسيم و إنما قسمه لبقائه على اعتقاد واحد و هذا التقسيم مع فرض بقاءه على اعتقاد واحد صحيح لا مطعن فيه و كذا كان حال طلحه فإنه لم ينقل عنه أنه قال ندمت على ما فعلت بعثمان فإن قلت كيف قال أمير المؤمنين ع فما فعل واحده من الثلاث و قد فعل واحده منها لأنه وازر قاتليه حيث كان محصورا.

قلت مراده ع أنه إن كان عثمان ظالما وجب أن يؤزر قاتليه بعد قتله يحامى عنهم و يمنعهم ممن يروم دماءهم و معلوم أنه لم يفعل ذلك و إنما وازرهم و عثمان حى و ذلك غير داخل فى التقسيم

أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرِ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَ التَّارِكُونَ [و]

الْمَأْخُودُ (١) مِنْهُمْ مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ كَمَا أَنْتُمْ نَعَمَ أَرَاخَ بِهَا سَيَائِمٌ إِلَى مَرْعَى وَبِيٍّ وَ مَشْرَبٍ دَوِيٍّ وَ إِنَّمَا هِيَ كَالْمَغْلُوفِ لِلْمُدَى لَا تَعْرِفُ مَا ذَا يُرَادُ بِهَا إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا وَ شَبَعَهَا أَمْرَهَا وَ اللَّهُ لَوْ شِئَتْ أَنْ أُخْبَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَ مَوْلِجِهِ وَ جَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ وَ لَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فَيَبْرُسُوا إِلَيْهِ صَ الْأ- وَ إِنِّي مُفَضِّلٌ إِلَيْهِ الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَ اصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطَقَ إِلَّا صَادِقًا وَ لَقَدْ عَاهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلَّهُ وَ بِمَهْلِكِكَ مَنْ يَهْلِكُ وَ مَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَ مَيَّالٍ هَذَا الْمَأْمُورِ وَ مَا أَبْقَى شَيْئًا يُمَرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنِي وَ أَفْضَى بِهِ إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَ اللَّهُ مَا أَحْتَكُمُ عَلَى طَاعِهِ إِلَّا وَ أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَ لَا أَنهَأكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ إِلَّا وَ أَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا .

خاطب المكلفين كافة و قال إنهم غافلون عما يراد بهم و منهم و ليسوا بمغفول عنهم بل أعمالهم محفوظة مكتوبه.

ص: ١٠

(١- ١) ب: «المأخوذ»، من غير واو.

ثم قال و التاركون أى يتركون الواجبات.

ثم قابل ذلك بقوله و المأخوذ منهم لأن الأخذ فى مقابله الترك و معنى الأخذ منهم انتقاص أعمارهم و انتقاص قواهم و استلاب أحبابهم و أموالهم .

ثم شبههم بالنعم التى تتبع نعماً أخرى.

سأئمه أى راعيه و إنما قال ذلك لأنها إذا اتبعت أمثالها كان أبلغ فى ضرب المثل بجهلها من الإبل التى يسيما راعيها و المرعى الوبى ذو الوباء و المرض و المشرب الدوى ذو الداء و أصل الوبى اللين الوبىء المهموز و لكنه لينة يقال أرض وبيته على فعيله و وبيته على فعله و يجوز أوبات فهى موبته.

و الأصل فى الدوى دو بالتخفيف و لكنه شده للازدواج .

ثم ذكر أن هذه النعم الجاهله التى أوقعت أنفسها فى هذا المرتع و المشرب المذمومين كالغنم و غيرها من النعم المعلوفه.

للمدى

جمع مديه و هى السكين لا تعرف ما ذا يراد بها و تظن أن ذلك العلف إحسان إليها على الحقيقه.

و معنى قوله تحسب يومها دهرها أى تظن أن ذلك العلف و الإطعام كما هو حاصل لها ذلك اليوم يكون حاصلها أبداً.

و شعبها أمرها

مثل ذلك أى تظن أنه ليس أمرها و شأنها إلا أن يطعمها أربابها لتشبع و تحسن و تسمن ليس يريدون بها غير ذلك .

ثم خرج ع من هذا الفن إلى فن آخر فأقسم أنه لو شاء أن يخبر كل واحد منهم من أين خرج و كيفيه خروجه من منزله و أين يلج و كيفيه ولوجه و جميع شأنه من مطعمه و مشربه و ما عزم عليه من أفعاله و ما أكله و ما ادخره فى بيته و غير ذلك من شئونه و أحواله لفعل.

ص: ١١

و هذا كقول المسيح ع وَ أَتَّبِعُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ (١).

قال إلا أنى أخاف أن تكفروا فى برسول الله ص أى أخاف عليكم الغلو فى أمرى و أن تفضلونى على رسول الله ص بل أخاف عليكم أن تدعوا فى الإلهيه كما ادعت النصارى ذلك فى المسيح لما أخبرهم بالأمر الغائبه .

ثم قال ألا و إنى مفضيه إلى الخاصه أى مفض به و مودع إياه خواص أصحابى و ثقاتى الذين آمن منهم الغلو و أعلم أنهم لا يكفرون فى بالرسول ص لعلمهم أن ذلك من أعلام نبوته إذ يكون تابع من أتباعه و صاحب من أصحابه بلغ إلى هذه المنزله الجليله .

ثم أقسم قسما ثانيا أنه ما ينطق إلا صادقا و أن رسول الله ص عهد بذلك كله إليه و أخبره بمهلك من يهلك من الصحابه و غيرهم من الناس و بنجاه (٢) من ينجو و بمآل هذا الأمر يعنى ما يفضى إليه أمر الإسلام و أمر الدوله و الخلافه و أنه ما ترك شيئا يمر على رأسه ع إلا و أخبره به و أسره إليه

### فصل فى ذكر بعض أقوال الغلاه فى على

و اعلم أنه غير مستحيل أن تكون بعض الأنفس مختصه بخاصيه تدرك بها المغيبات و قد تقدم من الكلام فى ذلك ما فيه كفايه و لكن لا- يمكن أن تكون نفس تدرك كل المغيبات لأن القوه المتناهيه لا تحيط بأمر غير متناهيه و كل قوه فى نفس حادثه فهى متناهيه فوجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع لا على أن يريد به عموم العالميه

ص: ١٢

١-١) سوره آل عمران ٤٩.

٢-٢) ا: «بمنجاه».

بل بعلم أموراً محدوده من المغيبات مما اقتضت حكمه البارئ سبحانه أن يؤهله لعلمه و كذلك القول في رسول الله ص إنّه إنّما كان يعلم أموراً معدوده لا أموراً غير متناهيه و مع أنّه ع قد كتم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه برسول الله ص فقد كفر كثير منهم و ادعوا فيه النبوه و ادعوا فيه أنّه شريك الرسول في الرساله و ادعوا فيه أنّه هو كان الرسول و لكن الملك غلط فيه و ادعوا أنّه هو الذي بعث محمّدا ص إلى الناس و ادعوا فيه الحلول و ادعوا فيه الاتّحاد و لم يتركوا نوعاً من أنواع الضلاله فيه إلّا و قالوه و اعتقدوه و قال شاعرهم فيه من أبيات و من أهلك عاداً و

و قال بعض شعرائهم إنّما خالق الخلائق من زرع

### جملة من إخبار على بالأمور الغيبية

و قد ذكرنا فيما تقدم من إخباره ع عن الغيوب طرفاً صالحاً و من عجيب ما وقفت عليه من ذلك

٢١٠٥

قَوْلُهُ فِي الْخُطْبَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا الْمَلَاحِمُ وَ هُوَ يُشِيرُ إِلَى الْقَرَامِطَةِ

(١)

ص: ١٣

---

١-١) يرجع مذهب القرامطة إلى كبيرهم الحسن بن بهرام الجنابي أبو سعيد؛ كان دقاً من أهل جنابه بفارس، و نفى فيها، فأقام في البحرين تاجراً، و جعل يدعو العرب إلى نحلته، فعظم أمره؛ فحاربه الخليفة مظفر الحسن و صافاه المقتدر العباسي؛ و كان أصحابه يسمونه السيد. استولى على هجر و الأحساء و القطيف و سائر بلاد البحرين؛ و كان شجاعاً؛ داهيه، قتله خادم له صقلبي في الحمام بهجر، مات سنة ٣٠١. و انظر تاريخ ابن الأثير.

يَنْتَحِلُونَ لَنَا الْحُبَّ وَالْهَوَىٰ وَيُضْمِرُونَ لَنَا الْبُغْضَ وَالْقَلَىٰ وَآيَةُ ذَلِكَ قَتْلُهُمْ وَرَأَاتْنَا وَهَجَرْتُهُمْ أَحَدَانَا .

و صح ما أخبر به لأن القرامطة قتلت من آل أبي طالب ع خلقا كثيرا و أسماءهم المذكوره فى كتاب مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهاني .

و مر أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابى فى جيشه بالغرى (١) و بالحائر (٢) فلم يعرج على واحد منهما و لا دخل و لا وقف.

٢١٠٦

١- وَ فى هَذِهِ الْخُطْبَةِ قَالَ وَ هُوَ يُشِيرُ إِلَى السَّارِيَةِ الَّتِي كَانَ يَسْتَبْدُ إِلَيْهَا فى مَسْجِدِ الْكُوفَةِ كَأَنِّي بِالْحَجْرِ الْأَسْوَدِ مَنْصُوبًا هَاهُنَا وَيَحْتُمُّهُمْ إِنْ فَضِعَ يَلْتَهُ لَيْسَتْ فى نَفْسِهِ بَيْلٌ فى مَوْضِعِهِ وَ أَسِيهِ يَمُكُّ هَاهُنَا بُرْهَةً ثُمَّ هَاهُنَا بُرْهَةً وَ أَشَارَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَاوَاهُ وَ أُمَّ مَنَوَاهُ .

و وقع الأمر فى الحجر الأسود بموجب ما أخبر به ع.

و قد وقفت له على خطب مختلفه فيها ذكر الملاحم فوجدتها تشتمل على ما يجوز أن ينسب إليه و ما لا يجوز أن ينسب إليه و وجدت فى كثير منها اختلالا ظاهرا و هذه المواضع التى أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة بل من كلام له و جدته متفرقا فى كتب مختلفه و من ذلك

٢١٠٧

١,٣- أَنَّ تَمِيمَ بْنَ أَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ دُرَيْدِ التَّمِيمِيِّ اعْتَرَضَهُ وَ هُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَ يَقُولُ سَلُونِي قَبِيلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ فِتْنَةٍ تُضِلُّ مَائَةً أَوْ تَهْدِي مَائَةً إِلَّا تَبَّأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَ سَائِقِهَا وَ لَوْ شِئْتُ لَأَخْبَرْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَ مَدْخَلِهِ وَ جَمَعَ شَأْنَهُ فَقَالَ فَكَمْ فى رَأْسِي طَاقَةٌ شَعْرٍ فَقَالَ لَهُ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ ذَلِكَ وَ لَكِنْ أَيْنَ بُرْهَانُهُ لَوْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ وَ لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِقِيَامِكَ وَ مَقَالِكَ وَ قِيلَ لِي إِنَّ عَلَى كُلِّ

ص: ١٤

١- (١) الغرى، واحد الغريين؛ و هما بناءان كالصومعتين؛ كانا بظهر الكوفة؛ قرب قبر على عليه السلام (مراصد الاطلاع).

٢- (٢) الحائر، بعد الألف ياء مكسوره: موضع قبر الحسين عليه السلام. ذكره ياقوت.



شَعْرِهِ مِنْ شَعْرِ رَأْسِكَ مَلَكًا يَلْعَنُكَ وَ شَيْطَانًا يَسْتَفْرِئُكَ وَ آيَهُ ذَلِكَ أَنَّ فِي بَيْتِكَ سَخْلًا يَقْتُلُ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ يَحْضُرُ عَلِيَّ قَتْلِهِ

(١)

فَكَانَ الْأَمْرُ بِمُوجِبِ مَا أَخْبَرَ بِهِ ع كَانَ ابْنُهُ حُصَيْنٌ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ يَوْمِنِدِ طِفْلاً صَغِيراً يَرْضَعُ اللَّبَنَ ثُمَّ عَاشَ إِلَى أَنْ صَارَ عَلِيَّ شُرْطَهُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَ أَخْرَجَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ يَأْمُرُهُ بِمَنَاجِرِهِ الْحُسَيْنِيِّينَ ع وَ يَتَوَعَّدُهُ عَلِيَّ لِسَيِّئِهِ إِنَّ أَرْحِيأَ ذَلِكَ فَقُتِلَ ع صَبِيحَةَ الْيَوْمِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ الْحُصَيْنُ بِالرَّسَالَةِ فِي لَيْلَتِهِ

و من ذلك

٢١٠٨

١,٣- قَوْلُهُ ع لِلْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ يَوْمًا يَا بَرَاءُ أَيْقُتِلُ الْحُسَيْنُ وَ أَنْتَ حَيٌّ فَلَا تَنْصُرُهُ فَقَالَ الْبِرَاءُ لَا كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ ع كَانَ الْبِرَاءُ يَذْكُرُ ذَلِكَ وَ يَقُولُ أَعْظَمُ بِهَا حَسْرَةً إِذْ لَمْ أَشْهَدْهُ وَ أُقْتَلُ دُونَهُ

و سنذكر من هذا النمط فيما بعد إذا مررنا بما يقتضى ذكره ما يحضرنا إن شاء الله

ص: ١٥

(١ - ١) ب: «قتاله».

اِتَّفَعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ وَ اتَّعَظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ وَ اقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيلِ وَ [أَخَذَ]

(١) اِتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ وَ بَيَّنَّ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنْ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهِه مِنْهَا لِيَتَّبِعُوا هَذِهِ وَ تَجْتَنِبُوا هَذِهِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ يَقُولُ إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَ إِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَاهِ فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَ قَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً وَ إِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةِ فِي هَوَى وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ [لَا يُمْسِي وَ لَا يُصْبِحُ]

لَا يُصْبِحُ وَ لَا يُمْسِي إِلَّا وَ نَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا وَ مُسْتَرِيدًا لَهَا فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَ الْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ قُوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ وَ طَوَّوْهَا طَى الْمَنَازِلِ .

أعذر إليكم

أوضح عذره في عقابكم إذا خالفتم أوامره و الجليه اليقين و إنما أعذر إليهم بذلك لأنه مكنهم من العلم اليقيني بتوحيده و عدله و أوجب عليهم ذلك في

ص: ١٦

عقولهم فإذا تركوه ساغ في الحكمة تعذيبهم و عقوبتهم فكأنه قد أبان لهم عذره أن لو قالوا لم تعاقبنا.

و محابه من الأعمال هي الطاعات التي يحبها و حبه لها إرادته وقوعها من المكلفين و مكارهه من الأعمال القبائح التي يكرهها منهم و هذا الكلام حجه لأصحابنا على المجبره و الخبر الذي رواه ع مروى في كتب المحدثين و هو

٢١٠٩

قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُحِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَ حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ.

و من المحدثين من يرويه حفت فيهما و ليس منهم من يرويه حجت في النار و ذلك لأن لفظ الحجاب إنما يستعمل فيما يرام دخوله و ولوجه لمكان النفع فيه و يقال حجب زيد عن مأدبه الأمير و لا يقال حجب زيد عن الحبس .

ثم ذكر ع أنه لا طاعه إلا في أمر تكرهه النفس و لا معصيه إلا بمواقعه أمر تحبه النفس و هذا حق لأن الإنسان ما لم يكن متردد الدواعي لا يصح التكليف و إنما تتردد الدواعي إذا أمر بما فيه مشقه أو نهى عما فيه لذه و منفعه.

فإن قلت أليس قد أمر الإنسان بالنكاح و هو لذه قلت ما فيه من ضرر الإنفاق و معالجه أخلاق النساء يربى على اللذه الحاصله فيه (١) مرارا .

ثم قال ع رحم الله امرأ نزع عن شهوته أي أفلح.

و قمع هوى نفسه

أي قهره .

ثم قال فإن هذه النفس أبعد شيء منزعا أي مذهبا قال أبو ذؤيب و النفس راغبه إذا رغبتها و إذا ترد إلى قليل تقنع (٢) .

ص: ١٧

(١ - ١) د: «منه».

(٢ - ٢) ديوان الهذليين ١: ٣.

الْمَرْوِيُّ عَنْهُ عَ وَيُرْوَى أَيْضًا عَنْ غَيْرِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ النَّفُوسَ طُلِعَتْ (١) فَإِلَّا تَقْدَعُوهَا (٢) تَنْزِعَ بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ

(٣)

و قال الشاعر و ما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن أطمعت تاقت و إلا تسلت .

ثم قال ع نفس المؤمن ظنون عنده الظنون البئر (٤) التي لا يدرى أ فيها ماء أم لا فالمؤمن لا يصبح و لا يمسي إلا و هو على حذر من نفسه معتقدا فيها التقصير و التضجيع (٥) في الطاعة غير قاطع على صلاحها و سلامه عاقبتها .

و زاريا عليها عائبا زريت عليه عبت .

ثم أمرهم بالتأسي بمن كان قبلهم و هم الذين قوضوا من الدنيا خيامهم أى نقضوها و طووا أيام العمر كما يطوى المسافر منازل طريقه و اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذى لا يعش و الهادى الذى لا يضل و المحدث الذى لا يكذب و ما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزياده أو نقصان زياده فى هدى أو نقصان من عمى و اعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقه و لا لأحد قبل القرآن من

ص: ١٨

١-١) الطلعه:الكثيره التطلع.

٢-٢) القدع:المنع و الكف.

٣-٣) الخبر فى الفائق ١:٢٤٦ منسوب إلى الحسن البصرى بهذه الروايه:«حادثوا هذه القلوب بذكر الله؛فإنها سريعه الدثور،و اقدعوا هذه الأنفس فإنها طلعه».و انظر نهايه ابن الأثير ٣: ٢٣٤،٤٢.

٤-٤) فى اللسان عن المحكم:«بئر ظنون:قليله الماء لا يوثق بمائها».

٥-٥) التضجيع فى الأمر:التقصير فيه.

غَنِي فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَانِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنَّفَاقُ وَالْغِي وَالضَّلَالُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ وَ مَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَى فِي حَرْثِهِ وَعِاقِبِهِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرْثِهِ الْقُرْآنُ فَكُونُوا مِنْ حَرْثِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ اتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَاسْتَعِشُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ .

غشه يغشه بالضم غشا خلاف نصحه و اللأواء الشده .

و شفح له القرآن شفاعه بالفتح و هو مما (1) يغلط فيه العامه فيكسرونه و كذلك تبعت كذا بكذا أتبعته مفتوح أيضا .

و محل به إلى السلطان قال عنه ما يضره كأنه جعل القرآن يمحله يوم القيامة عند الله بقوم أى يقول عنهم شرا و يشفع عند الله لقوم أى يثنى عليهم خيرا .

و الحارث المكتسب و الحرث الكسب و حرثه القرآن المتاجرون به الله .

و استنصحوه على أنفسكم

أى إذا أشار عليكم بأمر و أشارت عليكم أنفسكم بأمر يخالفه.

ص: ١٩

١-١) ب «و التغلط».

فأقبلوا مشوره القرآن دون مشوره أنفسكم و كذلك معنى قوله و اتهموا عليه آراءكم و استغشوا فيه أهواءكم

## فصل فى القرآن و ذكر الآثار التى وردت بفضله

و اعلم أن هذا الفصل من أحسن ما ورد فى تعظيم القرآن و إجلاله و قد قال الناس فى هذا الباب فأكثرُوا.

و من الكلام المروى عن أمير المؤمنين ع فى ذكر القرآن أيضا ما

٢١١١

رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ عُيُونِ الْأَخْبَارِ عَنْهُ عَ أَيضًا وَ هُوَ

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَنْزَجِ رِيحِهَا طَيِّبٌ وَ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَ لَا رِيحَ لَهَا وَ مَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَ طَعْمُهَا مُرٌّ وَ مَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْحَنْظَلِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَ رِيحُهَا مُنْتَنَةٌ .

٢١١٢

وَ قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ قُرَاءَةُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ رَجُلٌ اتَّخَذَهُ بَضَاعَةً فَنَقَلَهُ مِنْ مِصْرٍ إِلَى مِصْرٍ يَطْلُبُ بِهِ مِا عِنْدَ النَّاسِ وَ رَجُلٌ حَفِظَ حُرُوفَهُ وَ ضَيَّعَ حُدُودَهُ وَ اسْتَدْرَجَ بِهِ الْوَلَاءَ وَ اسْتَطَالَ بِهِ عَلَى أَهْلِ بِلَادِهِ وَ قَدْ كَثُرَ اللَّهُ هَذَا الضَّرْبُ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ لَا كَثَرَهُمْ اللَّهُ وَ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَبَدَأَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ دَوَاءِ الْقُرْآنِ فَوَضَعَهُ عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ فَسَهَرَ لَيْلَهُ وَ انْهَمَلَتْ عَيْنَاهُ وَ تَسَرَّبَلْ بِالْخُشُوعِ وَ ارْتَدَى بِالْحُزْنِ فَبِذَاكَ وَ أَمْثَالِهِ يُشِيقِي النَّاسَ الْعَيْثَ وَ يُنْزِلُ النَّصِيرَ وَ يُدْفَعُ الْبَلَاءَ وَ اللَّهُ لَهَذَا الضَّرْبُ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ وَ أَقْلُّ مِنَ الْكِبْرِيَّتِ الْأَحْمَرِ.

ص: ٢٠٠

وَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ إِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ جَلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ وَ إِكْرَامَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَ إِكْرَامَ حَمَلِهِ الْقُرْآنِ .

وَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ أَيْضًا لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ .

و كانت الصحابه تكره بيع المصاحف و تراه عظيما و كانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم القرآن أجرا .

و

كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِذَا وَقَعْتُ فِي آلِ حَمٍ وَقَعْتُ فِي رَوْضَاتِ دِمَثَاتٍ أَتَانَتْ فِيهِنَّ .

وَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لِكُلِّ شَيْءٍ دِيْبَاجُهُ وَ دِيْبَاجُهُ الْقُرْآنُ آلُ حَمٍ .

قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَيْجُوزُ أَنْ يُحَلِّيَ الْمُصْحَفُ بِالذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ فَقَالَ حَلَّيْتُهُ فِي جَوْفِهِ .

وَ قَالَ النَّبِيُّ صَ أَصْفَرُ الْبَيْوتِ جَوْفُ صِفْرِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ .

وَ قَالَ الشَّعْبِيُّ إِيَّاكُمْ وَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ فَإِنَّ الَّذِي يُفْسِرُهُ إِنَّمَا يُحَدِّثُ عَنِ اللَّهِ .

الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَضَ نَفْسَهُ وَ عَمَلَهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ وَافَقَ حَمِيدَ اللَّهِ وَ سَأَلَهُ الزِّيَادَةَ وَ إِنْ خَالَفَ أَعْتَبَ وَ رَاجَعَ مِنْ قَرِيبٍ .

١- وَفَدَّ غَالِبُ بْنُ صَعْصَيْعَةَ عَلَى عَلِيٍّ عَ وَ مَعَهُ ابْنُهُ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَقَالَ غَالِبُ بْنُ صَعْصَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيُّ قَالَ ذُو الْإِبِلِ الْكَثِيرَةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا فَعَلْتَ إِبْلُكَ قَالَ أَذْهَبْتُهَا النَّوَائِبُ وَ دَعَدَعْتُهَا (١) الْحُقُوقُ قَالَ ذَاكَ خَيْرٌ سُئِلَهَا

ص: ٢١

---

١- ١) أى فرقتها و بددتها.



ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا الْأَخْطَلُ مَنْ هَذَا الْغُلَامُ مَعَكَ قَالَ ابْنِي وَهُوَ شَاعِرٌ قَالَ عَلَّمَهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الشُّعْرِ فَكَانَ ذَلِكَ فِي نَفْسِ  
الْفَرَزْدَقِ حَتَّى قَيَّدَ نَفْسَهُ وَآلَى إِلَّا يُحَلَّ فَيَدُهُ حَتَّى يَحْفَظَ الْقُرْآنَ فَمَا حَلَّهُ حَتَّى حَفِظَهُ .

و ذلك قوله و ما صب رجلى فى حديد مجاشع مع القد إلا حابه لى أريدها (١) .

قلت تحت قوله ع يا أبا الأخطل قبل أن يعلم أن ذلك الغلام ولده و أنه شاعر سر غامض و يكاد يكون إخبارا عن غيب فيلمح .

٢١٢٣

الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ

بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَ الْقُرْآنِ إِذَا وَقَفَ عَلَى مَعْصِيَةِ خَرَجِ الْقُرْآنِ مِنْ جَوْفِهِ فَأَعْتَرَلَ نَاحِيَهُ وَ قَالَ أَلِهَذَا حَمَلْتَنِي .

قلت و هذا القول على سبيل المثل و التخويف من مواقعه المعاصى لمن يحفظ القرآن .

٢١٢٤

أَنْسُ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص يَا ابْنَ أُمِّ سَيْلِمٍ لَا تَغْفُلْ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ صَبَاحًا وَ مَسَاءً فَإِنَّ الْقُرْآنَ يُحْيِي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ وَ يَنْهَى  
عَنِ الْفُحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ .

٢١٢٥

كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إِذَا دَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ تَرَكَ جَمِيعَ الْعِبَادَةِ وَ أَقْبَلَ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمُصْحَفِ .

٢١٢٦

كَعْبُ الْأَخْبَارِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى ع مِثْلَ كِتَابِ مُحَمَّدٍ فِي الْكُتُبِ مِثْلَ سِقَاءٍ فِيهِ لَبْنٌ كُلَّمَا مَخَضْتَهُ اسْتَخْرَجَتْ مِنْهُ زَبْدًا .

٢١٢٧

أَسْلَمُ الْخَوَاصِ

كُنْتُ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَلَا أَجِدُ لَهُ حَلَاوَةً فَقُلْتُ لِنَفْسِي يَا أَسْلَمُ أَقْرَأِ الْقُرْآنَ كَأَنَّكَ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فَجَاءَتْ حَلَاوَةٌ قَلِيلَةً فَقُلْتُ  
أَقْرَأْهُ كَأَنَّكَ تَسْمَعُهُ مِنْ جَبْرِئِيلَ ع فَازْدَادَتْ الْحَلَاوَةُ فَقُلْتُ أَقْرَأْهُ كَأَنَّكَ تَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ فَجَاءَتْ الْحَلَاوَةُ  
كُلُّهَا .

---

١-١) ديوانه ٢١٥:١؛ وهو أيضا في اللسان ٥:٢؛ ويقال: صب رجلا فلان في القيد؛ أى قيد.

بَعْضُ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ إِنَّ النَّاسَ يَجْمِزُونَ (١) فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مَا خَلَا الْمُحِصِينَ فَإِنَّ لَهُمْ حَانَ إِشَارَاتٍ إِذَا مَرُّوا بِهِ نَزَلُوا يُرِيدُ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ يَقِفُونَ عِنْدَهَا فَيَفَكِّرُونَ فِيهَا.

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ مَا مِنْ شَفِيعٍ مِنْ مَلَكَ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِمَا أَفْضَلَ مِنَ الْقُرْآنِ .

و

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَيْضًا مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ رَأَى أَنَّ أَحَدًا أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدِ اسْتَصْعَرَ عَظَمَةَ اللَّهِ.

و

حِيَاءٌ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ بَعْضَ الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ وَ قَرَأَهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالُوا طُوبَى لَأُمَّهِ يَنْزِلُ عَلَيْهَا هَذَا وَ طُوبَى لَأَجْوَابِ تَحْمِلُ هَذَا وَ طُوبَى لِأَلْسِنِهِ تَنْطِقُ بِهِذَا.

و

١٤- قَالَ النَّبِيُّ ص إِنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ مَا جَلَاؤُهَا قَالَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَ ذِكْرُ الْمَوْتِ .

و

عَنْهُ ع

مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ إِذْنَهُ لِنَبِيِّ حَسَنِ التَّرْتُّمِ بِالْقُرْآنِ (٢) .

و

عَنْهُ ع

إِنَّ رَبَّكُمْ لَأَشَدُّ أَدْنًا إِلَيَّ قَارِيءِ الْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَيَّ قَيْتِنَةٍ.

و

٢١٣٥

عَنْهُ ع

أَنْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرُؤُهُ.

٢١٣٦

إِنَّ مَسِيئَةَ عُودِ رَحِمَةِ اللَّهِ يَتَّبِعِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ وَبِنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ مُفْطِرُونَ وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ وَبِبُكَايِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ وَبِخُشُوعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْتَالُونَ وَ يَتَّبِعِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ سِيِّئًا زَمِيمًا لِيْنَا (٣) وَلَا يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ جَافِيًا وَلَا مُمَارِيًا وَلَا صِيَاحًا وَلَا حَدِيدًا وَلَا صَخَابًا (٤).

ص: ٢٣

١-١) يجمزون: يسرعون.

٢-٢) الأذن: الاستماع مع الإعجاب.

٣-٣) السكيت: الكثير السكوت، و الزميت: الحليم الساكن القليل الكلام.

٤-٤) الحديد: السريع الغضب.

بَعْضُ السَّلَفِ إِنَّ الْعَبِيدَ لَيَفْتَحُونَ سُورَةَ فَتَصِلُ عَلَيْهِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا وَإِنَّ الْعَبِيدَ لَيَفْتَحُونَ سُورَةَ فَتَلْعُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا قِيلَ كَيْفَ ذَاكَ قَالَ إِذَا أَحَلَّ حَلَالُهَا وَحَرَّمَ حَرَامَهَا صَلَّتْ عَلَيْهِ وَإِلَّا لَعَنَتْهُ.

إِبْنُ مَسْعُودٍ

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ لِيَعْمَلُوا بِهِ فَاتَّخَذُوا دِرَاسِيَّتَهُ عَمَلًا إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يُشِدُّ قَطْمَهُ مِنْهُ حَرْفًا وَقَدْ أَشَقَطَ الْعَمَلُ بِهِ.

إِبْنُ عَبَّاسٍ

لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ أُرْتَلُهُمَا وَآتَدَبَرُهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ هَذْرَمَةً (١).

ثَابِتُ الْبُنَائِي

كَابَدْتُ فِي الْقُرْآنِ عِشْرِينَ سَنَةً وَتَنَعَّمْتُ بِهِ عِشْرِينَ سَنَةً.

الْعَمَلُ الْعَمَلُ ثُمَّ النَّهْيَةُ النَّهْيَةُ وَالِاسْتِقَامَةُ الْإِسْتِقَامَةُ ثُمَّ الصَّبْرُ الصَّبْرُ وَالْوَرَعُ الْوَرَعُ إِنَّ لَكُمْ نَهْيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نَهْيَتِكُمْ وَإِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ وَاخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ وَبَيَّنَّ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَهُ اللَّهُ وَحُجَّتِهِ قَالَ اللَّهُ [جَلَّ ذِكْرُهُ]

تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ

الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ وَقَدْ قُلْتُمْ رَبَّنَا اللَّهُ فَاَسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مَنَهَاجِ أَمْرِهِ وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَلَا تَخَالِفُوا عَنْهَا فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

النصب على الإغراء و حقيقته فعل مقدر أى الزموا العمل و كرر الاسم لينوب أحد اللفظين عن الفعل المقدر و الأشبه أن يكون اللفظ الأول هو القائم مقام الفعل لأنه فى رتبته أمرهم بلزوم العمل ثم أمرهم بمراعاة العاقبه و الخاتمه و عبر عنها بالنهايه و هى آخر أحوال المكلف التى يفارق الدنيا عليها إما مؤمنا أو كافرا أو فاسقا و الفعل المقدر هاهنا راعوا و أحسنوا و أصلحوا و نحو ذلك.

ثم أمرهم بالاستقامه و أن يلزموها و هى أداء الفرائض .

ثم أمرهم بالصبر عليها و ملازمته و بملازمه الورع .

ثم شرع بعد هذا الكلام المجمل فى تفصيله فقال إن لكم نهايه فانتهاوا إلى نهايتكم و هذا

٢١٤١

لَفْظُ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَاَنْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ وَ إِنَّ لَكُمْ غَايَةً فَاَنْتَهُوا إِلَى غَايَتِكُمْ .

و المراد بالنهايه و الغايه أن يموت الإنسان على توبه من فعل القبيح و الإخلال بالواجب .

ثم أمرهم بالاهتداء بالعلم المنصوب لهم و إنما يعنى نفسه ع .

ثم ذكر أن للإسلام غايه و أمرهم بالانتهاء إليها و هى أداء الواجبات و اجتناب المقبحات .

ثم أوضح ذلك بقوله و اخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقه و بين لكم

ص: ٢٥

فكشفت بهذا الكلام معنى الغايه التي أجملها أولا ثم ذكر أنه شاهد لهم و محاج يوم القيامة عنهم و هذا إشاره إلى قوله تعالى  
يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ (١) .

و حجيج فعيل بمعنى فاعل و إنما سمي نفسه حجيجا عنهم و إن لم يكن ذلك الموقف موقف مخاصمه (٢) لأنه إذا شهد لهم  
فكأنه أثبت لهم الحججه فصار محاجا عنهم .

قوله ع ألا و إن القدر السابق قد وقع يشير به إلى خلافته.

و هذه الخطبه من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويج بعد قتل عثمان و في هذا إشاره إلى أن رسول الله ص قد أخبره أن  
الأمر سيفضي إليه منتهى عمره و عند انقضاء أجله .

ثم أخبرهم أنه سيتكلم بوعده الله تعالى و محجته على عباده في قوله إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا... (٣) الآية و معنى الآية  
أن الله تعالى وعد الذين أقروا بالربوبيه و لم يقتصروا على الإقرار بل عقبوا ذلك بالاستقامه أن ينزل عليهم الملائكه عند موتهم  
بالبشرى و لفظه ثم للتراخي و الاستقامه مفضله على الإقرار باللسان لأن الشأن كله في الاستقامه و نحوها قوله تعالى إِنَّمَا  
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا (٤) أى ثم ثبتوا على الإقرار و مقتضياته و الاستقامه هاهنا هى الاستقامه الفعلية  
شافعه للاستقامه القوليه و قد اختلف فيه قول أمير المؤمنين ع و أبى بكر فقال أمير المؤمنين ع أدوا الفرائض و قال أبو بكر  
استمروا على التوحيد.

ص: ٢٦

١-١) سورة الإسراء ٧١.

٢-٢) د: «محاجه».

٣-٣) سورة فصلت ٣٠.

٤-٤) سورة الحجرات ١٥.

وَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا وَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِيهَا فَقَالُوا لَمْ يُذَيَّبُوا فَقَالَ حَمَلْتُمُ الْأَمْرَ عَلَيَّ أَشَدَّهُ فَقَالُوا قُلْ قَالَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى عِبَادِهِ الْأَوْثَانِ. وَرَأَى أَبِي بَكْرٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِنْ ثَبِتَ عَنْهُ يُوَكِّدُ مَذْهَبَ الْإِرْجَاءِ وَقَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ يُوَكِّدُ مَذْهَبَ أَصْحَابِنَا.

و

١٤- رَوَى سَيْفِيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّقْفِيُّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ فَقَالَ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِيمَ فَقُلْتُ مَا أَخَوْفَ مَا تَخَافُهُ عَلَيَّ فَقَالَ هَذَا وَ أَحْذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ص

و تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ فِي الْقَبْرِ أَوْ عِنْدَ النُّشُورِ.

و أَلَّا تَخَافُوا أَنْ بِمَعْنَى أَى أَوْ تَكُونُ خَفِيفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ وَ أَصْلُهُ أَنَّهُ لَا تَخَافُوا وَ الْهَاءُ ضَمِيرُ الشَّانِ .

و قد فسر أمير المؤمنين الاستقامه المشترطه فى الآيه فقال قد أقررتم بأن الله ربكم فاستقيموا على كتابه و على منهاج أمره و على الطريقه الصالحه من عبادته .

لا تمرقوا منها

مرق السهم إذا خرج من الرميهِ مروقاً.

و لا تبدعوا

لا تحدثوا ما لم يأت به الكتاب و السنه.

و لا تخالفوا عنها

تقول خالفت عن الطريق أى عدلت عنها .

قال فإن أهل المروق منقطع بهم بفتح الطاء انقطع بزيد بضم الهمزه فهو منقطع به إذا لم يجد بلاغا و وصولا إلى المقصد



ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَ تَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَ تَضْرِيْفَهَا وَ اجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا وَ لِيُخْزِنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جُمُوحٌ بِصَاحِبِهِ وَ اللّٰهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى [يُخْتَرَنَ]

يُخْزِنَ لِسَانَهُ وَ إِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ وَ إِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ وَ إِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ وَ إِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ وَ مَا ذَا عَلَيْهِ وَ لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَ لَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ هُوَ نَقِي الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَمْوَالِهِمْ سَلِيمَ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ .

## تهزيع الأخلاق

تغيرها و أصل الهزاع الكسر أسد مهزاع يكسر الأعناق و يرض العظام و لما كان المتصرف بخلقها الناقل له من حال قد أعدم سمته الأولى كما يعدم الكاسر صورته المكسور اشتركا فى مسمى شامل لهما فاستعمل التهزيع فى الخلق للتغيير و التبديل مجازا .

قوله و اجعلوا اللسان واحدا نهى عن النفاق و استعمال الوجهين .

قال و ليخزن الرجل لسانه أى ليحبسه فإن اللسان يجمع بصاحبه فيلقبه فى الهلكه .

ثم ذكر أنه لا يرى التقوى نافعه إلا مع حبس اللسان قال فإن لسان المؤمن وراء قلبه و قلب الأحمق وراء لسانه و شرح ذلك و بينه .

فإن قلت المسموع المعروف لسان العاقل من وراء قلبه و قلب الأحمق وراء لسانه كيف نقله إلى المؤمن و المنافق .

قلت لأنه قل أن يكون المنافق إلا أحمق و قل أن يكون العاقل إلا مؤمناً فلاكثرية ذلك استعمل لفظ المؤمن و أراد العاقل و لفظ المنافق و أراد الأحمق .

ثم روى الخبر المذكور عن النبي ص و هو مشهور .

ثم أمرهم بالاجتهاد في أن يلقوا الله تعالى و كل منهم نقى الراحه من دماء المسلمين و أموالهم سليم اللسان من أعراضهم و

٢١٤٤

قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ص إِنَّمَا الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَ يَدِهِ .

فسلامتهم من لسانه سلامه أعراضهم و سلامتهم من يده سلامه دمائهم و أموالهم و انتصاب تهذيب على التحذير و حقيقته تقدير فعل و صورته جنبوا أنفسهم تهذيب الأخلاق فإياكم قائم مقام أنفسكم و الواو عوض عن الفعل المقدر و أكثر ما يجيء بالواو و قد جاء بغير واو في قول الشاعر إياك إياك المرء فإنه إلى الشر دعاء و للشر جالب .

و كان يقال ينبغي للعاقل أن يتمسك بست خصال فإنها من المروءه أن يحفظ دينه و يصون عرضه و يصل رحمه و يحمي جاره و يرعى حقوق إخوانه و يخزن عن البذاء لسانه (١) و

٢١٤٥

فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ مَنْ كُفِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَ ذُبْدَبِهِ وَ لَقَلَقِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

ص : ٢٩

فالقَبَبِ البطنِ و الذبذبِ الفرجِ و اللقلقِ اللسانِ.

و قال بعض الحكماء من علم أن لسانه جارحه من جوارحه أقل من اعتمالها و استقبح تحريكها كما يستقبح تحريك رأسه أو منكبه دائما و اعلّموا عباد الله أن المؤمنَ يَسْتَحِلُّ العَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ وَ يُحَرِّمُ العَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ وَ أَنَّ مَا أَحَدَثَ النَّاسُ لَا يُجِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَ لَكِنَّ الحلالَ مَا أَحَلَّ اللهُ وَ الحرامَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَفَعِدْ جَرِبْتُمْ الأُمُورَ وَ ضَرَسْتُمْوها وَ وَعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ ضَرَبْتِ الأَمْثَالَ لَكُمْ وَ دُعَيْتُمْ إِلَى الأَمْرِ الوَاضِحِ فَلَا يَصُمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ وَ لَا يَعْمَى عَنْهُ إِلَّا أَعْمَى وَ مَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللهُ بِالبلاءِ وَ التَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ العِظَةِ وَ أَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَ يُنْكَرَ مَا عَرَفَ [فَإِنَّ النَّاسَ]

وَ إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَّبِعِ شِرْعَةٍ وَ مُتَّبِدِعِ بَدْعَةٍ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانٌ سُنَّهِ وَ لَا ضِيَاءٌ حُجَّتِهِ .

يقول إن الأحكام الشرعية لا يجوز بعد ثبوت الأدلة عليها من طريق النص أن تنقض باجتهاد و قياس بل كل ما ورد به النص تتبع مورد النص فيه فما استحلته عاما أول فهو في هذا العام حلال لك و كذلك القول في التحريم و هذا هو مذهب أكثر أصحابنا أن النص مقدم على القياس و قد ذكرناه في كتبنا في أصول الفقه .

و أول هاهنا لا ينصرف لأنه صفة على وزن أفعال.

وقال إن ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئاً مما حرم عليكم أى ما أحدثوه من القياس والاجتهاد وليس هذا بقادح فى القياس و لكنه مانع من تقديمه على النصّ و هكذا يقول أصحابنا .

قوله و ضرستموها بالتشديد أى أحكمتموها تجربته و ممارسه يقال قد ضرسته الحرب و رجل مضرس .

قوله فلا- يصم عن ذلك إلا أصم أى لا يصم عنه إلا من هو حقيق أن يقال عنه إنه أصم كما تقول ما يجهل هذا الأمر إلا جاهل أى بالغ فى الجهل .

ثم قال من لم ينفعه الله بالبلاء أى بالامتحان و التجربه لم تنفعه المواعظ و جاءه النقص من بين يديه حتى يتخيل فيما أنكره أنه قد عرفه و ينكر ما قد كان عارفا به و سمي اعتقاد العرفان و تخيله عرفانا على المجاز .

ثم قسم الناس إلى رجلين إما متبع طريقه و منهاجا أو مبتدع ما لا يعرف و ليس بيده حجه فالأول المحق و الثانى المبطل .

و الشرع المنهاج و البرهان الحجه [فإنّ]

وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْظُ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَ سَيِّبُهُ الْأَمِينُ وَ فِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ مَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَيْدُّ كُرُونَ وَ بَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ وَ إِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ اْعْمَلِ الْخَيْرَ وَ دَعْ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ .

إنّما جعله جبل الله لأنّ الجبل ينجو من تعلق به من هوّه و القرآن ينجو من الضلال من يتعلق به.

و جعله متينا أى قويا لأنّه لا انقطاع له أبدا و هذه غايه المتانّه و القوّه.

و متن الشىء بالضم أى صلب و قوى و سببه الأمين مثل حبله المتين و إنّما خالف بين اللفظين على قاعده الخطابه.

و فيه ربيع القلب

لأنّ القلب يحيا به كما تحيا الأنعام برعى الربيع.

و ينابيع العلم

لأنّ العلم منه يتفرع كما يخرج الماء من ينبوع و يتفرع إلى الجداول و الجلاء بالكسر مصدر جلوت السيف يقول لا جلاء لصدأ القلوب من الشبهات و الغفلات إلّا- القرآن. ثم قال إن المتذكرين قد ذهبوا و ماتوا و بقى الناسون الذين لا- علوم لهم أو المتناسون الذين عندهم العلوم و يتكلفون إظهار الجهل لأغراض دنيويه تعرض لهم و روى و المتناسون بالواو .

ثمّ قال أعيّنوا على الخير إذا رأيتموه بتحسينه عند فاعله و بدفع الأمور المانعه عنه و بتسهيل أسبابه و تسنيه سبله و إذا رأيتم الشر فاذهبوا عنه و لا تقاربوه و لا تقيموا أنفسكم فى مقام الراضى به الموافق على فعله ثمّ روى لهم الخبر .

و الجواد القاصد السهل السير لا سريع يتعب بسرعه و لا بطىء يفوت الغرض ببطئه

ص: ٣٢

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكَ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَزَاءً بِالْمُدَى وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ وَلَا كِنَّةً مَا يُسْتَصْعَرُ ذَلِكَ مَعَهُ فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوتَهُ وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ .

قسم ع الظلم ثلاثة أقسام أحدها ظلم لا يغفر و هو الشرك بالله أى أن يموت الإنسان مصرا على الشرك و يجب عند أصحابنا أن يكون أراد الكبائر و إن لم يذكرها لأن حكمها حكم الشرك عندهم .

و ثانيها الهنات المغفوره و هى صغائر الذنوب هكذا يفسر أصحابنا كلامه ع .

و ثالثها ما يتعلق بحقوق البشر بعضهم على بعض فإن ذلك لا يتركه الله هملا بل لا بدّ من عقاب فاعله و إنّما أفرد هذا القسم مع دخوله فى القسم الأوّل لتمييزه بكونه متعلقا بحقوق بنى آدم بعضهم على بعض و ليس الأوّل كذلك.

فإن قلت لفظه ع مطابق للآيه و هى قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ (١) و الآيه و لفظه ع صريحان فى مذهب المرجئه لأنكم إذا فسرتم قوله لِمَنْ يَشَاءُ بأن المراد به أرباب التوبه قيل لكم فالمشركون هكذا حالهم يقبل الله توبتهم و يسقط عقاب شركهم بها فلائى معنى خصص المشيئه بالقسم الثانى و هو ما دون الشرك و هل هذا إلاّ تصريح بأن الشرك لا يغفر لمن مات عليه و ما دونه من المعاصى إذا مات الإنسان عليه لا يقطع له بالعقاب و لا لغيره بل أمره إلى الله.

قلت الأصوب فى هذا الموضوع ألا يجعل قوله لِمَنْ يَشَاءُ معنيا به التائبون بل نقول المراد أن الله لا يستر فى موقف القيامة من مات مشركا بل يفضحه على رءوس الأشهاد كما قال تعالى وَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَيَّ رَبِّهِمْ (٢).

و أمّا من مات على كبيره من أهل الإسلام فإن الله تعالى يستره فى الموقف و لا يفضحه بين الخلائق و إن كان من أهل النار و يكون معنى المغفوره فى هذه الآيه الستر و تغطيه حال العاصى فى موقف الحشر و قد يكون من أهل الكبائر ممن يقر بالإسلام

ص: ٣٤

١-١) سورة النساء ٤٨.

٢-٢) سورة هود ١٨.

لعظيم كبائره جدا فيفضحه الله تعالى في الموقف كما يفضح المشرك فهذا معنى قوله وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ .

فأما الكلام المطول في تأويلات هذه الآية فمذكور في كتبنا الكلاميه .

و اعلم أنه لا- تعلق للمرجئه و لا- جدوى عليهم من عموم لفظ الآية لأنهم قد وافقونا على أن الفلسفي غير مغفور له و ليس بمشرك فإذا أراد بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ و من جرى مجرى المشركين قيل لهم و نحن نقول إن الزاني و القاتل يجريان مجرى المشركين كما أجريتم الفلاسفه مجرى المشركين فلا تنكروا علينا ما لم تنكروه على أنفسكم .

ثم ذكرع أن القصاص في الآخرة شديد ليس كما يعهده الناس من عقاب الدنيا الذي هو ضرب السوط و غايته أن يذوق الإنسان طعم الحديد و هو معنى قوله جرحا بالمدى جمع مديه و هي السكين بل هو شيء آخر عظيم لا يعبر النطق عن كنهه و شده نكاله و ألمه

### فصل في الآثار الواردة في شديد عذاب جهنم

٢١٤٦

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ فِي مَوَاعِظِهِ لِلْمَنْصُورِ رَوَى لِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص لَوْ أَنَّ ثُوبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ عَلِقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَأَحْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَقَمَّصُهُ وَ لَوْ أَنَّ ذُنُوبًا مِنْ حَمِيمِ جَهَنَّمَ صُبَّ عَلَى مَاءِ الْأَرْضِ كُلِّهِ لَأَجَنَّهُ حَتَّى لَا يَسِيحَ تَطِيحُ مَخْلُوقٌ شَرْبُهُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَجَرَّعُهُ وَ لَوْ أَنَّ حَلَقَهُ مِنْ سَلْسِلِ النَّارِ وَضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَسْلُكُ فِيهَا وَ يَرُدُّ فَضْلَهَا عَلَى عَاتِقِهِ.

و

٢١٤٧

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ص لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ وَ أُخْرِجَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ النَّارِ فَتَنَّفَسَ وَ أَصَابَهُمْ نَفْسُهُ لَأَحْرَقَ الْمَسْجِدَ وَ مَنْ فِيهِ.

ص: ٣٥



١٤- رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لِجَبْرِيلَ مَا لِي لَا أَرَى مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَالَ إِنَّ مِيكَائِيلَ لَمْ يَضْحَكْ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ وَ رَأَاهَا .

١٤- عَنْهُ ص لَمَّا أُسْرِى بِي سَمِعْتُ هَيْدَهُ (١) فَسَيَّأَلْتُ جَبْرِيلَ عَنْهَا فَقَالَ حَجَرَ أَرْسَلَهُ اللَّهُ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَهُوَ يَهْوِي مُنْذُ سَبِعِينَ خَرِيفًا حَتَّى يَلْغَ الْآنَ فِيهِ

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ص فِي قَوْلِهِ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَ هُمْ فِيهَا كَالْحُونَ (٢) قَالَ تَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ وَ تَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ.

رَوَى عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ اللَّيْثِيُّ عَنْهُ ع لَتَزْفِرَنَّ جَهَنَّمُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى مَلَكٌ وَ لَا نَبِيٌّ إِلَّا خَرَّ مُرْتَعِدَةً فَرَائِصُهُ حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ لَيَجْتُو عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ إِنِّي لَا أَسْأَلُكَ إِلَّا نَفْسِي.

أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَرْفُوعًا لَوْ ضُرِبَتْ جِبَالُ الدُّنْيَا بِمَقْمَعٍ (٣) مِنْ تِلْكَ الْمَقَامِعِ الْحَدِيدِ لَصَارَتْ غُبَارًا.

الْحَسَنُ الْبَصِيرِيُّ قَالَ الْأَغْلَالُ لَمْ تُجْعَلْ فِي أَغْنَاقِ أَهْلِ النَّارِ لِأَنَّهُمْ أَعْجَزُوا الرَّبَّ وَ لَكِنْ إِذَا أَصَابَهُمُ اللَّهَبُ أَرْسَبَتْهُمْ فِي النَّارِ ثُمَّ خَرَّ الْحَسَنُ صَيْعِقًا وَ قَالَ وَ دُمُوعُهُ تَتَحَادَرُ يَا ابْنَ آدَمَ نَفْسَكَ نَفْسَكَ فَإِنَّمَا هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ إِنْ نَجَتْ نَجَوْتَ وَ إِنْ هَلَكْتَ لَمْ يَنْفَعَكَ مَنْ نَجَا.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النَّارَ لَمَّا خُلِقَتْ طَارَتْ أَفْئِدَةُ الْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا خُلِقْتُمْ سَكَنْتُمْ.

ص: ٣٦

١-١) الهده: صوت وقع الحائط أو الصخر أو نحوهما.

٢-٢) سوره المؤمنین ١٠٤.

٣-٣) المقمع و المقمعه: العمود من الحديد؛ أو خشبه يضرب بها الإنسان على رأسه ليدل و يهان.

مِطْرَفُ بْنُ الشَّخِيرِ

إِنَّكُمْ لَتَذْكُرُونَ الْجَنَّةَ وَإِنَّ ذِكْرَ النَّارِ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ .

مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ

يَا مَنْ الْبُعُوضُ تَقْلُقُهُ وَالْبَقَّةُ تُسَيِّرُهُ أَمْثَلُكَ يَقْوَى عَلَى وَهَجِ السَّعِيرِ أَوْ تُطَبِّقُ صَيْفَهُ خَدَّهُ لَفَحِ سُمُومِهَا وَرَقَّهُ أَحْشَاءَهُ خُشُونَهُ ضَرِيْعَهَا (١) وَرُطُوبُهُ كَبِيدِهِ تَجْرَعُ غَسَاقِهَا (٢) .

قِيلَ لِعَطَاءِ السُّلَمِيِّ أَيْسُرُكَ أَنْ يُقَالَ لَكَ قَعٌ فِي جَهَنَّمَ فَتُحْرَقَ فَتَيْذَهُبَ فَلَا تُبْعَثُ أَيْدَاً لَا إِلَيْهَا وَلَا إِلَىٰ غَيْرِهَا فَقَالَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ سَمِعْتُ أَنْ يُقَالَ لِي لَطَنْتُ أَنْيَ أَمُوتُ فَرِحاً قَبْلَ أَنْ يُقَالَ لِي ذَلِكَ .

الْحَسَنُ

وَاللَّهُ مَا يُقَدِّرُ الْعِبَادَ قَدَرَ حَرِّهَا رُؤِينَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالْمَشْرِقِ وَجَهَنَّمَ بِالْمَغْرِبِ ثُمَّ كُشِفَ عَنْ غِطَاءِ وَاحِدٍ مِنْهَا لَغَلَّتْ جُمُوعُهُمْ وَ لَوْ أَنَّ دَلُومًا مِنْ صَدِيدِهَا صُبَّ فِي الْأَرْضِ مَا بَقِيَ عَلَىٰ وَجْهَهَا شَيْءٌ فِيهِ رُوحٌ إِلَّا مَاتَ .

كَانَ الْأَخْنَفُ يُصَلِّي صِيْلَةَ اللَّيْلِ وَيَضَعُ الْمِصْبَاحَ قَرِيباً مِنْهُ فَيَضَعُ إِيضاً عَلَيْهِ وَيَقُولُ يَا حُنَيْفُ مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ يَوْمَ كَذَا حَتَّىٰ يُصْبِحَ .

### فصل في العزله و الاجتماع و ما قيل فيهما

ثم نهاهم ع عن التفرق في دين الله و هو الاختلاف و الفرقة ثم أمرهم باجتماع الكلمه و

٢١٦٠ قَالَ إِنَّ الْجَمَاعَةَ فِي الْحَقِّ الْمَكْرُوهِ إِلَيْكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْفِرْقَةِ فِي الْبَاطِلِ الْمَحْبُوبِ عِنْدَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِ أَحِداً خيراً بِالْفِرْقَةِ لَا مِمَّنْ مَضَىٰ وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ .

١-١) الضريع: نبات يسمى رطبه شبرقا، و يابسه ضريعا؛ لا تقربه دابه لخبثه.

٢-٢) الغساق: ما يقطر من جلود أهل النار و صديدهم من قيح و نحوه.

وقد تقدم ذكر ما ورد عن النبي ص في الأمر بلزوم الجماعه و النهى عن الاختلاف و الفرقه.

ثم أمرع بالجزله و لزوم البيت و الاشتغال بالعباده و مجانبه الناس و متاركتهم و اشتغال الإنسان بعيب نفسه عن عيوبهم.

و قد ورد فى الجزله أخبار و آثار كثيره و اختلف الناس قديما و حديثا فيها ففضلها قوم على المخالطه و فضل قوم المخالطه عليها.

فممن فضل الجزله سفيان الثورى و إبراهيم بن أدهم و داود الطائى و الفضيل بن عياض و سليمان الخواص و يوسف بن أسباط و بشر الحافى و حذيفه المرعشى و جمع كثير من الصوفيه و هو مذهب أكثر العارفين و قول المتألهين من الفلاسفه.

و ممن فضل المخالطه على الجزله ابن المسيب و الشعبى و ابن أبى ليلى و هشام بن عروه و ابن شبرمه و القاضى شريح و شريك بن عبد الله و ابن عيينه و ابن المبارك .فأما كلام أمير المؤمنين ع فيقتضى عند إمعان النظر فيه أن الجزله خير لقوم و أن المخالطه خير لقوم آخرين على حسب أحوال الناس و اختلافهم.

و قد احتج أرباب المخالطه يقول الله تعالى فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا (١) و بقوله وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اِخْتَلَفُوا (٢) و هذا ضعيف لأن المراد بالآيه تفرق الآراء و اختلاف المذاهب فى أصول الدين و المراد

ص: ٣٨

١-١) سورة آل عمران ١٠٣.

٢-٢) سورة آل عمران ١٠٥.

بتأليف القلوب و بالأخوه عدم الإحن و الأحقاد بينهم بعد استعار نارها فى الجاهليه و هذا أمر خارج عن حديث العزله.

و احتجوا

٢١٦١

بِقَوْلِ النَّبِيِّ صِ الْمُوْمِنُ اِلْفٌ (١) مَا لُوْفٌ وَ لَا خَيْرٌ فَيَمَنُ لَا يَالْفُ وَ لَا يُؤْلَفُ.

و هذا أيضا ضعيف لأن المراد منه ذم سوء الخلق و الأمر بالرفق و البشر فلا يدخل تحته الإنسان الحسن الخلق الذى لو خولط لألف و ألف و إنما يمنعه من المخالطه طلب السلامه من الناس.

و احتجوا

٢١٦٢

بِقَوْلِهِ مَنْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ عَنْ عُنُقِهِ. و هذا ضعيف أيضا لأنه مختص بالبغيه و المارقين عن طاعه الإمام فلا يتناول أهل العزله الذين هم أهل طاعه للأئمه إلا أنهم لا يخالطون الناس.

و احتجوا بنهيه ص عن هجر الإنسان أخاه فوق ثلاث و هذا ضعيف لأن المراد منه النهى عن الغضب و اللجاج و قطع الكلام و السلام لثوران الغيظ فهذا أمر خارج عن الباب الذى نحن فيه.

و احتجوا

٢١٦٣

١- بِأَنَّ رَجُلًا أَتَى جَبَلًا يُعْبَدُ فِيهِ فَجَاءَ أَهْلُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَتَهَاةً وَ قَالَ لَهُ إِنَّ صَبْرَ الْمُسْلِمِ فِي بَعْضِ مَوَاطِنِ الْجِهَادِ يَوْمًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

و هذا ضعيف لأنه إنما كان ذلك فى ابتداء الإسلام و الحث على جهاد المشركين .

و احتجوا بما

٢١٦٤

رُوي عَنْهُ ص أَنَّهُ قَالَ

الشَّيْطَانُ ذُنْبٌ وَ النَّاسُ كَالْغَنَمِ يَأْخُذُ الْقَاصِيَةَ وَ الشَّاذَةَ إِيَّاكُمْ وَ الشُّعَابَ وَ عَلَيْكُمْ بِالْعَامَةِ وَ الْجَمَاعَةِ وَ الْمَسَاجِدِ.

و هذا ضعيف لأن المراد به من اعتزل الجماعه و خالفها.

ص: ٣٩

---

١-١) الإلف: العشير المؤمنس.

و احتج من رجح العزله و آثرها على المخالطه بالآثار الكثيره الوارده فى ذلك نحو

٢١٦٥

قَوْلِ عُمَرَ خُذُوا بِحُظِّكُمْ مِنَ الْعَزْلَةِ.

و

٢١٦٦

قَوْلِ ابْنِ سِيرِينَ الْعَزْلَةُ عِبَادَةٌ.

و

٢١٦٧

قَوْلِ الْفَضِيلِ كَفَى بِاللَّهِ مَحْبُوبًا وَ بِالْقُرْآنِ مُونِسًا وَ بِالْمَوْتِ وَاعِظًا اتَّخَذِ اللَّهُ صَاحِبًا وَ دَعِ النَّاسَ جَانِبًا.

٢١٦٨

وَ قَالَ ابْنُ الرَّبِيعِ الرَّاهِدُ لِدَاوُدَ الطَّائِيِّ عِظْنِي فَقَالَ صُمِّ عَنِ الدُّنْيَا وَ اجْعَلْ فِطْرَكَ لِلآخِرَةِ وَ فِرِّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ.

٢١٦٩

وَ قَالَ الْحَسَنُ كَلِمَاتٌ أَحْفَظُهُنَّ مِنَ التَّوَرَاهِ قَبِيحَ ابْنِ آدَمَ فَاسْتِغْنَى وَ اعْتَزَلَ النَّاسَ فَسَلِمَ تَرَكَ الشَّهَوَاتِ فَصَارَ حُرًّا تَرَكَ الْحَسِيدَ فَظَهَرَ مَرُوءَتُهُ صَبَرَ قَلِيلًا فَتَمَّتْ طَوِيلًا.

٢١٧٠

وَ قَالَ وَهْبُ بْنُ الْوَرْدِ بَلَعْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةٌ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا الصَّمْتُ وَ الْعَاشِرُ فِى الْعَزْلَةِ عَنِ النَّاسِ.

٢١٧١

وَ قَالَ يُوسُفُ بْنُ مُسْلِمٍ لِعَلِيِّ بْنِ بَكَّارٍ مَا أَصْبَرَكَ عَلَى الْوَحْدَةِ وَ كَانَ قَدْ لَزِمَ الْبَيْتَ فَقَالَ كُنْتُ وَ أَنَا شَابٌّ أَصْبِرُ عَلَى أَشَدِّ مِنْ هَذَا كُنْتُ أَجَالِسُ النَّاسَ وَ لَا أُكَلِّمُهُمْ.

٢١٧٢

وَ قَالَ الثَّوْرِيُّ هَذَا وَقْتُ السُّكُوتِ وَ مُلَازِمَةُ الْبُيُوتِ.



وَقَالَ بَعْضُهُمْ كُنْتُ فِي سَيْفِيهِ وَمَعَنَا شَابُّ عَلَوِيٍّ فَمَكَثَ مَعَنَا سَبْعًا لَا نَسْمَعُ لَهُ كَلَامًا فَقُلْنَا لَهُ قَدْ جَمَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْذُ سَبْعٍ وَلَا  
نَرَاكَ تُخَالِطُنَا وَلَا تُكَلِّمُنَا فَأَنْشَدَ قَلِيلُ الْهَمِّ لَا وَلَدٌ يَمُوتُ

وَ أَكْبُرُ هَمِّهِ مِمَّا عَلَيْهِ

تَنَاجُزُ مَنْ تَرَى خُلُقًا وَ قُوَّةً.

٢١٧٤

قَالَ النَّخَعِيُّ لِصَاحِبٍ لَهُ تَفَقَّهُ ثُمَّ اعْتَرَلُ.

٢١٧٥

وَ كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ الْفَقِيهَ يَشْهَدُ الْجَنَائِزَ وَ يَعُودُ الْمَرْضَى وَ يُعْطِي الْإِخْوَانَ حُقُوقَهُمْ ثُمَّ تَرَكَ وَاحِدًا وَاحِدًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَرَكَ الْجَمِيعَ وَ قَالَ لَيْسَ يَنْهَيَا لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُخْبَرَ بِكُلِّ عُدْرٍ لَهُ.

٢١٧٦

وَ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ تَفَرَّغْتَ لَنَا فَقَالَ ذَهَبَ الْفَرَاغُ فَلَا فَرَاغَ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

٢١٧٧

وَ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ إِنِّي لَأَجِدُ لِلرَّجُلِ عِنْدِي يَدًا إِذَا لَقِينِي إِلَّا يُسَلِّمُ عَلَيَّ وَ إِذَا مَرِضْتُ إِلَّا يَعُودَنِي.

٢١٧٨

وَ قَالَ الدَّارَانِيُّ بَيْنَا ابْنُ خُنَيْمٍ جَالِسٌ عَلَيَّ بَابِ دَارِهِ إِذْ جَاءَ حَجْرٌ فَصَكَ وَجْهَهُ فَسَجَدَ وَ جَعَلَ يَمْسِحُ الدَّمَ وَ يَقُولُ لَقَدْ وُعِظْتُ يَا رَبِيعُ ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ الدَّارَ فَمَا جَلَسَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيَّ بِأَبِي حَتَّى مَاتَ.

٢١٧٩

وَ كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ قَدْ لَزِمَا بِيوتَهُمَا بِالْعَقِيقِ فَلَمْ يَكُونَا يَأْتِيَانِ الْمَدِينَةَ لِاحْتِاجِهِ لهُمَا وَ لَا لِغَيْرِهِمَا حَتَّى مَاتَا بِالْعَقِيقِ .

٢١٨٠

قَالَ بَشْرٌ أَقَلُّ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنْ تَكُنْ فَضِيحَةً كَانَ مَنْ يَعْرِفُكَ أَقَلَّ.

٢١٨١

وَ أَحْضَرَ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ حَاتِمًا الْأَصَمَّ فَكَلَّمَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَلَيْكَ حَاجَةٌ قَالَ نَعَمْ إِلَّا تَرَانِي وَ لَا أَرَاكَ.

وَقِيلَ لِلْفُضَيْلِ إِنَّ ابْنَكَ يَقُولُ لَوَدِدْتُ أَنِّي فِي مَكَانٍ أَرَى النَّاسَ وَلَا يَرَوْنِي فَبَكَى الْفُضَيْلُ وَقَالَ يَا وَيْحَ عَلِيٍّ (١) أَلَا أُتِمُّهَا فَقَالَ  
وَلَا أَرَاهُمْ.

ص: ٤١

---

١- (١) على هو ابن الفضيل.

وَ مِنْ كَلَامِ الْفُضَيْلِ أَيْضاً مِنْ سَخَافِهِ عَقِلَ الرَّجُلُ كَثْرَهُ مَعَارِفِهِ.

و قد جاء في الأحاديث المرفوعة ذكر العزله و فضلها

١٤- نَحْوُ قَوْلِهِ عَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عِمَامِ الْجُهَنِيِّ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ طَرِيقِ النَّجَاهِ فَقَالَ لَهُ لَيْسَ بِعَمَلِكَ بَيْتُكَ أَمْسِكَ عَلَيْكَ دِينُكَ وَ ابْنِكَ عَلَيَّ حَطِيئَتِكَ .

١٤- وَ قِيلَ لَهُ صَ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ رَجُلٌ مُعْتَرِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَ يَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ .

و

قَالَ عَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّقِيَّ النَّقِيَّ الْخَفِيَّ.

### ذكر فوائد العزله

و في العزله فوائد منها الفراغ للعباده و الذكر و الاستثناس بمناجاه الله عن مناجاه الخلق فيتفرغ لاستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا و الآخرة و ملكوت السماوات و الأرض لأن ذلك لا يمكن إلا بفراغ و لا فراغ مع المخالطه و لذلك كان رسول الله ص في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء و يعتزل فيه حتى أتته النبوه.

وَ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَا الَّذِي أَرَادُوا بِالْخُلُوهِ وَ الْعُزْلِهِ فَقَالَ دَوَامُ الْفِكْرِ وَ ثَبَاتُ الْعُلُومِ فِي قُلُوبِهِمْ لِيُحْيُوا حَيَاةَ طَيْبِهِ وَ يَمُوتُوا مَوْتاً طَيْباً.

وَ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ مَا أَصْبَرَكَ عَلَى الْوَحْدَةِ فَقَالَ لَسْتُ وَحْدِي أَنَا جَلِيسُ رَبِّي إِذَا شِئْتُ أَنْ يَنَاجِيَنِي قَرَأْتُ كِتَابَهُ وَ إِذَا شِئْتُ أَنْ أَنَاجِيَهُ صَلَّيْتُ.

وَقَالَ سُوَيْبَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ فِي بِلَادِ الشَّامِ فَقُلْتُ لَهُ يَا إِبْرَاهِيمُ

ص: ٤٢

تَرَكْتَ خُرَاسَانَ فَقَالَ مَا تَهْنَأُ بِالْعَيْشِ إِلَّا هَاهُنَا أَفَرُّ بِدِينِي مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ فَمَنْ رَأَى قَالَ مُوسَى أَوْ حَمَالٌ.

٢١٩٠

وَقِيلَ لِلْحَسَنِ يَا أَبَا سَعِيدٍ هَاهُنَا رَجُلٌ لَمْ نَرَهُ قَطُّ جَالِسًا إِلَّا وَخَدَهُ خَلْفَ سَارِيهِ فَقَالَ الْحَسَنُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي فَنَظَرُوا إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالُوا لِلْحَسَنِ وَ أَشَارُوا إِلَيْهِ فَمَضَى نَحْوَهُ وَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَقَدْ حَبَّبْتَ إِلَيْكَ الْعُزْلَةَ فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ مُجَالَسَةِ النَّاسِ قَالَ أَمْرٌ شَغَلَنِي عَنْهُمْ قَالَ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْتِيَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْحَسَنُ فَتَجْلِسَ إِلَيْهِ قَالَ أَمْرٌ شَغَلَنِي عَنِ النَّاسِ وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ وَمَا ذَلِكَ الشُّغْلُ يَزْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ إِنِّي أُمِسْتُ وَأُضِيحُ بَيْنَ نِعْمَةٍ وَذَنْبٍ فَأَشْغَلُ نَفْسِي بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَيَّ نِعْمَةٍ وَالْإِسْتِغْفَارِ مِنَ الذَّنْبِ فَقَالَ الْحَسَنُ أَنْتَ أَفْقَهُ عِنْدِي يَا عَبْدَ اللَّهِ مِنَ الْحَسَنِ فَالزَّمْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ.

٢١٩١

وَ جَاءَ هَرْمُ بْنُ حَيَّانَ إِلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ لَهُ مَا حَاجَتُكَ قَالَ جِئْتُ لِأَنْسَ بِكَ قَالَ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَحَدًا يَعْرِفُ رَبَّهُ فَيَأْتِسُ بَعِيرِهِ.

٢١٩٢

وَقَالَ الْفُضَيْلُ إِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ مُقْبِلًا فَرِحْتُ بِهِ وَقُلْتُ أَخْلُو بِرَبِّي وَإِذَا رَأَيْتَ الصُّبْحَ أَذْرَكْنِي اسْتَرْجَعْتُ كَرَاهِيَةَ لِقَاءِ النَّاسِ وَأَنْ يَجِيءَ إِلَيَّ مَنْ يَشْغَلُنِي عَنْ رَبِّي.

٢١٩٣

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ مَنْ لَمْ يَأْتِسْ بِمُحَادَثَةِ اللَّهِ عَنْ مُحَادَثَةِ الْمَخْلُوقِينَ فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ وَعَمِيَ قَلْبُهُ وَضَاعَ عُمْرُهُ.

٢١٩٤

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ بَيْنَنَا أَنَا وَسَيْرٌ فِي بَعْضِ بِلَادِ الشَّامِ إِذَا أَنَا بِعَابِدٍ خَارِجٍ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الْجِبَالِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ تَنَحَّى إِلَيَّ إِلَى أَصِيلِ شَجَرِهِ وَتَسْتَرَّ بِهَا فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ أَتَبَخَّلُ عَلَيَّ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ فَقَالَ يَا هَذَا إِنِّي أَقَمْتُ فِي هَذَا الْجَبَلِ دَهْرًا طَوِيلًا أَعَالِجُ قَلْبِي فِي الصَّبْرِ عَنِ الدُّنْيَا وَ أَهْلِهَا فَطَالَ فِي ذَلِكَ تَعَبِي وَفِينِي عُمْرِي ثُمَّ سَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى

ص: ٤٣

أَلَّا يَجْعَلَ حَظِّي مِنْ أَيَّامِي فِي مُجَاهَدَةِ قَلْبِي فَقَطْ فَسَدَّ كُنْهُ اللَّهُ عَنِ الْإِضْطِرَابِ وَ آلَفَهُ الْوَحْدَةَ وَ الْإِنْفِرَادَ فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْكَ وَ تُرِيدُنِي خِفْتُ أَنْ أَقَعَ فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَأَعُوذُ إِلَى إِلْفِ الْمَخْلُوقِينَ فَإِلَيْكَ عَنِّي فَإِنِّي أَعُوذُ مِنْ شَرِّكَ بِرَبِّ الْعَارِفِينَ وَ حَبِيبِ التَّائِبِينَ ثُمَّ صَاحَ وَ أَعَمَّاهُ مِنْ طَوْلِ الْمَكْثِ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ حَوَّلَ وَجْهَهُ عَنِّي ثُمَّ نَفَضَ يَدَهُ وَ قَالَ إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا لِيُغَيِّرِي فَتَرَيَنِي وَ أَهْلِكَ فَغَرَّيْتُ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَ مَنْ أَذَاقَ الْعَارِفِينَ مِنْ لَعْنَةِ الْجِدْمَةِ وَ حَلَاوَةِ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ مَا أَلْهَى قُلُوبَهُمْ عَنْ ذِكْرِ الْجِنَانِ وَ الْحُورِ الْحَسَانِ فَإِنِّي فِي الْخَلْوَةِ آنَسُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَ أَسْتَلِدُّ بِالْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ أَنشَدَ وَ إِنِّي لَأَسْتَغْشِي وَ مَا بِي نَعْسُهُ

٢١٩٥

وَ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّمَا يَسْتَوْحِشُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ لِخُلُوقِ ذَاتِهِ عَنِ الْفَضِيلَةِ فَيَتَكَبَّرُ حِينَئِذٍ بِمُلَاقَاهِ النَّاسِ وَ يَطْرُدُ الْوَحْشَةَ عَنْ نَفْسِهِ بِهِمْ فَإِذَا كَانَتْ ذَاتُهُ فَاضِلَةً طَلَبَ الْوَحِيدَةَ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى الْفِكْرِ وَ يَسْتَخْرِجَ الْعِلْمَ وَ الْحِكْمَةَ وَ كَانَ يُقَالُ الْإِسْتِئْثَانُ بِالنَّاسِ مِنْ عَلَامَاتِ الْإِفْلَاسِ.

و منها التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالباً بالمخالطة و هي الغيبة و الرياء و ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و سرقة الطبع بعض الأخلاق الرديئة و الأعمال الخبيثة من الغير.

أما الغيبة فإن التحرز منها مع مخالطة الناس صعب شديد لا- ينجو من ذلك إلا الصديقون فإن عادة أكثر الناس التضمض بأعراض من يعرفونه و التنقل بلذه

ص: ٤٤

ذلك فهي أنسهم الذى يستريحون إليه فى الجلوه و المفاوضه فإن خالطتهم و وافقت أثمت و إن سكت كنت شريكا فالمستمع أحد المغتايين و إن أنكرت تركوا ذلك المغتاب و اغتابوك فازدادوا إثما على إثمهم.

فأما الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فإن من خالط الناس لا يخلو عن مشاهدته المنكرات فإن سكت عصى الله و إن أنكرت تعرض بأنواع من الضرر و فى العزله خلاص عن ذلك و فى الأمر بالمعروف إثاره للخصام و تحريك لكوا من ما فى الصدور و قال الشاعر و كم سقت فى آثاركم من نصيحه و قد يستفيد الظنه المتنصح.

و من تجرد للأمر بالمعروف ندم عليه فى الأكثر كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه وحده فيوشك أن يقع عليه فإذا سقط قال يا ليتنى تركته مائلا- نعم لو وجد الأعوان حتى يحكم ذلك الحائط و يدعمه استقام و لكنك لا- تجد القوم أعوانا على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فدع الناس و انج بنفسك.

و أمّا الرياء فلا- شبهه أن من خالط الناس داراهم و من داراهم راءاهم و من راءاهم كان منافقا و أنت تعلم أنك إذا خالطت متعادين و لم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغیضا إليهما جميعا و إن جاملتها كنت من شرار الناس و صرت ذا وجهين و أقل ما يجب فى مخالطه الناس إظهار الشوق و المبالغه فيه و ليس يخلو ذلك عن كذب إمّا فى الأصل و إمّا فى الزیاده بإظهار الشفقه بالسؤال عن الأحوال فقولك كيف أنت و كيف أهلك و أنت فى الباطن فارغ القلب عن همومه نفاق محض.

٢١٩٦

قَالَ السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ لَوْ دَخَلَ عَلَيَّ أَحٌ فَسَوَّيْتُ لِحَيْتِي بِيَدِي لِدُحُولِهِ خَشِيتُ أَنْ أُكْتُبَ فِي جَرِيدِهِ الْمُنَافِقِينَ.

ص: ٤٥



كَانَ الْفَضِيلُ جَالِسًا وَحَدَّهُ فِي الْمَسْجِدِ فَجَاءَ إِلَيْهِ أَخٌ لَهُ فَقَالَ مَا جَاءَ بِكَ قَالَ الْمُؤَانَسَةُ قَالَ هِيَ وَاللَّهِ بِالْمُؤَاخَسَةِ أَشْبَهُ هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي وَتَتَزَيَّنَ لَكَ وَتَكْذِبَ لِي وَتَكْذِبَ لَكَ إِمَّا أَنْ تَقُومَ عَنِّي وَإِمَّا أَنْ أَقُومَ عَنكَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا إِلَّا أَحَبَّ إِلَّا يَشْعُرُ بِهِ خَلْقُهُ.

وَدَخَلَ طَاوُسٌ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا هِشَامُ فَغَضِبَ وَقَالَ لِمَ لَمْ تُخَاطِبْنِي بِأَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ مَا اتَّفَقُوا عَلَى خِلَافَتِكَ فَخَشِيتُ أَنْ أَكُونَ كَاذِبًا.

فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس و إلا فليرض بإثبات اسمه في جريده المنافقين إن خالطهم ولا نجاه من ذلك إلا بالعزله.

و أما سرقة الطبع من الغير فالتجربة تشهد بذلك لأن من خالط الأشرار اكتسب من شرهم و كلما طالت صحبه الإنسان لأصحاب الكبائر هانت الكبائر عنده و في المثل فإن القرين بالمقارن يقتدى (١).

و منها الخلاص من الفتن و الحروب بين الملوك و الأمراء على الدنيا.

رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنِيمَاتُ يَتَّبِعُ بِهَا شِعَابَ الْجِبَالِ وَ مَوَاضِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ.

و

١٤- رَوَى عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعِيَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الْفِتْنَ فَقَالَ إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ (٢) وَ خَفَّتْ أَمَانَتُهُمْ وَ كَانُوا هَكَذَا وَ شَبَّكَ

٢-٢) مرجت عهدهم، أى اختلطت. أملكك عليك لسانك، أى لا- تجره إلا- بما يكون لك لا عليك. و انظر النهايه لابن الأثير

.٤:٨٧،١٠٦

بِأَصَابِعِهِ فَقُلْتُ مَا تَأْمُرُنِي فَقَالَ الزَّم بِيَّتِكَ وَ امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَ خُذْ مَا تَعْرِفُ وَ دَعْ مَا تُنْكِرُ وَ عَلَيْكَ بِأَمْرِ الْخَاصَّةِ وَ دَعْ عَنْكَ  
أَمْرَ الْعَامَّةِ

٢٢٠٢

١٤- رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ عَنْهُ ص أَنَّهُ قَالَ سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسِيلُ لِيَدِي دِينَ دِينُهُ إِلَّا مَنْ فَرَّ مِنْ قَرِيهِ إِلَى قَرِيهِ وَ مِنْ شَاهِقٍ  
إِلَى شَاهِقٍ كَالْتَعَلُّبِ الرَّوَاحِ قِيلَ وَ مَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِذَا لَمْ تَتَلِ الْمَعِيشَةَ إِلَّا بِمَعَاذِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ  
كَانَ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ أَبِيهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدِ زَوْجَتِهِ وَ وُلْدِهِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَلَى يَدِ قَرَابَتِهِ قَالُوا كَيْفَ ذَلِكَ يَا  
رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يُعَيِّرُونَهُ بِالْفَقْرِ وَ ضِيْقِ الْيَدِ فَيَكْلِفُونَهُ مَا لَا يُطِيقُهُ حَتَّى يُورِدَهُ ذَلِكَ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ .

٢٢٠٣

١٤- رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَيْضاً أَنَّهُ ص ذَكَرَ الْفِتْنَةَ فَقَالَ الْهَرْجُ فَقُلْتُ وَ مَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ حِينَ لَا يَأْمَنُ الْمَرْءُ جَلِيسَهُ قُلْتُ فِيمَ  
تَأْمُرُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكَتْ ذَلِكَ الزَّمَانَ قَالَ كَفَّ نَفْسَكَ وَ يَدَكَ وَ ادْخُلْ دَارَكَ قُلْتُ أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ دَارِي قَالَ  
ادْخُلْ بِيَّتِكَ قُلْتُ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ الْبَيْتُ قَالَ ادْخُلْ مَسْجِدَكَ وَ اصْنَعْ هَكَذَا وَ قَبِضْ عَلَى الْكُوعِ وَ قُلْ رَبِّي اللَّهُ حَتَّى تَمُوتَ

٢٢٠٤

و منها الخلاص من شر الناس فإنهم يؤذونك تاره بالغيبه و تاره بسوء الظنّ و التهمه و تاره بالاقتراحات و الأطماع الكاذبه التي  
يعسر الوفاء بها و تاره بالنميمة و الكذب ممّا يرونه منك من الأعمال و الأقوال ممّا لا تبلغ عقولهم كنهه فيدخرون ذلك في  
نفوسهم عده لوقت ينتهزون فيه فرصه الشر و من يعتزلهم يستغن عن التحفظ لذلك.

وَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِصَاحِبِهِ أَعْلَمُكَ شِعْراً هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَ هُوَ

ص: ٤٧

إخْفِضِ الصَّوْتِ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ

و من خالط الناس لا ينفك من حاسد و طاعن و من جرب ذلك عرف.

و

٢٢٠٥

مِنَ الْكَلَامِ الْمَأْثُورِ عَنِ عَلِيِّ ع

أَخْبَرَ تَقْلِهِ .

قال الشاعر من حمد الناس و لم يبلهم

٢٢٠٦

وَ قِيلَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَلَا تَأْتِي الْمَدِينَةَ قَالَ مَا بَقِيَ فِيهَا إِلَّا حَاسِدٌ نِعْمَةً أَوْ فَرَحٌ بِنِقْمَةٍ.

٢٢٠٧

وَ قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ كَتَبَ إِلَيْنَا صَاحِبٌ لَنَا أَمَا بَعِيدٌ فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا دَوَاءً يُتَدَاوَى بِهِ فَصَارُوا دَاءً لَا دَوَاءَ لَهُمْ فَفِرَّ مِنْهُمْ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ.

٢٢٠٨

وَ كَانَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ يُلَازِمُ شَجْرَةً وَ يَقُولُ هَيْدِهِ نَدِيمِي وَ هُوَ نَدِيمٌ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ إِنْ سَمِعَ لَمْ يَنِمَّ عَلَيَّ وَ إِنْ تَفَلَّتْ فِي وَجْهِهِ احْتَمَلَ وَ إِنْ عَرَبِدْتُ عَلَيْهِ لَمْ يَعْضَبْ فَسَمِعَ الرَّشِيدُ هَذَا الْخَبَرَ فَقَالَ قَدْ زَهَدَنِي سَمَاعُهُ فِي النَّدْمَاءِ.

٢٢٠٩

وَ كَانَ بَعْضُهُمْ يُلَازِمُ الدَّفَاتِرَ وَ الْمُقَابِرَ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ قَالَ لَمْ أَرِ أَسْلَمَ مِنَ الْوَحْدَةِ وَ لَا أَوْعَظَ مِنْ قَبْرِ وَ لَا أَمْتَعَ مِنْ دَفْتِرٍ.

٢٢١٠

وَ قَالَ الْحَسَنُ مَرَّةً إِنِّي أُرِيدُ الْحِجَّ فَجَاءَ إِلَيَّ ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ وَ قَالَ بَلَّغْنِي أَنَّكَ تُرِيدُ الْحِجَّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ نَضِي طَحِبَ فَقَالَ الْحَسَنُ دَعْنَا نَتَعَاشَرَ بِسِتْرِ اللَّهِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ نَضِطْحِبَ فَيَرَى بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ مَا تَتَمَاقَتُ عَلَيْهِ.

٢٢١١

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ كَانَ النَّاسُ وَرَقًا لَا شَوْكَ فِيهِ فَالنَّاسُ الْيَوْمَ شَوْكٌ لَا وَرَقَ فِيهِ.

٢٢١٢

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ لِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فِي الْيَقْظَةِ فِي حَيَاتِهِ وَفِي الْمَنَامِ بَعْدَ

ص: ٤٨

وَفَاتِهِ أَقْلِلْ مَعْرِفَةَ النَّاسِ فَإِنَّ التَّخْلَصَ مِنْهُمْ شَدِيدٌ وَلَا أَحْسَبُنِي رَأَيْتَ مَا أَكْرَهُ إِلَّا مِمَّنْ عَرَفْتُ.

٢٢١٣

وَقَالَ بَعْضُهُمْ جِئْتُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ وَهُوَ قَاعِدٌ وَخَدَهُ وَعِنْدَهُ كَلْبٌ رَابِضٌ قَرِيبًا مِنْهُ فَذَهَبَتْ أَطْرُدُهُ فَقَالَ دَعُهُ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يُؤْذِي وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ.

٢٢١٤

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ وَاحْذَرُوا النَّاسَ فَإِنَّهُمْ مِمَّا رَكِبُوا ظَهَرَ بَعِيرٍ إِلَّا- أَذْبَرُوهُ وَلَا- ظَهَرَ جَوَادٍ إِلَّا- عَقَرُوهُ وَلَا قَلْبَ مُؤْمِنٍ إِلَّا- أَخْرَبُوهُ.

٢٢١٥

وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَقْلِلِ الْمَعَارِفَ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لِمَدِينِكَ وَقَلْبِكَ وَأَخْفَ لِيْظَهْرِكَ وَأَدْعَى إِلَى سِقُوطِ الْحُقُوقِ عَنْكَ لِأَنَّهُ كَلَّمَا كَثُرَتِ الْمَعَارِفُ كَثُرَتِ الْحُقُوقُ وَعَسَرَ الْقِيَامُ بِالْجَمِيعِ.

٢٢١٦

وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَرَدْتَ النَّجَاةَ فَأَنْكِرْ مَنْ تَعْرِفُ وَلَا تَتَعَرَّفْ إِلَى مَنْ لَا تَعْرِفُ.

وَمِنْهَا أَنْ فِي الْعِزْلَةِ بَقَاءَ السِّتْرِ عَلَى الْمَرْوَةِ وَالْخَلْقِ وَالْفَقْرِ وَسَائِرِ الْعَوْرَاتِ وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَسْتَتِرِينَ فَقَالَ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ (١).

وَقَالَ الشَّاعِرُ وَلَا عَارَ أَنْ زَالَتْ عَنِ الْحَرِّ نَعْمَةٌ وَلَكِنْ عَارَا أَنْ يَزُولَ التَّجْمَلُ.

وَلَيْسَ يَخْلُو الْإِنْسَانَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَأَفْعَالِهِ عَنِ عَوْرَاتٍ يَتَّقِينَ وَيَجِبُ سِتْرُهَا وَلَا تَبْقَى السَّلَامَةُ مَعَ انْكَشَافِهَا وَلَا سَبِيلٌ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِتَرْكِ الْمَخَالَطَةِ.

وَمِنْهَا أَنْ يَنْقَطِعَ طَمَعُ النَّاسِ عَنْكَ وَيَنْقَطِعَ طَمَعُكَ عَنِ النَّاسِ أَمَا انْقِطَاعُ طَمَعِ النَّاسِ عَنْكَ فَفِيهِ نَفْعٌ عَظِيمٌ فَإِنْ رَضِيَ الْخَلْقُ غَايَةَ لَا تَدْرِكُ لِأَنَّ أَهْلَ حَقُوقِ النَّاسِ

ص: ٤٩

و أيسرها حضور الجنائز و عياده المريض و حضور الولائم و الإملاكات (١) و فى ذلك تضييع الأوقات و التعرض للآفات ثم يعوق عن بعضها العوائق و تستثقل فيها المعاذير و لا يمكن إظهار كل الأعذار فيقول لك قائل إنك قمت بحق فلان و قصرت فى حقى و يصير ذلك سبب عداوه فقد قيل إن من لم يعد مريضا فى وقت العياده يشتهى موته خيفه من تخجيله إياه إذا برأ من تقصيره فأما من يعم الناس كلهم بالحرمان فإنهم يرضون كلهم عنه و متى خصص وقع الاستيحاش و العتاب و تعميمهم بالقيام بجميع الحقوق مما لا قدره عليه للمتجرد ليله و نهاره فكيف من له مهم يشغله دينى أو دنيوى.

٢٢١٧

وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِهِمْ كَثْرَةُ الْأَصْدِقَاءِ زِيَادَةُ الْغُرَمَاءِ (٢).

و قال الشاعر عدوك من صديقك مستفاد

و أمّا انقطاع طمعك عنهم ففيه أيضا فائده جزيله فإن من نظر إلى زهره الدنيا و زخرفها تحرك حرصه و انبعث بقوه الحرص طمعه و أكثر الأطماع يتعقبها الخيبة فيتأذى الإنسان بذلك و إذا اعتزل لم يشاهد و إذا لم يشاهد لم يشته و لم يطمع و لذلك قال الله تعالى لنبية ص وَ لَا تُمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣) و

٢٢١٨

قَالَ عِ انظُرُوا إِلَىٰ مَنْ دُونَكُمْ وَ لَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.

ص: ٥٠

١- ١) الإملاكات: مجامع الترويج.

٢- ٢) ب: «كثره»، و ما أثبتته من ا، د.

٣- ٣) سورة الحجر ٨٨.

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كُنْتُ أَحْيَا السُّ الْأَعْيَاءَ فَلَا أزالُ مَعْمُوماً أرى ثوباً أحسنَ مِنْ ثوبِي وَ دَابَّةً أَفْرَهُ مِنْ دَابَّتِي فَجَالَسْتُ الْفُقَرَاءَ فَاسْتَرَحْتُ.

وَ خَرَجَ الْمُرْنِيُّ صِيحَابُ الشَّافِعِيِّ مِنْ بَابِ حِجَابِ الْفَسِيحِ طَائِفٍ بِمِصِيرٍ وَ كَانَ فَقيراً مُقْبلاً فَصَادَفَ ابْنَ عَبْدِ الْحَكَمِ قَدْ أَقْبَلَ فِي مَوْكِبِهِ فَبَهَرَهُ مَا رَأَى مِنْ حَالِهِ وَ حُسْنِ هَيَأْتِهِ فَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ (١) ثُمَّ قَالَ نَعَمْ أَصْبِرُ وَ أَرْضَى.

فالمعتزل عن الناس في بيته لا- يتلى بمثل هذه الفتن فإن من شاهد زينة الدنيا إما أن يقوى دينه و يقينه فيصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر و هو أمر من الصبر أو تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك دنيا و آخره أما في الدنيا فبالطمع الذي في أكثر الأوقات يتضمن الذل المعجل و أما في الآخرة فلا يثاره متاع الدنيا على ذكر الله و التقرب إليه و لذلك قال الشاعر إذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر.

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلاً.

و منها الخلاص من مشاهدته الثقلاء و الحمقى و معاناه أخلاقهم فإن رؤيه الثقيل هي العمى الأصغر

١٦- قِيلَ لِلْأَعْمَشِ بِمِ عَمِشَتْ عَيْنَاكَ (٢) قَالَ بِالنَّظَرِ إِلَى الثُّقَلَاءِ.

وَ دَخَلَ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ رُوِينَا فِي الْخَبْرِ أَنَّ مَنْ سَلِبَ كَرِيمَتِيهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمَا فَمَا الَّذِي عَوَّضَكَ قَالَ كَفَانِي رُؤْيِيهِ ثَقِيلٌ مِثْلَكَ يُمَارِجُهُ .

وَ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا جَالَسْتُ ثَقِيلاً إِلَّا وَجَدْتُ الْجَانِبَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْ بَدَنِي كَأَنَّهُ أَثْقَلُ عَلَيَّ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ.

و هذه المقاصد و إن كان بعضها دنيوياً إلا أنها تضرب في الدين بنصيب و ذلك لأن



من تأذى برؤيه ثقيل لم يلبث أن يغتابه و يثلبه و ذلك فساد فى الدين و فى العزله السلامه عن جميع ذلك.

و اعلم أن كلام أمير المؤمنين ع تختلف مناهجه فقد رجح العزله فى هذا الفصل على المخالطه و نهى عن العزله فى موضع آخر سيأتى ذكره فى الفصل الذى أوله أنه دخل على العلاء بن زياد الحارثى عائدا و يجب أن يحمل ذلك على أن من الناس من العزله خير له من المخالطه و منهم من هو بالضد من ذلك

٢٢٢٣

وَ قَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ قَالَ لِيُونُسَ بْنِ عَبِيدِ الْأَعْلَى صَاحِبِهِ يَا يُونُسُ الْإِنْتِبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبٌ لَهُ لِلْعِدَاوَةِ وَالْإِنْسِاطُ إِلَيْهِمْ مَجْلِبَةٌ لِقُرْنَاءِ السَّوِّ فَكُنْ بَيْنَ الْمُتَقَبِّضِ وَالْمُتَبَسِّطِ.

فإذا أردت العزله فينبغى للمعتزل أن ينوى بعزلته كف شره عن الناس أولا ثم طلب السلامه من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفه القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة بعباده الله تعالى رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم و العمل و الذكر و الفكر ليجتنى ثمره العزله و يجب أن يمنع الناس عن أن يكثرُوا غشيانه و زيارته فيتشوش وقته و أن يكف نفسه عن السؤال عن أخبارهم و أحوالهم و عن الإصغاء إلى أراجيف الناس و ما الناس مشغولون به فإن كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث على الخاطر و البال وقت الصلاة و وقت الحاجه إلى إحضار القلب فإن وقوع الأخبار فى السمع كوقوع البذر فى الأرض لا بد أن ينبت و تتفرع عروقه و أغصانه و إحدى مهمات المعتزل قطع الوسوس الصارفه عن ذكر الله و لا ريب أن الأخبار ينابيع الوسوس و أصولها.

و يجب أن يقنع باليسير من المعيشه و إلا اضطره التوسع إلى الناس و احتاج إلى مخالطتهم.

ص: ٥٢

و ليكن صبورا على ما يلقاه من أذى الجيران إذ يسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقول فيه من أثنى عليه بالعزله و قدح فيه بترك المخالطه فإن ذلك لا بد أن يؤثر في القلب و لو مده يسيره و حال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفا عن سيره في طريق الآخره فإن السير فيها إمّا يكون بالمواظبه على ورد أو ذكر مع حضور قلب و إمّا بالفكر في جلال الله و صفاته و أفعاله و ملكوت سماواته و إمّا بالتأمل في دقائق الأعمال و مفسدات القلب و طلب طرق التخلص منها و كل ذلك يستدعى الفراغ و لا ريب أن الإصغاء إلى ما ذكرناه يشوش القلب.

و يجب أن يكون للمعتزل أهل صالح أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه ساعه عن كد المواظبه ففي ذلك عون له على بقيه الساعات و ليس يتم للإنسان الصبر على العزله إلاّ بقطع الطمع عن الدنيا و ما الناس منهمكون فيه و لا ينقطع طمعه إلاّ بقصر الأمل و ألا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على أنه لا يمسى و يمسى على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم و لا يسهل عليه العزم على صبر عشرين سنه لو قدر تراخى أجله و ليكن كثير الذكر للموت و وحده القبر مهما ضاق قلبه من الوحده و ليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله و معرفته ما يأنس به فإنه لا يطيق وحشه الوحده بعد الموت و أن من أنس بذكر الله و معرفته فإن الموت لا يزيل أنسه لأن الموت ليس يهدم محل الأُنس و المعرفه بل يبقى حيا بمعرفته و أنسه فرحا بفضل الله عليه قال سبحانه وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (١).

و كل من يجرد نفسه في ذات الله فهو شهيد مهما أدركه الموت فالمجاهد من

ص: ٥٣

جاهد نفسه و هواه كما صرّح به ع و

٢٢٢٤

قَالَ لِأَصْحَابِهِ رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ.

فالجهد الأصغر محاربه المشركين و الجهد الأكبر جهاد النفس.

و هذا الفصل فى العزله نقلناه على طوله من كلام أبى حامد الغزالى فى إحياء علوم الدين و هذبنا منه ما اقتضت الحال تهذيبه

(١)

ص: ٥٤

---

١- (١) كتاب آداب العزله؛ من كتاب الإحياء ٢:٢٢١-٢٤٤، و هو الكتاب السادس من ربع العادات .

اشاره

فَأَجْمَعَ رَأْيَ مَلَيْكُمَ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعِلَا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلَا يُجَاوِزَاهُ وَ تَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَ قُلُوبُهُمَا  
تَبَعُهُ فَتَاهَا عَنْهُ وَ تَرَكَ الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا وَ الْإِعْوَجَاجُ [دَأْبُهُمَا]

رَأْيُهُمَا وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا وَ الثَّقَّةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا حِينَ  
خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ وَ أَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ .

الملا الجماعة و يجعجا يحبسا نفوسهما و آراءهما عند القرآن جعجت أي حبست أخذت عليهما العهد و الميثاق أن يعملوا بما  
في القرآن و لا يتجاوزاه .

فتاها عنه

أي عدلا و تركا الحق على علم منهما به.

و الدأب العاده و سوء رأيهما منصوب لأنه مفعول سبق و الفاعل استثناؤنا .

ثم قال و الثقه في أيدينا أي نحن على برهان و ثقه من أمرنا و ليس بضائر لنا ما فعلاه لأنهما خالفا الحق و عدلا عن الشرط و  
عكسا الحكم.

ص: ٥٥

وَرَوَى النَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ أَمَرَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ وَكَانَ قَاضِيًا بِنَفْسِهِ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَتِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ يَا آلَ أَبِي مُوسَى إِنَّمَا خَلَقَكُمُ اللَّهُ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

### كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص و هو على مصر

كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ عَلَى مِصْرَ قَدْ قَبِضَ بِهَا بِالشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطَ عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ وَزُورَ أَهْلَ الْعِرَاقِ كَثُرُوا عَلَيَّ وَ لَيْسَ عِنْدِي فَضْلٌ عَنْ أُعْطِيَاتِ الْحِجَازِ فَأَعْنِي بِخِرَاجِ مِصْرَ هَذِهِ السَّنَةِ فَكَتَبَ عَمْرُو إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ إِنَّ تُدْرِكُكَ نَفْسٌ شَاحِيحَةٌ

ثُمَّ كَتَبَ فِي ظَاهِرِ الْكِتَابِ وَرَأَيْتُ أَنَا هَذِهِ الْأَيَّاتِ بِحَطِّ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْخَطِيبِ التَّبْرِيذِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ حَطَّى لَا تَعْفَلِ

فَلَمَّا بَلَغَ الْجَوَابُ إِلَى مُعَاوِيَةَ لَمْ يُعَاوِذْهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ مِصْرَ بَعْدَهَا.

٢٢٢٧

بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَوْحَ بْنَ زَيْنَبٍ وَبِلَالَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى إِلَى زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ بِكَلَامٍ وَحَدَّرَهُمَا مِنْ كَيْدِهِ وَخَصَّ بِالتَّحْدِيرِ رَوْحًا فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَبَاهُ كَانَ الْمَخْدُوعَ يَوْمَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ لَا أَبِي فَعَلَامَ تُخَوِّفُنِي الْخِدَاعَ وَالْكَيْدَ فَعَضَّ بِبِلَالَ وَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ .

ص: ٥٧

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَلَا يُعَيِّرُهُ زَمَانٌ وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ لَا يَغْرُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومُ السَّمَاءِ وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ وَلَا دَيْبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأُورَاقِ وَ خَفِيَ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرُ مَعْدُولٍ بِهِ وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَلَا مَجْجُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَةٌ مِنْ صَدَقَتْ نَيْتُهُ وَ صَفَتْ دِخْلَتُهُ وَ خَلَصَ يَقِينُهُ وَ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ الْمَجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ وَ الْمُعْتَمَّامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَ الْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ وَ الْمُصْطَفَى لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ وَ الْمَوْضَّحُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَ الْمَجْلُوبُ بِهِ غَرْيِبُ الْعَمَى .

لا يشغله

أمر لأن الحى الذى تشغله الأشياء هو الحى العالم بالبعض دون البعض و القادر على البعض دون البعض فأما من لا يغيب عنه شىء أصلا و لا يعجز عن شىء أصلا و لا يمنعه من إيجاد مقدوره إذا أراد مانع أصلا فكيف يشغله شأن.

و كذلك لا يغيره زمان لأنه واجب الوجود و لا يحويه مكان لأنه ليس بجسم

ص: ٥٨

و لا يصفه لسان لأن كنه ذاته غير معلوم و إنما المعلوم منه إضافات أو سلوب.

و لا يعزب عنه أمر من الأمور أى لا يفوته علم شىء أصلا.

و السوافى التى تسفى التراب أى تذروه.

و الصفا مقصور الصخر الأملس و لا وقف عليها هاهنا لأن المقصور لا يكون فى مقابله الممدود و إنما فقره المقابله للهواء هى الظلماء و يكون الصفا فى أدراج الكلام أسوه بكلمه من الكلمات و الذر صغار النمل .

و يعلم مساقط الأوراق من قوله تعالى وَ مَا تَشْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا (١).

و طرف الأحداق مصدر طرف البصر يطرف طرفا إذا انطبق أحد الجفنين على الآخر و لكونه مصدرا وقع على الجماعه كما وقع على الواحد فقال ع طرف الأحداق كما قال سبحانه لَا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ (٢).

و غير معدول به غير مسوى بينه و بين أحد .

و الدخله بكسر الدال باطن الأمر و يجوز الدخله بالضم .

و المعتام المختار و العيمه بالكسر خيار المال اعتام الرجل إذا أخذ العيمه.

فإن قلت لفظه معتام و مختار تصلح للفاعل و المفعول فما ذا يفصل بينهما.

قلت بما يقترن باللفظ من الكلام قبله و بعده.

فإن قلت فهل يختلفان فى التقدير فى صناعه النحو و إن اتفقا فى اللفظ.

قلت نعم فإن عين الكلمه ياء مفتوح ما قبلها فإن أردت الفاعل فهى مكسوره و تقديره مختير مثل مخترع و إن كان مفعولا فهى مفتوحه -

ص: ٥٩

١-١) سورة الأنعام ٥٩.

٢-٢) سورة إبراهيم ٤٣.



و تقديره مختير مثل مخترع و على كلا التقديرين لا بد من انقلاب الياء ألفا و اللفظ واحد و لكن يقدر على الألف كسره للفاعل و فتحه للمفعول و كذلك القول فى معتام و مضطر و نحوهما.

و حكى أن بعض المتكلمين من المجبره قال أسمى العبد مضطرا إلى الفعل إذا فعله و لا أسمى الله تعالى مضطرا إليه.

قيل فكيف تقول قال مضطر بكسر الطاء فضحك أهل المجلس منه .

و العقائل جمع عقيله و هى كريمه كل شىء من الناس و الإبل و غير ذلك و يقال للذره عقيله البحر .

و أشرط الهدى علاماته و منه أشرط الساعه قال تعالى فَفَدَّ بِجَاءِ أَسْرَاطُهَا (١).

و الغريب الأسود الشديد السواد و يجلى به غريب العمى تكشف به ظلم الضلال و تستنير بهدايته و قوله تعالى وَ غَرَابِيبُ سُودٍ (٢) ليس على أن الصفه قد تقدمت على الموصوف بل يجعل السود بدلا من الغرابيب.

فإن قلت الهاء فى حقائقه إلى ما ذا ترجع.

قلت إلى البارئ سبحانه و حقائقه حقائق توحيده و عدله فالمضاف محذوف و معنى حقائق توحيده الأمور المحققه اليقنيه التى لا تعترىها الشكوك و لا تتخالجها الشبه و هى أدله أصحابنا المعتزله التى استنبطوها بعقولهم بعد أن دلهم إليها و نبههم على طرق استنباطها رسول الله ص بواسطة أمير المؤمنين ع لأنه إمام المتكلمين الذى لم يعرف علم الكلام من أحد قبله

ص : ٦٠

١- ١) سورة محمد ١٨.

٢- ٢) سورة فاطر ٢٧.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَ الْمُخْلِتِدَ إِلَيْهَا وَ لَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا وَ تَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا وَ أَيُّمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطَّ فِي غَضِّ نِعْمِهِ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا- بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ وَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمَ وَ تَزُولُ عَنْهُمْ النِّعْمَ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَ وَلَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَ أَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ وَ إِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرِهِ وَ قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مَلْتَمٌ فِيهَا مَيْلَهُ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ وَ لِيُنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسِيَّ عِدَاءٍ وَ مَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ وَ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ .

المخلد

المائل إليها قال تعالى وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ (١) .

وَ لَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا

لا تضن به أى من نافس فى الدنيا فإن الدنيا تهينه و لا تضن به كما يظن بالعلق النفيس.

ثم قال و تغلب من غلب عليها أى من غلب على الدنيا مقاهره فسوف تغلبه الدنيا و تهلكه .

ثم أقسم أنه ما كان قوم فى غض نعمة أى فى نعمة غضه أى طريه ناضره فزاله عنهم

ص: ٦١

أى اكتسبوها وهذا يكاد يشعر بمذهب أهل التناسخ و من قال إن الألم لا يحسن أن يفعله الحكيم سبحانه و تعالى بالحيوانات إلاّ مستحقاً فأما مذهب أصحابنا فلا- يتخرج هذا الكلام عليه لأنه يجوز عندهم أن تزول النعم عن الناس لضرب من اللطف مضاف إلى عوض يعوضهم الله تعالى به فى الآخرة فيجب أن يحمل هذا الكلام لا على عمومه بل على الأكثر و الأغلب .

ثمّ قال ع لو أن الناس عند حلول النقم بهم و زوال النعم عنهم يلتجئون إلى الله تعالى تائبين من ذنوبهم لرفع عنهم النقمه و أعاد إليهم النعمه.

و الوله كالتحير يحدث عند الخوف أو الوجد و الشارد الذاهب .

قوله و إنى لأخشى عليكم أن تكونوا فى فتره أى فى أمر جاهليه لغلبه الضلال و الجهل على الأكثرين منهم.

و هذه خطبه خطب بها ع بعد قتل عثمان فى أول خلافته ع و قد تقدم ذكر بعضها و الأمور التى مالوا فيها عليه اختيارهم عثمان و عدولهم عنه يوم الشورى . و قال لئن ردّ عليكم أمركم أى أحوالكم التى كانت أيام رسول الله ص من صلاح القلوب و النيات إنكم سعداء .

و الجهد بالضم الطاقه .

ثمّ قال لو شاء أن أقول لقلت أى لو شئت لذكرت سبب التحامل على و تأخرى عن غيرى و لكنى لا أشاء ذلك و لا أستصلح ذكره.

ثم قال عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ لفظ مأخوذ من الكتاب العزيز عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (١).

و هذا الكلام يدل على مذهب أصحابنا في أن ما جرى من عبد الرحمن (٢) و غيره في يوم الشورى و إن كان لم يقع على الوجه الأفضل فإنه معفو عنه مغفور لفاعله لأنه لو كان فسقا غير مغفور لم يقل أمير المؤمنين ع عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ

ص: ٦٣

---

١-١) سورة المائدة ٩٥.

٢-٢) هو عبد الرحمن بن عوف.

وَ قَدْ سَأَلَهُ ذُعْلَبُ الْيَمَانِيِّ فَقَالَ هَلْ رَأَيْتَ رَبِّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَ أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى فَقَالَ وَ كَيْفَ تَرَاهُ قَالَ لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ  
بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَ لَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ [مَلَامِسٍ]

مَلَامِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٍ [بِلَا رَوِيهِ]

لَا - بِرَوِيهِ مُرِيدٌ لَا - بِهِمَّهِ صَيَانِعٌ لَا - بِخَارِحِهِ لَطِيفٌ لَا - يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا - يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسِنَةِ رَجِيمٌ لَا  
يُوصَفُ بِالرَّقَةِ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَ تَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ .

الذعلب فى الأصل الناقه السريعه و كذلك الذعلبه ثم نقل فسمى به إنسان و صار علما كما نقلوا بكرا عن فتى الإبل إلى بكر بن وائل . و اليمانى مخفف الياء و لا يجوز تشديدها جعلوا الألف عوضا عن الياء الثانيه و كذلك فعلوا فى الشامى و الأصل يمنى و شامى .

و قوله ع أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى مقام رفيع جدا لا يصلح أن يقوله غيره ع .

ثم ذكر ماهيه هذه الرؤيه قال إنها رؤيه البصيره لا رؤيه البصر .

ثم شرح ذلك فقال إِنَّهُ تَعَالَى قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مَلَامَسٍ لَهَا لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَإِنَّمَا قَرَبَهُ (١) مِنْهَا عِلْمُهُ بِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ (٢) .

قوله بعيد منها غير مباين لأنه أيضا ليس بجسم فلا يطلق عليه البينونه وبعده منها هو عبارته عن انتفاء اجتماعه معها و ذلك كما يصدق على البعيد بالوضع يصدق أفضل الصدق على البعيد بالذات الذي لا يصحّ الوضع و الأين أصلا عليه .

قوله متكلم بلا- رويه الرويه الفكره يرتئى الإنسان بها ليصدر عنه ألفاظ سديده داله على مقصده و البارئ تعالى متكلم لا بهذا الاعتبار بل لأنه إذا أراد تعريف [خلقه (٣)]

من جهه الحروف و الأصوات و كان فى ذلك مصلحه و لطف لهم خلق الأصوات و الحروف فى جسم جمادى فيسمعها من يسمعها و يكون ذلك كلامه لأن المتكلم فى اللغه العربيه فاعل الكلام لا من حله الكلام و قد شرحنا هذا فى كتبنا الكلاميه .

قوله مرید بلا همه أى بلا عزم فالعزم عبارته عن إرادته متقدمه للفعل تفعل توطينا للنفس على الفعل و تمهيدا للإرادته المقارنه له و إنما يصحّ ذلك على الجسم الذى يتردد فيها تدعوه إليه الدواعى فأما العالم لذاته فلا يصحّ ذلك فيه .

قوله صانع لا بجارحه أى لا بعضو لأنه ليس بجسم .

قوله لطيف لا يوصف بالخفاء لأن العرب إذا قالوا لشيء إنه لطيف أرادوا أنه صغير الحجم و البارئ تعالى لطيف لا بهذا الاعتبار بل يطلق باعتبارين

ص: ٦٥

١-١ (١) د: «قربته».

٢-٢ (٢) سورة المجادله ٧.

٣-٣ (٣) زياده يقتضيها السياق.

أحدهما أنه لا يرى لعدم صحه رؤيه ذاته فلما شابه اللطيف من الأجسام فى استحاله رؤيته أطلق عليه لفظ اللطيف إطلاقا للفظ السبب على المسبب.

و ثانيهما أنه لطيف بعباده كما قال فى الكتاب العزيز أى يفعل الألفاف المقربه لهم من الطاعه المبعده لهم من القبيح أو لطيف بهم بمعنى أنه يرحمهم و يرفق بهم.

قوله كبير لا- يوصف بالجفاء لما كان لفظ كبير إذا استعمل فى الجسم أفاد تباعد أقطاره ثم لما وصف البارئ بأنه كبير أراد أن ينزهه عما يدلّ لفظ كبير عليه إذا استعمل فى الأجسام و المراد من وصفه تعالى بأنه كبير عظمه شأنه و جلاله سلطانه .

قوله بصير لا يوصف بالحاسه لأنه تعالى يدرك إمّا لأنه حى لذاته أو أن يكون إدراكه هو علمه و لا جارحه له و لا حاسه على كل واحد من القولين .

قوله رحيم لا- يوصف بالرقه لأن لفظه الرحمه فى صفاته تعالى تطلق مجازا على (١) إنعامه على عباده لأن الملك إذا رق على رعيتة و عطف أصابهم بإنعامه و معروفه .

قوله تعنو الوجوه أى تخضع قال تعالى وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ (٢).

قوله و تجب القلوب أى تخفق و أصله من وجب الحائط سقط و يروى توجل القلوب أى تخاف و جل خاف.

و روى صانع لا بحاسه و روى لا تراه العيون بمشاهده العيان عوضا عن لا تدركه

ص: ٦٦

---

١-١ (١) ب،د: «عن».

٢-٢ (٢) سورة طه ١١١.

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ وَعَلَى ائْتِلَائِي بِكُمْ أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعَ وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ إِنْ  
[أُهْمِلْتُمْ]

أُهْمِلْتُمْ خُصْمُكُمْ وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُزْتُمْ وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ.

لَا أَبَا لِعَيْرِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصِيرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ الْمَوْتِ أَوْ الدُّلَّ لَكُمْ فَوَ اللَّهُ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي وَلَيَأْتِيَنِي لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ  
وَ أَنَا لَصِدِّحِيَّتِكُمْ قَالِ وَ بِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ لِلَّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَ لَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ أ وَ لَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاءَ الطَّغَامَ  
فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَ لَا عَطَاءٍ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ وَ أَنْتُمْ تَرِيكُهُ الْإِسْلَامَ وَ بَقِيَّةَ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفِهِ مِنَ الْعَطَاءِ [فَتَتَفَرَّقُونَ]

فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَ تَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي [رِضًا]

رَضِيَ فَتَرَضُونَهُ وَ لَا سِيْخُطُ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَ إِنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لَأَقِي إِلَى الْمَوْتِ قَدْ دَارَسْتُمْ الْكِتَابَ وَ فَاتَخْتَكُمُ الْحِجَابَ وَ عَرَّفْتُمْ  
مَا أَنْكَرْتُمْ وَ سَوَّعْتُمْ مَا مَجَبْتُمْ لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ



وَ أَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِّنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَ مُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّبِغَةِ .

قضى

و قدر فى هذا الموضع واحد.

و يروى على ما ابتلانى .

و أهملتم خليتم و تركتم و يروى أهملتم أى أخرتم.

و خرتم ضعفتم و الخور الضعف رجل خوار و رمح خوار و أرض خواره و الجمع خور و يجوز أن يكون خرتم أى صحتم كما يخور الثور و منه قوله تعالى عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ نُخُورٌ (١) و يروى جرتم أى عدلتم عن الحرب فرارا .

و أجتتم أجتتم قال تعالى فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ (٢) .

و المشاقه المقاطعه و المصارمه.

و نكصتم أجمتم قال تعالى فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ أى رجع محجما أى دعيتم إلى كشف القناع مع العدو و جبتتم و هبتموه .

قوله لا أبا لغيركم الأفصح لا أب بحذف الألف كما قال الشاعر أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم (٣) .

و أما قولهم لا أبا لك يا ثباته فدون الأول فى الفصاحه كأنهم قصدوا الإضافه و أقحموا اللام مزیده مؤكده كما قالوا يا تيم تيم عدى و هو غريب لأن حكم

ص: ٦٨

١-١) سورة طه ٨٨.

٢-٢) سورة مريم ٢٣.

٣-٣) لنهار بن توسعه اليشكرى؛ و البيت من شواهد سيبويه.

لا- أن تعمل في النكرة فقط و حكم الألف أن تثبت مع الإضافه و الإضافه تعرف فاجتمع فيها حكمان متنافيان فصار من الشواذ كالملاح و المذاكير و لدن غدوه (١).

و قال الشيخ أبو البقاء رحمه الله يجوز فيها وجهان آخران.

أحدهما أنه أشبع فتحه الباء فنشأت الألف و الاسم باق على تنكيره و الثانى أن يكون استعمل أبا على لغة من قالها أبا فى جميع أحوالها مثل عصا و منه إن أباه و أبا أباه (٢).

قوله الموت أو الذل لكم دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين كأنه شرع داعيا عليهم بالفناء الكلى و هو الموت ثم استدرك فقال أو الذل لأنه نظير الموت فى المعنى و لكنه فى الصورة دونه و لقد أجيب دعاءه ع بالدعوه الثانیه فإن شيعته ذلوا بعد فى الأيام الأمويه حتى كانوا كفقع قرقر (٣).

ثم أقسم أنه إذا جاء يومه لتكونن مفارقتهم لهم عن قلى و هو البغض و أدخل حشوه بين أثناء الكلام و هى ليأتينى و هى حشوه لطيفه لأن لفظه إن أكثر ما تستعمل لما لا يعلم حصوله و لفظه إذا لما يعلم أو يغلب على الظن حصوله تقول إذا طلعت الشمس جئت إليك و لا تقول إن طلعت الشمس جئت إليك و تقول إذا احمر البسر جئتكم و لا تقول إن احمر البسر جئتكم فلما قال لئن جاء يومى أتى بلفظه داله على أن الموضع موضع إذا لا موضع إن فقال و ليأتينى .

ص: ٦٩

١ - ١) أى أنهما لا يستعملان إلا هكذا، فلا يستعملون «ملمحه»، و لا يستعملون «مذكارا»، كما أن «لدى» اختصت «بغدوه»، و انظر سيويه ١: ٣٤٨.

٢ - ٢) بقيته: «قد بلغا فى المجد غايتها» و هو من شواهد النحاه؛ و انظر ابن عقيل ١: ٤٦.

٣ - ٣) الفقع: ضرب من أردأ الكمأه، و القرقر: المكان المستوى الأملس؛ و يشبه به الرجل الذليل؛ فيقال: هو أذل من فقع بقرقر؛ لأن الدواب تنجله بأرحلها.

و الواو فى قوله و أنا لصحبكم واو الحال و كذلك الواو فى قوله و بكم غير كثير و قوله غير كثير لفظ فصيح و قال الشاعر لى  
خمسون صديقا

قوله لله أنتم لله فى موضع رفع لأنه خبر عن المبتدأ الذى هو أنتم و مثله لله در فلان و لله بلاد فلان و لله أبوك و اللام هاهنا فيها  
معنى التعجب و المراد بقوله لله أنتم لله سعيكم أو لله عملكم كما قالوا لله درك أى عملك فحذف المضاف و أقيم الضمير  
المنفصل المضاف إليه مقامه.

فإن قلت أ فجاءت هذه اللام بمعنى التعجب فى غير لفظ لله قلت لا كما أن تاء القسم لم تأت إلا فى اسم الله تعالى.

قوله ع ما دين يجمعكم ارتفاع دين على أنه فاعل فعل مقدر له أى أ ما يجمعكم دين يجمعكم اللفظ الثانى مفسر للأول كما  
قدرناه بعد إذا فى قوله سبحانه إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ و يجوز أن يكون حميه مبتدأ و الخبر محذوف تقديره أ ما لكم حميه و الحميه  
الأنفه.

و شحذت النصل أحدته .

فإن قلت كيف قال إن معاويه لم يكن يعطى جنده و إنه هوع كان يعطيهم و المشهور أن معاويه كان يمد أصحابه بالأموال و  
الرياء قلت إن معاويه لم يكن يعطى جنده على وجه المعونه و العطاء و إنما كان يعطى رؤساء القبائل من اليمن و ساكنى  
الشام الأموال الجليله يستعبدهم بها و يدعو أولئك

الرؤساء أتباعهم من العرب فيطيعونهم فمنهم من يطيعهم حميه و منهم من يطيعهم لأيد و عوارف من أولئك الرؤساء عندهم و منهم من يطيعهم دينا زعموا للطلب بدم عثمان و لم يكن يصل إلى هؤلاء الأتباع من أموال معاويه قليل و لا كثير.

و أما أمير المؤمنين ع فإنه كان يقسم بين الرؤساء و الأتباع على وجه العطاء و الرزق و لا يرى لشريف على مشروف فضلا فكان من يقعد عنه بهذا الطريق أكثر ممن ينصره و يقوم بأمره و ذلك لأن الرؤساء من أصحابه كانوا يجدون في أنفسهم من ذلك أعنى المساواه بينهم و بين الأتباع فيخذلونه ع باطنا و إن أظهروا له النصر و إذا أحس أتباعهم بتخاذلهم و تواكلهم تخاذلوا أيضا و تواكلوا أيضا و لم يجد عليه ص ما أعطى الأتباع من الرزق لأن انتصار الأتباع له و قتالهم دونه لا يتصور وقوعه و الرؤساء متخاذلون فكان يذهب ما يرزقهم ضياعا.

فإن قلت فأى فرق بين المعونه و العطاء.

قلت المعونه إلى الجند شيء يسير من المال برسم ترميم أسلحتهم و إصلاح دوابهم و يكون ذلك خارجا عن العطاء المفروض شهرا فشهر و العطاء المفروض شهرا فشهر يكون شيئا له مقدار يصرف في أثمان الأقوات و مؤنه العيال و قضاء الديون .

و التريكة بيضه النعام تتركها في مجتمها يقول أنتم خلف الإسلام و بقيته كالبيضة التي تتركها النعامه .

فإن قلت ما معنى قوله لا- يخرج إليكم من أمرى رضا فترضونه و لا- سخط فتجتمعون عليه قلت معناه أنكم لا تقبلون ممّا أقول لكم شيئا سواء كان ممّا يرضيكم أو ممّا يسخطكم بل لا بدّ لكم من المخالفه و الافتراق عنه

ثم ذكر أن أحب الأشياء إليه أن يلقي الموت و هذه الحال التي ذكرها أبو الطيب فقال كفى بك داء أن ترى الموت شافيا  
قوله قد دارستكم الكتاب أى درسته عليكم دارست الكتب و تدارستها و أدرستها و درستها بمعنى و هى من الألفاظ القرآنيه  
(١).

و فاتحتكم الحجاج

أى حاكمتمكم بالمحاجه و المجادله و قوله تعالى رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا (٢) أى احكم و الفتاح الحاكم .

و عرفتمكم ما أنكرتم

بصرتكم ما عمى عنكم.

و سوغتكم ما مجبتم

يقال مجبت الشراب من فمى أى رميت به و شيخ ماج يمج ريقه و لا يستطيع حبسه من كبره و أحمق ماج أى يسيل لعابه يقول  
ما كانت عقولكم و أذهانكم تنفر عنه من الأمور الدينيه أوضحته لكم حتى عرفتموه و اعتقدتموه و انطوت قلوبكم عليه و لم  
يجزم ع بحصول ذلك لهم لأنه قال لو كان الأعمى يلحظ و النائم يستيقظ أى إنى قد فعلت معكم ما يقتضى حصول الاعتقادات  
الحقيقيه فى أذهانكم لو أزلتم عن قلوبكم ما يمنع من حصولها لكم و المانع المشار إليه هو الهوى و العصبية و الإصرار على  
اللجاج و محبه نصره عقیده قد سبقت إلى القلب و زرعها التعصب

ص: ٧٢

١- (١) ديوانه ٢٨١: ٤.

٢- (٢) من قوله تعالى فى سورة آل عمران ٧٩: كُونُوا رَبَّائِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ .

و مشقه مفارقه الأسلاف الذين قد انغرس فى النفس تعظيمهم و مالت القلوب إلى تقليدهم لحسن الظن بهم .

ثم قال أقرب بقوم أى ما أقربهم من الجهل كما قال تعالى أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ (١) أى ما أسمعهم و أبصرهم.

فإن قلت قد كان يجب أن يقول و أقرب بقوم قائدهم معاويه و مؤدبهم ابن النابغه من الجهل فلا يحول بين النكره الموصوفه و صفتها بفصل غريب و لم يقل ذلك بل فصل بين الصفه و الموصوف بأجنبى منهما.

قلت قد جاء كثير من ذلك نحو قوله تعالى وَ مِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَافِقُونَ وَ مِّنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ (٢) فى قول من لم يجعل مَرَدُوا صفه أقيمت مقام الموصوف لأنه يجعل مَرَدُوا صفه القوم المحذوفين المقدرين بعد الأعراب و قد حال بين ذلك و بين مَرَدُوا قوله وَ مِّنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

و نحوه قوله أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيمًا (٣) .

فإن قِيمًا حال من الْكِتَابِ و قد توسط بين الحال و ذى الحال وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا و الحال كالصفه و لأنهم قد أجازوا مررت برجل أيها الناس طويل و النداء أجنبى على أنا لا- نسلم أن قوله من الجهل أجنبى لأنه متعلق بأقرب و الأجنبى ما لا تعلق له بالكلام

ص: ٧٣

١-١) سورة الكهف ٢٦.

٢-٢) سورة التوبه ١٠١.

٣-٣) سورة الكهف ١٠٢.

وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمٌ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عَ فَلَمَّا  
عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ أَمْنُوا فَقَطُّنُوا أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا فَقَالَ الرَّجُلُ بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَ بَعِيدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ أَمَا  
لَوْ أَسْرَعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَتْ مِنْهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهُمْ وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ  
مِنْهُمْ وَتُخَلِّ عَنْهُمْ فَحَسْبُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى وَصَدَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَجَمَّحَهُمْ فِي التَّبْيِ .

قد ذكرنا قصه هؤلاء القوم فيما تقدم عند شرحنا قصه مصقله بن هبيرة الشيباني وقطن الرجل بالمكان يقطن بالضم أقام به و  
توطنه فهو قاطن و الجمع قطان و قاطنه و قطين أيضا مثل غاز و غزى و عازب للكلاء البعيد و عزيز.

و ظعن صار الرجل ظعنا و ظعنا و قرئ بهما يَوْمَ ظَغْنِكُمْ (١) و أظعنه سيره و انتصب بعدا على المصدر.

ص: ٧٤

و ثمود إذا أردت القبيله غير مصروف و إذا أردت الحىّ أو اسم الأب مصروف و يقال إنّه ثمود بن عابر بن آدم بن سام بن نوح قيل سميت ثمود لقله مائها من الثمد و هو الماء القليل و كانت مساكنهم الحجر بين الحجاز و الشام إلى وادى القرى . و أشرت الرمح إلى زيد أى سدده نحوه و شرع الرمح نفسه و صبت السيوف على هاماتهم استعاره من صببت الماء شبه وقع السيوف و سرعه اعتوارها الرءوس بصب الماء .

و استفلهم الشيطان و جدهم مفلولين فاستزلهم هكذا فسروه.

و يمكن عندى أن يريد أنّه و جدهم فلا لا خير فيهم و الفل فى الأصل الأرض لا نبات بها لأنها لم تمطر قال حسان يصف العزى (١) و إن التى بالجدع من بطن نخله و من دانها فل من الخير معزل (٢) .

أى خال من الخير.

و يروى استفزهم أى استخفهم .

و الارتكاس فى الضلال الرجوع كأنّه جعلهم فى ترددهم فى طبقات الضلال كالمرتكس الراجع إلى أمر قد كان تخلص منه.

و الجماح فى التيه الغلّو و الإفراط مستعار من جماح الفرس و هو أن يعتز صاحبه و يغلبه جمع فهو جموح

ص: ٧٥

---

١- ١) فى الأصل: «الغرى»، تصحيف، و فى الصحاح: «العزى» و هى شجره كانت تعبد.

٢- ٢) اللسان ١٤: ٤٧، و نسبه إلى عبد الله بن رواحه، و ذكر قبله: شهدت و لم أكذب بأنّ محمّدا رسول الذى فوق السماوات من عل..



## اشاره

رَوَى عَنْ نَوْفِ الْبِكَالِيِّ قَالَ خَطَبْنَا بِهِذِهِ الْخُطْبَةَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ ع بِالْكَوْفَةِ وَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارِهِ نَصَبَهَا لَهُ جَعِدَهُ بِنُ هَيْبَةَ  
 الْمَخْزُومِيِّ وَ عَلَيْهِ مِطْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَ حَمَائِلٌ سَيْفِيهِ لَيْفٌ وَ فِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لَيْفٍ وَ كَأَنَّ جَبِينَهُ ثَفْنُهُ بَعِيرٍ فَقَالَ ع الْحَمْدُ لِلَّهِ  
 الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ الْخَلْقِ وَ عَوَاقِبُ الْأَمْرِ نَحْمِدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَ نَبِيرِ بُرْهَانِهِ وَ نَوَامِي فَضْلِهِ وَ اٰمِنَانِهِ حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَ  
 لَشُكْرِهِ آدَاءً وَ إِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا وَ لِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا وَ نَسْتَعِينُ بِهِ اٰسْتِعَانَهُ رَاجٍ لِفَضْلِهِ مُؤَمِّلٌ لِنَفْعِهِ وَ اٰثِقٌ بِدَفْعِهِ مُعْتَرِفٌ لَهُ بِالطُّوْلِ  
 مُذْعِنٌ لَهُ بِالْعَمَلِ وَ الْقَوْلِ وَ تَوَكِّلُ بِهِ اِيْمَانًا مَنْ رَجَاهُ مُوقِنًا وَ اٰنَابَ اِلَيْهِ مُؤْمِنًا وَ خَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا وَ اٰخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا وَ عَظَّمَهُ مُمَجِّدًا وَ  
 لَآذٍ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا.

## نوف البكالي

قال الجوهرى فى الصحاح نوف البكالى بفتح الباء كان حاجب على ع ثم قال و قال ثعلب هو منسوب إلى بكاله قبيله (١).

ص: ٧٦

وقال القطب الراونديّ في شرح نهج البلاغه بكال و بكييل شيء واحد و هو اسم حي من همدان و بكييل أكثر قال الكميت فقد شركت فيه بكييل و أرحب (١).

و الصواب غير ما قالاه و إنّما بنو بكال بكسر الباء حي من حمير منهم هذا الشخص هو نوف بن فضاله صاحب على ع و الروايه الصحيحه الكسر لأن نوف بن فضاله بكالي بالكسر من حمير و قد ذكر ابن الكلبي نسب بني بكال الحميريين فقال هو بكال بن دعي بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاويه بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير

### نسب جعده بن هبيرة

و أما جعده بن هبيرة فهو ابن أخت أمير المؤمنين ع أمه أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم و أبوه هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب و كان جعده فارسا شجاعا فقيها و ولي خراسان لأمير المؤمنين ع و هو من الصحابه الذين أدركوا رسول الله ص يوم الفتح مع أمه أم هانئ بنت أبي طالب و هرب أبو هبيرة بن أبي وهب ذلك اليوم هو و عبد الله بن الزبير إلى نجران .

ص: ٧٧

---

١-١) الصحاح، و صدره: \*يقولون يورث و لو لا تراثه\*.

١٥، ١٤، ١- وَرَوَى أَهْلُ الْحَدِيثِ أَنَّ أُمَّ هَانِيَّ كَانَتْ يَوْمَ الْفُتُوحِ فِي بَيْتِهَا فَدَخَلَ عَلَيْهَا هُبَيْرُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ بَعْلُهَا وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّهِ هَارِبِينَ مِنْ عَلِيٍّ ع وَهُوَ يَتَّبِعُهُمَا وَبِيَدِهِ السَّيْفُ فَقَامَتْ أُمُّ هَانِيَّ فِي وَجْهِهِ دُونَهُمَا وَقَالَتْ مَا تُرِيدُهُ مِنْهُمَا وَ لَمْ تَكُنْ رَأَتْهُ مِنْ ثَمَانِي سِنِينَ فَدَفَعَ فِي صِدْرِهَا فَلَمْ تَزَلْ عَنْ مَوْضِعِهَا وَقَالَتْ أَتَدْخُلُ يَا عَلِيُّ بَيْتِي وَتَهْتِكُ حُرْمَتِي وَتَقْتُلُ بَعْلِي وَلَا تَسْتَحْيِي مِنِّي بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَهْدَرَ دَمَهُمَا فَلَا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَهُمَا فَتَقَبَضَتْ عَلَيَّ يَدُهُ النَّبِيِّ فِيهَا السَّيْفُ فَدَخَلَ بَيْتًا ثُمَّ خَرَجَا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ فَفَاتَاهُ وَجَاءَتْ أُمُّ هَانِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَوَحَّيْدَتَهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنِهِ فِيهَا أَثَرُ الْعَجِينِ وَ فَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِنُوبِهَا فَوَقَفَتْ حَتَّى أَخَذَ ثُوبُهُ فَتَوَشَّحَ بِهِ ثُمَّ صَامَ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ مِنَ الضُّحَى ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِأُمِّ هَانِيَّ مَا جَاءَ بِكَ فَأَخْبَرْتَهُ خَبْرَ بَعْلِيهَا وَابْنِ عَمِّهِ وَدُخُولِ عَلِيٍّ ع بِبَيْتِهَا بِالسَّيْفِ فَجَاءَ عَلِيُّ ع وَرَسُولُ اللَّهِ ص يَضْحَكُ فَقَالَ لَهُ مَا صَيَّرْتِ بِأُمِّ هَانِيَّ فَقَالَ سَلِمَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَيَّرْتِ بِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ قَبَضْتُ عَلَيَّ يَدِي وَفِيهَا السَّيْفُ فَمَا اسْتِطَعْتُ أَنْ أُخْلِصَهَا إِلَّا بَعْدَ لَأْيٍ وَفَاتَنِي الرَّجُلَانِ فَقَالَ ص لَوْ وَلَعَدَ أَبُو طَالِبٍ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَكَانُوا شُجْعَانًا قَدْ أَجْرْنَا مِنْ أَجَارَتِ أُمِّ هَانِيَّ وَ أَمْنَا مِنْ أَمْنَتِ فَلَا سَبِيلَ لَكَ عَلَيْهَمَا.

فَأَمَّا هُبَيْرُهُ فَلَمْ يَرْجِعْ وَ أَمَّا الرَّجُلُ الْآخَرُ فَرَجَعَ فَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ

قالوا و أقام هبیره بن أبی وهب بنجران حتی مات بها کافرا

وَ رَوَى لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي شِعْرًا أَوَّلُهُ

أَشَاقَتَكَ هِنْدُ أَمْ أَتَاكَ سُؤَالُهَا

كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَ انْفِتَالُهَا.

يَذْكَرُ فِيهِ أُمُّ هَانِيَّ وَ إِسْلَامُهَا وَ أَنَّهُ مُهَاجِرٌ لَهَا إِذْ صَبَّتْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ مِنْ جُمْلَتِهِ

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ تَابَعْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ

٢٢٣٠

وَ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْأَسْتِيعَابِ

(١)

وَلَدَتْ أُمُّ هَانِيٍّ لِهَبِيرَةَ بِنِ أَبِي وَهَبٍ بَيْنَ أَرْبَعَةِ جَعِيدَةٍ وَ عَمْرًا وَ هَانِيًّا وَ يُوسُفَ وَ قَالَ وَ جَعَدَهُ الَّذِي يَقُولُ أَبِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا

المدرعه الجبه و تدرع لبسها و ربما قالوا تدرع .

و ثفنه البعير واحده ثفناته و هو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ فيغلظ و يكتف كالركبتين و غيرهما و يقال ذو الثفناث الثلاثة لعلی بن الحسين و علی بن عبد الله بن العباس ع و لعبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج لأن طول السجود كان قد أثر في ثفناتهم قال دعبل

ص: ٧٩

١ - ١) الاستيعاب لابن عبد البر ٧٨٢.

و مصائر الأمور جمع مصير و هو مصدر صار إلى كذا و معناه المرجع قال تعالى وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢) فأما المصدر من صار الشيء كذا فمصير و صيروره و القياس فى مصدر صار إليه أى رجع مصارا كعماش و إنما جمع المصدر هاهنا لأن الخلاق يرجعون إلى الله تعالى فى أحوال مختلفه فى الدنيا و فى الدار الآخره فجمع المصدر و إن كان يقع بلفظه على القليل و الكثير لاختلاف وجوهه كقوله تعالى وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (٣) .

و عواقب الأمر

جمع عاقبه و هى آخر الشيء .

ثمّ قسم الحمد فجعله على ثلاثه أقسام أحدها الحمد على عظيم إحسانه و هو أصول نعمه تعالى كالحياه و القدره و الشهوه و غيرها ممّا لا يدخل جنسه تحت مقدور القادر.

و ثانيها الحمد على نير برهانه و هو ما نصبه فى العقول من العلوم البديهيه المفضيه إلى العلوم النظرية بتوحيده و عدله.

و ثالثها الحمد على أرزاقه الناميه أى الزائده و ما يجرى مجراها من إطاله الأعمار و كثره الأرزاق و سائر ضروب الإحسان الداخلة فى هذا القسم .

ثمّ بالغ فى الحمد حمدا يكون لحقه قضاء و لشكره أداء و ذلك لأن الحمد و الشكر و لو بلغ

ص : ٨٠

١-١) من قصيدته التائيه: مدارس آيات خلت من تلاوه و منزل وحي مقفر العرصات و هى فى معجم الأدباء ١٠٣:١١-١١٥.

٢-٢) سورة آل عمران ٢٨.

٣-٣) سورة الأحزاب ١٠.

أقصى غاياته لم يصل إلى أن يكون قاضيا لحق الله تعالى و لا مؤديا لشكره و لكنه قال ذلك على سبيل المبالغة.

ثم قال و إلى ثوابه مقربا و لحسن مزيده موجبا و ذلك لأن الشكر يوجب الثواب و المزيد قال الله تعالى فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ (١) أى أثبكم و قال لئن شكرتم لأزيدنكم (٢).

ثم شرع فى الاستعانه بالله ففصلها أحسن تفصيل فذكر أنه يستعين به استعانه راج لفضله فى الآخرة مؤمل لنفعه فى الدنيا واثق بدفعه المضار عنه و ذلك لأنه أراد أن يحتوى على وجوه ما يستعان به تعالى لأجله فذكر الأمور الإيجابية و أعقبها بالأمور السلبية فالأولى جلب المنافع و الثانية دفع المضار.

و الطول الإفضال و الإذعان الانقياد و الطاعة .

و أناب إليه

أقبل و تاب و خنع خضع و المصدر الخنوع و لاذ به لجأ إليه لم يؤلمد سبيحانه فيكون فى العزم مشاركا و لم يلد فيكون مؤروثا هالكاً و لم يتقدمه وقت و لا زمان و لم يتجاوز زياده و لا نقصان بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المثقن و القضاء المبرم فمن شاهده خلق السموات موطدات بلا عميد قائمات بلا سيد دعاهن فأجبن طائعات مبدعات غير متلكنات و لا مبطئات و لو لا إقرارهن له بالربوبية و إذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه

ص: ٨١

١-١) سورة البقره ١٥٢.

٢-٢) سورة إبراهيم ٧.

وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَانِكْتِهِ وَلَا مَضْعَدًا لِلْكَلِيمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ .

نفى ع أن يكون البارئ سبحانه مولودا فيكون له شريك في العز والإلهية وهو أبوه الذي ولده وإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ مَلُوكِ الْبَشَرِ فَإِنَّ الْأَكْثَرَ أَنَّ الْمَلِكَ يَكُونُ ابْنَ مَلِكٍ قَبْلَهُ وَنَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ جَرِيًّا أَيْضًا عَلَى عَادَةِ الْبَشَرِ فِي أَنْ كُلِّ وَالِدٍ فِي الْأَكْثَرِ فَإِنَّهُ يَهْلِكُ قَبْلَ هَلَاكِ الْوَلَدِ وَيَرِثُهُ الْوَلَدُ وَهَذَا النَّمْطُ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ يُسَمَّى خُطَابَهُ وَهُوَ نَافِعٌ فِي مُوَاجَهَةِ الْعَرَبِ بِهِ وَارَادَ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ إِثْبَاتَ الْعَقِيدَةِ فَتَارَهُ تَثَبَّتْ فِي نَفُوسِ الْعُلَمَاءِ بِالْبُرْهَانِ وَتَارَهُ تَثَبَّتْ فِي نَفُوسِ الْعَوَامِ بِالْخُطَابَةِ وَالْجِدْلِ .

ثُمَّ نَفَى أَنْ يَتَقَدَّمَ وَقْتُ أَوْ زَمَانٌ وَالْوَقْتُ هُوَ الزَّمَانُ وَإِنَّمَا خَالَفَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ وَأَتَى بِحَرْفِ الْعَطْفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ .

وَنَفَى أَنْ يَتَعَاوَرَهُ أَى تَخْتَلِفَ عَلَيْهِ زِيَادَةٌ أَوْ نَقْصَانٌ يُقَالُ عَاوَرْتُ زَيْدًا الضَّرْبُ أَى فَعَلْتُ بِهِ مِنَ الضَّرْبِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِي وَاعْتَوَرُوا الشَّيْءَ أَى تَدَاوَلُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَكَذَلِكَ تَعَوَّرُوهُ وَتَعَاوَرُوهُ وَإِنَّمَا ظَهَرَتِ الْوَاوُ فِي اعْتَوَرُوا لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى تَعَاوَرُوا فَبَنَى عَلَيْهِ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعْنَاهُ لَاعْتَلَّتْ كَمَا قَالُوا اجْتَوَرُوا لَمَا كَانَ فِي مَعْنَى تَجَاوَرُوا الَّتِي لَا بَدَّ مِنْ صَحْحِ الْوَاوِ فِيهَا لِسُكُونِ الْأَلْفِ قَبْلُهَا وَاعْتَوَرْتُ الرِّيحَ رَسَمَ الدَّارَ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ .

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ وَ لَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَ نَقْصَانٌ لِأَنَّ التَّعَاوَرَ يُسْتَدْعَى الضَّدِيدِينَ مَعًا وَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ وَ لَا نَقْصَانٌ كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ لَمْ يَخْتَلِفْ زَيْدٌ وَ لَا عَمْرُو

قلت لما كانت مراتب الزيادة مختلفه جاز أن يقال لا يعتوره الزيادة فكذلك القول في جانب النقصان و جرى كل واحد من النوعين مجرى أشياء متنافيه تختلف على الموضع الموصوف بها .

قوله ع موطدات أى مبهذات مثبتات.

و العمد

جمع عماد نحو إهاب و أهب و إدام و آدم و هو على خلاف القياس و منه قوله تعالى فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (١) و قوله تعالى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا (٢) و السند ما يستند إليه .

ثم قال دعاهن فأجبن طائعات هذا من باب المجاز و التوسع لأن الجماد لا يدعى و أمّا من قال إن السماوات أحياء ناطقه فإنه لم يجعلهن مكلفات ليقال و لو لا إقرارهن له بالربوبيه لما فعل كذا بل يقول ذلك على وجه آخر و لكن لغة العرب تنطق بمثل هذا المجاز نحو قول الراجز امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويدا قد ملأت بطنى (٣) .

و منه قوله تعالى ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (٤) .

و منه قول مكاتب لبنى منقر التميميين كان قد ظلع (٥) بمكاتبته فأتى قبر غالب بن صعصعه فاستجار به و أخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره و قال إنى قد قلت شعرا قال هاته فأنشده

ص: ٨٣

١-١) سورة الهمزة ٩.

٢-٢) سورة الرعد ٢.

٣-٣) اللسان(قطن)من غير نسبه.

٤-٤) سورة فصلت ١١.

٥-٥) يريد أنه ضاق بها.



فقال ما اسمك فقال لهذم قال يا لهذم حكمتك مسمطا قال ناقه كوماً (١) سوداء الحدقه قال يا جاريه اطرحي لنا جبلا ثم قال يا لهذم اخرج بنا إلى المربد فألقه في عنق ما شئت من إبل الناس فتخير لهذم على عينه ناقه ورمى بالجبلى فى عنقها و جاء صاحبها فقال له الفرزدق اعد على أوفك ثمنها فجعل لهذم يقودها و الفرزدق يسوقها حتى أخرجها من البيوت إلى الصحراء فصاح به الفرزدق يا لهذم قبح الله أخسرنا فخبى الشاعر عن القبر بقوله فقال لى استقدم أمامك و القبر و الميت الذى فيه لا يخبران و لكن العرب و أهل الحكمة من العجم يجعلون كل دليل قولاً و جواباً ألا ترى إلى قول زهير أ من أم أوفى دمنه لم تكلم (٢) .

و إنما كلامها عنده أن تبين ما يرى من الآثار فيها عن قدم العهد بأهلها.

و من كلام بعض الحكماء هلا و قفت على تلك الجنان و الحيطان فقلت أيتها الجنان أين من شق أنهارك و غرس أشجارك و جنى ثمارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً.

و قال (٣) النعمان بن المنذر و معه عدى بن زيد فى ظل شجرات مونقات يشرب

ص: ٨٤

١-١) الكوماً:الناقة الضخمة.

٢-٢) ديوانه، و بقيته: \*بحومانه الدراج فالمتثلّم\*

٣-٣) قال، من القيلولة.

فقال عدى أبيت اللعن و أراد أن يعظه أ تدرى ما تقول هذه الشجرات قال ما تقول قال رب ركب قد أناخوا حولنا فتنغص  
النعمان يومه ذلك (١).

و المذعن المنقاد المطيع و المتلكئ المتوقف و الكلم الطيب شهاده أن لا- إله إلا الله و أن محمدا ص رسوله و العمل الصالح  
أداء الواجبات و النوافل و اللفظات من القرآن (٢) العزيز .

و المصعد موضع الصعود و لا- شبهه أن السماء أشرف من الأرض على رأى الملبين و على رأى الحكماء أما أهل المله فلأن  
السماء مصعد الأعمال الصالحة و محل الأنوار و مكان الملائكة و فيها العرش و الكرسي و الكواكب المدبرات أمرا و أما  
الحكماء فلأمور أخرى تقتضيها أصولهم جعل نجومها أعلاما يسهل تبدل بها الخيران في مختلف فجاج الأقطار لم يمنع ضوء نورها  
اذلهمام سيجف الليل المظلم و لا استتاعت جلايب سواد الحنادس أن ترد ما شاع في السموات من تلالو نور القمر فسبحان من  
لا يخفى عليه سواد

ص: ٨٥

(١-١) الشعر و الخبر فى الأغاني ٢:٩٦ (طبعه دار الكتب).

(٢-٢) من قوله تعالى فى سورة فاطر ١٠: إِيَّاهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ .

غَسَقِ دَاجٍ وَ لَا لَيْلٍ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِنَاتِ وَ لَا فِي يَفَاعِ السُّفَعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ وَ مَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَ مَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقِطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَ انْهِيطَالُ السَّمَاءِ وَ يَغْلُمُ مَسْقِطَ الْقَطْرِهِ وَ مَقَرَّهَا وَ مَسْحَبَ الدَّرَّةِ وَ مَجْرَّهَا وَ مَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا وَ مَا تَحْمِلُ مِنَ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا .

أعلاما

أى يستدل بها و الفجاج جمع فج و هو الطريق فى الجبل .

ثم قال إن ادلهمام سواد الليل أى شده ظلمته لم يمنع الكواكب من الإضاءة و كذلك أيضا لم يمنع ظلام الليل القمر من تالأؤ نوره و إنما خص القمر بالذكر و إن كان من جملة الكواكب لشرفه بما يظهر للأبصار من عظم حجمه و شده إضاءة ته فصار كقوله تعالى فِيهِمَا فَكِّهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُْمَانٌ (١) و قد روى بعض الرواه ادلهمام بالنصب و جعله مفعولا و ضوء نورها بالرفع و جعله فاعلا- و هذه الروايه أحسن فى صناعه الكتابه لمكان الازدواج أى لا القمر و لا الكواكب تمنع الليل من الظلمه و لا الليل يمنع الكواكب و القمر من الإضاءة.

و السجف جمع سجف و هو الستر و يجوز فتح السين.

و شاع تفرق و التالأؤ اللمعان و الجلابيب الثياب و الغسق الظلمه و الساجى الساكن و الداجى المظلم و المتطاطئ المنخفض و السفع المتجاورات هاهنا الجبال و سماها سفعا لأن السفعه سواد مشرب بحمره و كذلك لونها فى الأكثر.

ص: ٨٤

و اليفاع الأرض المرتفعه و التجلجل صوت الرعد و ما تلاشت عنه بروق الغمام هذه الكلمه أهمل بناءها كثير من أئمه اللغه و هى صحيحه و قد جاءت و وردت قال ابن الأعرابي لشا الرجل إذا اتضع و خس بعد رفعه و إذا صح أصلها صح استعمال الناس تلاشى الشىء بمعنى اضمحل.

و قال القطب الراوندى تلاشى مركب من لا شىء و لم يقف على أصل الكلمه و قد ظهر الآن أن معنى كلامه ع أنه سبحانه يعلم ما يصوت به الرعد و يعلم ما يضمحل عنه البرق.

فإن قلت و هل يقصد الرعد بجلجلته معنى معقولا ليقال إن البارئ يعلمه ثم ما المراد بكونه عالما بما يضمحل البرق عنه.

قلت قد يكون تعالى يحدث فى الرعد جلجله أى صوتا ليهلك به قوما أو لينفع به قوما فعلمه بما تتضمنه تلك الجلجله هو معنى قولنا يعلم ما يصوت به الرعد و لا-ريب أن البرق يلمع فيضىء أقطارا مخصوصه ثم يتلاشى عنها فالبارئ سبحانه عالم بتلك الأقطار التى يتلاشى البرق عنها.

فإن قلت هو سبحانه عالم بما يضيئه البرق و بما لا يضيئه فلما ذا خص بالعالميه ما يتلاشى عنه البرق.

قلت لأن علمه بما ليس بمضىء بالبرق أعجب و أغرب لأن ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولو الأبصار الصحيحه فأراد ع أن يشرح من صفاته سبحانه ما هو بخلاف المعتاد بين البشر ليكون إعظام السامعين له سبحانه أتم و أكمل .

و العواصف الرياح الشديده و أضافها إلى الأنواء لأن أكثر ما يكون عصفانها فى الأنواء و هى جمع نوء و هو سقوط النجم من منازل القمر الثمانيه و العشرين فى المغرب

مع الفجر و طلوع رقبه من المشرق مقابلا له من ساعته و مده النوء ثلاثة عشر يوما إلا الجبهه فإن لها أربعة عشر يوما.

قال أبو عبيد و لم يسمع فى النوء أنه المسقوط إلا فى هذا الموضع و كانت العرب تضيف الرياح و الأمطار و الحرّ و البرد إلى الساقط منها.

و قال الأصبغى بل إلى الطالع فى سلطانه فتقول مطرنا بنوء كذا و كذا و نهى النبى ص عن ذلك و الجمع أنواء و نوءان أيضا مثل بطن و بطنان و عبد و عبدان قال حسان بن ثابت و يثرب تعلم أنا بها إذا قحط القطر نوءانها (١).

و الانهطال الانصباب و مسقط القطره من المطر موضع سقوطها و مقرها موضع قرارها و مسح الذره الصغيره من النمل و مجرها موضع سحبها و جرها.

و هذا الفصل من فصيح الكلام و نادره و يتضمن من توحيد الله تعالى و تمجيدهِ و الثناء عليه ما يشهد لنفسه و الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسى أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو إنس لا يدرك بهم و لا يقدر بفهم و لا يشغل سائل و لا ينقصه نائل و لا ينظر بعين و لا يحيد بأين و لا يوصف بالأزواج و لا يخلق بعلاج و لا يدرك بالحواس و لا يقاس بالناس الذى كلم موسى تكليماً و أراه من آياته عظيماً بلا جوارح و لا أدوات و لا نطق و لا لهوات بل إن كنت صادقاً أيها المتكلف لوصيف ربك فصيف

ص: ٨٨

جَبْرِيلَ وَ مِيكَائِيلَ وَ جُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجْرَاتِ الْقُدُسِ مُرَجِّحِينَ مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ وَ إِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذُووُ الْهَيْئَاتِ وَ الْأَدْوَاتِ وَ مَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ وَ أَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ .

ليس يعنى بالكائن هاهنا ما يعنيه الحكماء و المتكلمون بل مراده الموجود أى هو الموجود قبل أن يكون الكرسي و العرش و غيرهما و الأوائل يزعمون أن فوق السماوات السبع سماء ثامنه و سماء تاسعه و يقولون إن الثامنه هى الكرسي و إن التاسعه هى العرش .

قوله ع لا يدرك بوهم الوهم هاهنا (1) الفكره و التوهم.

و لا يقدر بفهم

أى لا تستطيع الأفهام أن تقدره و تحده.

و لا يشغله سائل

كما يشغل السؤال منا من يسألونه.

و لا ينقصه

العطاء كما ينقص العطاء خزائن الملوك .

و لا- يبصر بجارحه و لا يحد بأين و لفظه أين فى الأصل مبنيه على الفتح فإذا نكرتها صارت اسما متمكنا كما قال الشاعر لیت شعری و أين منى لیت إن لیتا و إن لوا عناء.

و إن شئت قلت إنه تكلم بالاصطلاح الحكمی و الأين عندهم حصول الجسم فى المكان و هو أحد المقولات العشر.

ص : ٨٩

(١-١) ساقطه من ب.

قوله ع و لا يوصف بالأزواج أى صفات الأزواج و هى الأصناف قال سبحانه وَ أَتَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (١).

قوله و لا يخلق بعلاج أى لا يحتاج فى إيجاد المخلوقات إلى معالجه و مزاوله .

قوله و كلم موسى تَكْلِيمًا (٢) من الألفاظ القرآنيه و المراد هاهنا من ذكر المصدر تأكيد الأمر و إزاله لبس عساه يصلح للسامع فيعتقد أنه أراد المجاز و أنه لم يكن كلام على الحقيقه.

قوله و أراه من آياته عظيما ليس يريد به الآيات الخارجه عن التكليم كانشقاق البحر و قلب العصا لأنه يكون بإدخال ذلك بين قوله تكليما و قوله بلا- جوارح و لا- أدوات و لا- نطق و لا- لهوات مستهجننا و إنما يريد أنه أراد بتكليمه إياه عظيما من آياته و ذلك أنه كان يسمع الصوت من جهاته الست ليس على حدّ سماع كلام البشر من جهه مخصوصه و له دوى و صلصله كوقع السلاسل العظيمه على الحصى الأصم.

فإن قلت أ تقول إن الكلام حل أجساما مختلفه من الجهات الست.

قلت لا و إنما حل الشجره فقط و كان يسمع من كل جهه و الدليل على حلوله فى الشجره قوله تعالى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى (٣) فلا يخلو إما أن يكون النداء حل الشجره أو المنادى حلها و الثانى باطل فثبت الأول .

ثم قال ع لمن يتكلف أن يصف ربّه إن كنت صادقا أنك قد وصلت إلى

ص : ٩٠

١-١ (١) سورة ق ٧.

٢-٢ (٢) و هو قوله تعالى فى سورة النساء ١٦٤ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا .

٣-٣ (٣) سورة القصص ٣٠.

معرفة صفته فصف لنا الملائكة فإن معرفه ذات الملك أهون من معرفه ذات الأول سبحانه.

و حجات القدس جمع حجره و مرجحين مائلين إلى جهه تحت خضوعا لجلال البارئ سبحانه ارجحن الحجر إذا مال هاويا متوليه عقولهم أى حائره ثم قال إنما يدرك بالصفات و يعرف كنه ما كان ذا هيئه و أداه و جارحه و ما ينقضى و يفنى و يتطرق إليه العدم و واجب الوجود سبحانه بخلاف ذلك .

و تحت قوله أضاء بنوره كل ظلام إلى آخر الفصل معنى دقيق و سر خفى و هو أن كل رذيله فى الخلق البشرى مع معرفته بالأدله البرهانيه غير مؤثره و لا قادحه فى جلاله المقام الذى قد بلغ إليه و ذلك نحو أن يكون العارف بخيلا أو جبانا أو حريصا أو نحو ذلك و كل فضيله فى الخلق البشرى مع الجهل به سبحانه فليست بفضيله فى الحقيقه و لا معتد بها لأن نقيصه الجهل به تكسف تلك الأنوار و تمحق فضلها و ذلك نحو أن يكون الجاهل به سبحانه جوادا أو شجاعا أو عفيفا أو نحو ذلك و هذا يطابق ما يقوله الأوائل من أن العارف المذنب يشقى بعد الموت قليلا ثم يعود إلى النعيم السرمدى و أن الجاهل ذا العباده و الإحسان يشقى بعد الموت شقاء مؤبدا و مذهب الخالص من مرجئه الإسلام يناقض هذه اللفظات و يقال إنه مذهب أبى حنيفه رحمه الله و يمكن تأويلها على مذهب أصحابنا بأن يقال كل ظلام من المعاصى الصغائر فإنه ينجلي بضياء معرفته و طاعته و كل طاعه يفعلها المكلف مع الكفر به سبحانه فإنها غير نافعه و لا موجب ثوابا و يكون هذا التأويل من باب صرف اللفظ عن عمومه إلى خصوصه





اللام فقالوا قسو على فلوع ثم قلبت الواو ياء و كسروا القاف كما كسروا عين عصى فصارت قسى

### نسب العمالقه

و العمالقه أولاد لاوذ إرم بن سام بن نوح كان الملك باليمن و الحجاز و ما تاخم ذلك من الأقاليم فمنهم عملاق بن لاوذ بن سام و منهم طسم بن لاوذ أخوه.

و منهم جدیس بن لاوذ أخوهما و كان العز و الملك بعد عملاق بن لاوذ فی طسم فلما ملكهم عملاق بن طسم بغى و أكثر الفساد فی الأرض حتى كان يظأ العروس ليله إهدائها إلى بعلها و إن كانت بكرًا افتضها قبل وصولها إلى البعل ففعل ذلك بامرأه من جدیس يقال لها غفيره بنت غفار فخرجت إلى قومها و هى تقول لا أحد أذل من جدیس أ هكذا يفعل بالعروس.

فغضب لها أخوها الأسود بن غفار و تابعه قومه على الفتك بعمالق بن طسم و أهل بيته فصنع الأسود طعاما و دعا عملاق الملك إليه ثم وثب به و بطسم فأتى على رؤسائهم و نجا منهم رياح بن مر فصار إلى ذى جیشان بن تبع الحميرى ملك اليمن فاستغاث به و استنجده على جدیس فسار ذو جیشان فى حمير فأتى بلاد جو و هى قصبه اليمامه فاستأصل جدیسا كلها و أخرج اليمامه فلم يبق لجدیس باقيه و لا لطسم إلا اليسير منهم.

ثم ملك بعد طسم و جدیس وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم فسار بولده و أهله فنزل بأرض وبار و هى المعروفه الآن برمل عالج فبغوا فى الأرض حينًا حتى أفناهم الله

ثم ملك الأرض بعد وبار عبد ضخم بن أثيف بن لاوذ فنزلوا بالطائف حيناً ثم بادوا

### نسب عاد و ثمود

و ممن يعد مع العمالقه عاد و ثمود فأما عاد فهو عاد بن عويص بن إرم بن سام بن نوح كان يعبد القمر و يقال إنه رأى من صلبه أولاد أولاد أولاده أربعه آلاف و إنه نكح ألف جاريه و كانت بلاده الأحقاف المذكوره فى القرآن و هى من شحر عمان إلى حضرموت و من أولاده شداد بن عاد صاحب المدينه المذكوره.

و أما ثمود فهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح و كانت دياره بين الشام و الحجاز إلى ساحل نهر الحبشه

### نسب الفراعنه

قوله ع أين الفراعنه و أبناء الفراعنه جمع فرعون و هم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف و منهم الوليد بن مصعب فرعون موسى و منهم فرعون بن الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل و أخرج بيت المقدس

### نسب أصحاب الرس

قوله ع أين أصحاب مدائن الرس قيل إنهم أصحاب شعيب

ص: ٩٤

النبي ص و كانوا عبده أصنام و لهم مواش و آبار يسقون منها.

و الرس بئر عظيمه جدا انخسفت بهم و هم حولها فهلكوا و خسفت بأرضهم كلها و ديارهم و قيل الرس قريه بفلج اليمامه كان بها قوم من بقايا ثمود بغوا فأهلكوا.

و قيل قوم من العرب القديمه بين الشام و الحجاز و كانت العنقاء تختطف صبيانهم فتقتلهم فدعوا الله أن ينقذهم منها فبعث إليهم حنظله بن صفوان فدعاهم إلى الدين على أن يقتل العنقاء فشارطوه على ذلك فدعا عليها فأصابتها الصاعقه فلم يفوا له و قتلوه فأهلكوا.

و قيل هم أصحاب الأخدود و الرس هو الأخدود و قيل الرس أرض بأنطاكيه قتل فيها حبيب النجار. و قيل بل كذب أهلها نبيهم و رسوه فى بئر أى رموه فيها.

و قيل إن الرس نهر فى إقليم الباب و الأبواب مبدؤه من مدينه طراز و ينتهى إلى نهر الكر فيختلط به حتى يصب فى بحر الخزر كان هناك ملوك أولو بأس و قدره فأهلكهم الله ببيغيم منها قد لیس للحكمه جنتها و أخذها بجميع أدبها من الأقبال عليها و المعرفه بها و التفرغ لها فهى عند نفسه ضالته التى يطلبها و حاجته التى يسأل عنها فهو مغترب إذا اغترب الإسلام و ضرب بعسيب ذنبه و ألصق الأرض بجرائه بقيه من بقايا حجتة خليفه من خلائف أنبيائه .

هذا الكلام فسرته كل طائفة على حسب اعتقادها فالشيعة الإمامية تزعم أن المراد به المهدي المنتظر عندهم و الصوفية يزعمون أنه يعني به ولي الله في الأرض و عندهم أن الدنيا لا تخلو عن الأبدال و هم الأربعون و عن الأوتاد و هم سبعة و عن القطب و هو واحد فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطبا عوضه و صار أحد الأربعين و تدا عوض الوتد و صار بعض الأولياء الذين يصطفاهم الله تعالى أبدا عوض ذلك البديل.

و أصحابنا يزعمون أن الله تعالى لا يخلي الأمة من جماعه من المؤمنين العلماء بالعدل و التوحيد و أن الإجماع إنما يكون حجه باعتبار أقوال أولئك العلماء لكنه لما تعذرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع سائر العلماء و إنما الأصل قول أولئك.

قالوا و كلام أمير المؤمنين ع ليس يشير فيه إلى جماعه أولئك العلماء من حيث هم جماعه و لكنه يصف حال كل واحد منهم فيقول من صفته كذا و من صفته كذا.

و الفلاسفة يزعمون أن مراده ع بهذا الكلام العارف و لهم في العرفان و صفات أربابه كلام يعرفه من له أنس بأقوالهم و ليس يبعد عندي أن يريد به القائم من آل محمد ص في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى و إن لم يكن الآن موجودا فليس في الكلام ما يدل على وجوده الآن و قد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا و التكليف لا ينقضى إلا عليه.

قوله ع قد لبس للحكمه جنتها الجنه ما يستتر به من السلاح كالدرع و نحوها و لبس جنه الحكمه قمع النفس عن المشتبهات و قطع علائق النفس عن

المحسوسات فإن ذلك مانع للنفس عن أن يصيبها سهام الهوى كما تمنع الدرع الدارع عن أن يصيبه سهام الرمايه.

ثم عاد إلى صفه هذا الشخص فقال و أخذ بجميع أدبها من الإقبال عليها أى شده الحرص و الهمة.

ثم قال و المعرفه بها أى و المعرفه بشرفها و نفاستها.

ثم قال و التفرغ لها لأن الذهن متى وجهته نحو معلومين تخبط و فسد و إنما يدرك الحكمة بتخليه السر من كل ما مر سواها .

قال فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها هذا مثل

٢٢٣١

قَوْلُهُ عِ الْحِكْمَهُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ.

٢٢٣٢

وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ لَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحِكْمَةِ حَقَارَةُ مَنْ وَجَدَتْهَا عِنْدَهُ كَمَا لَا يَمْنَعُكَ خُبْتُ تَرَابِ الْمَعِيدِ مِنَ الْتِقَاطِ  
الذَّهَبِ.

و وجدت بخط أبى محمد عبد الله بن أحمد الخشاب رحمه الله فى تعاليق مسوده أبياتا للعطوى و هى قد رأينا الغزال و الغصن  
و النجمين

و قد كتب ابن الخشاب بخطه تحت المليحه ما أصدقه إن أراد بالمليحه الحكمة قوله ع و حاجته التى يسأل عنها هو مثل قوله  
ضالته التى يطلبها .

ثم قال هو مغترب إذا اغترب الإسلام يقول هذا الشخص يخفى نفسه و يحملها

ص: ٩٧

إذا اغترب الإسلام و اغترب الإسلام أن يظهر الفسق و الجور على الصلاح و العدل

٢٢٣٣

قَالَ عِ بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيْبًا وَ سَيَعُوْدُ كَمَا بَدَأَ.

قال و ضرب بعسيب ذنبه و ألصق الأرض بجرانه هذا من تمام قوله إذا اغترب الإسلام أى إذا صار الإسلام غريبا مقهورا و صار الإسلام كالبعير البارك يضرب الأرض بعسيبه و هو أصل الذنب و يلصق جرانه و هو صدره فى الأرض فلا يكون له تصرف و لا نهوض .

ثم عاد إلى صفه الشخص المذكور.

و قال بقيه من بقايا حججه خليفه من خلائف أنبيائه الضمير هاهنا يرجع إلى الله سبحانه و إن لم يجر ذكره للعلم به كما قال <sup>□</sup> حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (١) و يمكن أن يقال إن الضمير راجع إلى مذکور و هو الإسلام أى من بقايا حجج الإسلام و خليفه من خلائف أنبياء الإسلام .

فإن قلت ليس للإسلام إلا نبى واحد.

قلت بل له أنبياء كثير قال تعالى <sup>□</sup> مَلَهُ أَيُّكُمْ إِبرَاهِيمَ هُوَ سَيِّدُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ (٢) و قال سبحانه <sup>□</sup> ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا (٣) و كل الأنبياء دعوا إلى ما دعا إليه محمد ص من التوحيد و العدل فكلهم أنبياء للإسلام .

فإن قلت أ ليس لفظ الحججه و لفظ الخليفه مشعرا بما تقوله الإماميه . قلت لا فإن أهل التصوف يسمون صاحبهم حججه و خليفه و كذلك الفلاسفه

ص: ٩٨

١-١ (١) سورة ص ٣٢.

٢-٢ (٢) سورة الحج ٧٨.

٣-٣ (٣) سورة النحل ١٢٣.

و أصحابنا لا- يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين في كل عصر لأنهم حجج الله أي إجماعهم حجة و قد استخلفهم الله في أرضه ليحكموا بحكمه.

و على ما اخترناه نحن فالجواب ظاهر أيها الناس إني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ [بها الأنبياء]

الأنبياء بهم أممهم و أديت إليكم ما أديت الأوصياء إلى من بعدهم و أدبناكم بسوطي فلم تشي تقيموا و خدوتكم بالزواج فلم تشؤس قوا لله أنتم أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق و يرشدكم السبيل ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً و أقبل منها ما كان مدبراً و أزمع الترحال عباد الله الأختيار و باعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخره لا يفنى ما ضرر إخواننا الذين سيفكت دماؤهم و هم بصة فمّن ألا يكونوا اليوم أحياء يسيعون الغصص و يشربون الرنق قد و الله لقوا الله فوفاهم أجورهم و أحلهم دار الأمان بعيد خوفهم أين إخواني الذين ركبوا الطريق و مضوا على الحق أين عمارة و أين ابن التيهان و أين ذو الشهادتين و أين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيه و أبرد برؤوسهم إلى الفجره قال ثم ضرب ع بيده [إلى]

على لحيته الشريفه الكريمه فأطال البكاء ثم قال ع [أوه]

أوه على إخواني الذين قرءوا القرآن فأحكموه و تدبروا الفرض فأقاموه



أَحْيُوا الشُّنَّةَ وَ أَمِيَّاتُوا الْبِدْعَةَ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَحْيَا بُؤَا وَ وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ أَلَا وَ إِنِّي مُعَسِّبِكُمْ فِي يَوْمِي هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَا حَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ قَالَ نَوْفٌ وَ عَقَدَ لِلْحَسَيْنِ ع فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَ لِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَ لِعَظِيمِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخْرَ وَ هُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صَفِيِّنَ فَمَا دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ الْمُلْجَمِ لَعْنَهُ اللَّهُ فَتَرَا جَعَتِ الْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَّتْ رَاعِيَهَا تَحْتَطِفُهَا الذُّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ .

بثت لكم المواعظ

فرقتها و نشرتها و الأوصياء الذين يأتمنهم الأنبياء على الأسرار الإلهية و قد يمكن ألا يكونوا خلفاء بمعنى الإمرة و الولاية فإن مرتبتهم أعلى من مراتب الخلفاء .

و و حدودكم سقتكم كما تحدى الإبل فلم تستوسقوا أى لم تجتمعوا قال مستوسقات لم يجدن سائقا (١) .

قوله يظاً بكم الطريق أى يحملكم على المنهاج الشرعى و يسلك بكم مسلك الحق كأنه جعلهم ضالين عن الطريق التى يطلبونها.

ص : ١٠٠

(١ - ١) اللسان (وسق)، و قبله: \*إن لنا لإبلا نقانقا\*.

و قال أ تريدون إماما غيرى يوقفكم على الطريق التى تطلبونها حتى تطئوها و تسلكوها .

ثم ذكر أنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا- و هو الهدى و الرشاد فإنه كان فى أيام رسول الله ص و خلفائه مقبلا ثم أدبر عند استيلاء معاويه و أتباعه و أقبل منها ما كان مدبرا و هو الضلال و الفساد و معاويه عند أصحابنا مطعون فى دينه منسوب إلى الإلحاد قد طعن فيه ص و روى فيه شيخنا أبو عبد الله البصرى فى كتاب نقض السفينيه على الجاحظ و روى عنه أخبارا كثيره تدل على ذلك و قد ذكرناها فى كتابنا فى مناقضه السفينيه .

٢٢٣٤

و روى أحمد بن أبى طاهر فى كتاب أخبار الملوكة أن معاويه سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله فقالها ثلاثا فقال أشهد أن محمدا رسول الله فقال لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالى الهمة ما رضية لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين .

قوله ع و أزمع الترحال أى ثبت عزمهم عليه يقال أزمعت الأمر و لا يقال أزمعت على الأمر هكذا يقول الكسائى و أجازه الخليل و الفراء . ثم قال ع إنه لم يضر إخواننا القتلى بصفين كونهم اليوم ليسوا بأحياء حياتنا المشوبه بالنعص و الغمص .

و يقال ماء رنق بالتسكين أى كدر رنق الماء بالكسر يرتق رنقا فهو رنق و أرنقته أى كدرته و عيش رنق بالكسر أى كدر .

ثم أقسم أنهم لقوا الله فوفاهم أجورهم و هذا يدل على ما يذهب إليه جمهور أصحابنا من نعيم القبر و عذابه .

ثم قال ع أين إخوانى ثم عددهم فقال أين عمار

ص : ١٠١

و هو عمار بن ياسر بن عامر بن كنانة بن قيس العنسي-بالنون-المذحجي يكنى أبا اليقظان حليف بنى مخزوم. و نحن نذكر طرفاً من أمره من كتاب الاستيعاب (١) لأبى عمر بن عبد البر المحدث

٢٢٣٥

قَالَ أَبُو عُمَرَ كَانَ يَاسِرٌ وَالِدُ عَمَّارٍ عَرَبِيًّا قَحْطَانِيًّا مِنْ عَنَسٍ فِي مَذْحِجٍ إِلَّا أَنَّ ابْنَهُ عَمَّارًا كَانَ مَوْلَى لِبَنِي مَخْزُومٍ لِأَنَّ أَبَاهُ يَاسِرًا قَدِمَ مَكَّةَ مَعَ أَخَوَيْنِ لَهُ يُقَالُ لَهُمَا مَالِكُ وَالْحَارِثُ فِي طَلَبِ أَخٍ لَهُمْ رَابِعٌ فَرَجَعَ الْحَارِثُ وَ مَالِكُ إِلَى الْيَمَنِ وَ أَقَامَ يَاسِرٌ بِمَكَّةَ فَحَالَفَ أَبَا حُدَيْفَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ فَزَوَّجَهُ أَبُو حُدَيْفَةَ أُمَّهُ يُقَالُ لَهَا سَيْمِيَّةٌ فَأَوْلَدَهَا عَمَّارًا فَأَعْتَقَهُ أَبُو حُدَيْفَةَ فَمِنْ هَاهُنَا كَانَ عَمَّارٌ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ وَ أَبُوهُ عَرَبِيٌّ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ وَ لِلْحَلْفِ وَ الْوَلَاءِ الَّذِي بَيْنَ بَنِي مَخْزُومٍ وَ عَمَّارٍ وَ أَبِيهِ يَاسِرٍ كَمَا أَنَّ احْتِمَالَ بَنِي مَخْزُومٍ عَلَى عُثْمَانَ حِينَ نَالَ مِنْ عَمَّارٍ غَلِيًّا عُثْمَانُ مَا نَالُوا مِنَ الضَّرْبِ حَتَّى انْفَتَقَ لَهُ فَتَقٌ فِي بَطْنِهِ زَعَمُوا وَ كَسَرُوا ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَاجْتَمَعَتْ بَنُو مَخْزُومٍ فَقَالُوا وَ اللَّهُ لَئِنْ مَاتَ لَا قَتَلْنَا بِهِ أَحَدًا غَيْرَ عُثْمَانَ .

٢٢٣٦

قَالَ أَبُو عُمَرَ كَانَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مِمَّنْ عُذِّبَ فِي اللَّهِ ثُمَّ أَعْطَاهُمْ عَمَّارٌ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ وَ اطمأنَّ الْإِيمَانُ بِقَلْبِهِ فَنَزَلَ فِيهِ إِلَّا مِنْ أُكْرَهٍ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ (٢) وَ هَذَا مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ التَّفْسِيرِ (٣) .

ص: ١٠٢

١-١) الاستيعاب ٤٢٢:١-٤٢٤.

٢-٢) سورة النحل ١٠٦.

٣-٣) في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠:١٨٠ «هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر؛ في قول أهل التفسير؛ لأنه قارب بعض ما ندبوه إليه»، ثم قال: «و أمّا عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها؛ فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف تحدد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإن عادوا فعد».

وَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَ صَلَّى إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ وَ هُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأُولِينَ ثُمَّ شَهِدَ بِدِرًّا وَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا وَ أُبْلِيَ بِلَاءً حَسِينًا ثُمَّ شَهِدَ الْيَمَامَةَ فَأُبْلِيَ فِيهَا أَيْضًا يَوْمَئِذٍ وَ قُطِعَتْ أُذُنُهُ.

٢٢٣٧

قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ قَدْ رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ رَأَيْتُ عَمَّارًا يَوْمَ الْيَمَامَةِ عَلَى صَخْرِهِ وَ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهَا يَصْرِيحُ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَمِنْ الْجَنَّةِ تَفَرُّونَ أَنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ هَلُمُّوا إِلَيَّ وَ أَنَا أَنْظُرُ إِلَى أُذُنِهِ قَدْ قُطِعَتْ فَهِيَ تُدْبِدُ (١) وَ هُوَ يُقَاتِلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ.

٢٢٣٨

قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ كَانَ عَمَّارٌ آدَمَ طَوَالًا مُضْطَرِبًا أَشْهَلَ (٢) الْعَيْنَيْنِ بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ لَا يُعَيِّرُ شَيْبُهُ.

قَالَ وَ بَلَّغْنَا أَنَّ عَمَّارًا قَالَ كُنْتُ تَرْبًا لِرَسُولِ اللَّهِ ص فِي سِنِّهِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنِّي سِنًّا.

و

٢٢٣٩

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا (٣) إِنَّهُ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ.

٢٢٤٠

قَالَ وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ عَمَّارًا مَلِيٌّ إِيْمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ (٤) وَ يُزَوَى إِلَى أَحْمَصِ (٥) قَدَمَيْهِ.

٢٢٤١

١٤- وَ رَوَى أَبُو عُمَرَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص

ص: ١٠٣

١- (١) تذبذب: تتحرك.

٢- (٢) الشهل، محرکه: أن يشوب سواد العين زرقه.

٣- (٣) سورة الأنعام ١٢٢، و في تفسير القرطبي عن ابن عباس أيضا أنها نزلت في حمزه بن عبد المطلب و أبي جهل. قال: «و الصحيح أنها عامه في كل مؤمن و كافر».

٤- (٤) المشاشه: رأس العظم.

٥-٥) الأخصص: من باطن القدم ما لم يصب الأرض.

أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ إِلَّا قُلْتُ إِلَّا عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّهُ مُلِيََّ إِيمَانًا إِلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ .

٢٢٤٢

١- قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَرِيٍّ شَهِدْنَا مَعَ عَلِيِّ عَ صَفِينٍ ثَمَانِمِائَةَ مِمَّنْ بَايَعَ بَيْنَهُ الرِّضْوَانِ قُتِلَ مِنَّا ثَلَاثَةٌ وَ سِتُونَ مِنْهُمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ .

٢٢٤٣

١٤- قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ مِنْ حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللَّهُ فَمَا زِلْتُ أُحِبُّهُ مِنْ يَوْمَئِذٍ .

٢٢٤٤

١٤- قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَ أَنَّ عَمَّارًا جَاءَ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَعَرَفَ صَوْتَهُ فَقَالَ مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ يَعْنِي عَمَّارًا انْذَنُوا لَهُ .

٢٢٤٥

قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَيَّ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَ عَمَّارٌ وَ سَلْمَانَ وَ بِلَالَ .

قال أبو عمر و فضائل عمار كثيره جدا يطول ذكرها.

٢٢٤٦

١- قَالَ وَ رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ شَهِدْنَا مَعَ عَلِيِّ عَ صَفِينٍ فَرَأَيْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ لَا يَأْخُذُ فِي نَاحِيهِ وَلَا وَادٍ مِنْ أَوْدِيهِ صَفِينٍ إِلَّا رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَ يَتَّبِعُونَهُ كَأَنَّهُ عَلِمَ لَهُمْ وَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ لِهَاشِمِ بْنِ عُبَيْهِ يَا هَاشِمُ تَقَدَّمَ الْجَنَّةُ تَحْتَ الْبَارِقَةِ الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَجْبَةَ مُحَمَّدًا وَ حِزْبَهُ .

وَ اللَّهُ لَوْ هَزَمُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بَنِي سَعْفَاتٍ هَجَرَ لَعَلِمْنَا أَنَّا عَلَى الْحَقِّ وَ أَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ثُمَّ قَالَ نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ فَالْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

ص: ١٠٤

ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنِ مَقِيلِهِ

وَ يُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنِ خَلِيلِهِ أَوْ يُرْجِعُ الْحَقَّ عَلَى سَبِيلِهِ.

فَلَمْ أَرِ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ص قَتَلُوا فِي مَوْطِنٍ مَا قَتَلُوا يَوْمَئِذٍ

٢٢٤٧

قَالَ وَقَدْ قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ وَ طَائِفَةٌ لِحَدِيثِهِ حِينَ اخْتَضَرَ وَ قَدْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فَبِمَنْ تَأْمُرْنَا قَالَ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي سُمَيَّةَ فَإِنَّهُ لَنْ يُفَارِقَ الْحَقَّ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ قَالَ فَإِنَّهُ يَزُولُ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ زَالَ.

قال أبو عمر و بعضهم يجعل هذا الحديث عن حذيفه مرفوعا.

٢٢٤٨

قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ رَوَى الشَّعْبِيُّ عَنِ الْأَخْنَفِ أَنَّ عَمَّارًا حَمَلَ يَوْمَ صَهْفَيْنَ فَحَمَلَ عَلَيْهِ ابْنُ جَزْءِ السَّكْسَكِيُّ وَ أَبُو الْغَادِيَةِ الْفَزَارِيُّ فَأَمَّا أَبُو الْغَادِيَةِ فَطَعَنَهُ وَ أَمَّا ابْنُ جَزْءٍ فَاحْتَرَّ رَأْسُهُ.

قلت هذا الموضوع مما اختلف فيه قول أبي عمر رحمه الله فإنه ذكر في كتاب الكنى من الإستهيعاب (١) أبا الغادية بالغين المعجمه و قال إنه جهنى من جهينه و جهينه من قضاعه و قد نسبه هاهنا فزاريا.

و قال فى كتاب الكنى إن اسم أبى الغادية يسار و قيل مسلم .

٢٢٤٩

وَ قَدْ ذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ الْمَعَارِفِ عَنِ أَبِي الْغَادِيَةِ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ نَفْسِهِ بِقَتْلِ عَمَّارٍ وَ يَقُولُ إِنَّ رَجُلًا طَعَنَهُ فَانْكَشَفَ الْمِعْفَرَةَ عَنْ رَأْسِهِ فَضْرَبَتْ رَأْسَهُ فَإِذَا رَأْسُ عَمَّارٍ قَدْ نَدَرَ (٢) .

و كيفية هذا القتل تخالف الكيفية التي رواها ابن عبد البر .

٢٢٥٠

١٤- قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ قَدْ رَوَى وَ كَيْعٌ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَبْدِ بْنِ مَرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ

ص: ١٠٥

١-١) الاستيعاب ٦٨٠.

٢-٢) المعارف ٢٥٧ (طبعه دار الكتب).



قَالَ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَمَّارٍ يَوْمَ صِفِّينَ (١) وَهُوَ صَرِيحٌ فَاسْتَسْقَى فَأَتَى بِشْرَبِهِ مِنْ لَبْنٍ فَشَرِبَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَحِبَّةَ.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص عَهْدَ إِلَيَّ أَنْ آخِرَ شَرْبِهِ أَشْرَبُهَا فِي الدُّنْيَا شَرْبَهُ مِنْ لَبْنٍ ثُمَّ اسْتَسْقَى ثَانِيَةً فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ طَوِيلُهُ الْيَدَيْنِ يَأْنَاءِ فِيهِ ضَيَاحٌ مِنْ لَبْنٍ فَقَالَ حِينَ شَرْبِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْجَنَّةُ تَحْتَ الْأَسِنَّةِ وَاللَّهُ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُونَا سَعَفَاتِ هَجْرٍ لَعَلِمْنَا أَنَا عَلَى الْحَقِّ وَ أَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

٢٢٥١

١٤,١,٢,٣- قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ قَدْ رَوَى حَارِثُ بْنُ الْمِضْرَابِ قَرَأَتْ كِتَابَ عُمَرَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَمَّارًا أَمِيرًا وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ مُعَلِّمًا وَ وَزِيرًا وَ هُمَا مِنَ النَّجْبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ فَاسْمَعُوا لَهُمَا وَ اقْتَدُوا بِهِمَا فَإِنِّي قَدْ آثَرْتُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي أَثْرَةً.

قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ إِنَّمَا قَالَ عُمَرُ هُمَا مِنَ النَّجْبَاءِ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ سَبْعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ نَجْبَاءَ وَ زُرَّاءَ فُقَهَاءَ وَ إِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَمْزَةً وَ جَعْفَرًا وَ عَلِيًّا وَ حَسَنًا وَ حُسَيْنًا وَ أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَ سَلْمَانَ وَ عَمَّارًا وَ أَبَا ذَرٍّ وَ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو وَ الْمِقْدَادَ وَ بِلَالًا .

٢٢٥٢

قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ قَالَ تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ.

وَ هَذَا مِنْ إِخْبَارِهِ بِالْغَيْبِ وَ أَعْلَامِ نُبُوْتِهِ ص وَ هُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَحَادِيثِ.

٢٢٥٣

١- وَ كَانَتْ صِفِّينُ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَ ثَلَاثِينَ وَ دَفَنَهُ عَلِيُّ ع فِي ثِيَابِهِ وَ لَمْ يُعَسَّلَهُ.

ص: ١٠٦

وَرَوَى أَهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّهُ صَلَّى عَلَيْهِ وَهُوَ مَذْهَبُهُمْ فِي الشَّهَادَةِ أَنَّهُمْ لَا يُغَسَّلُونَ وَ لَكِنْ يُصَلَّى عَلَيْهِمْ

٢٢٥٤

قَالَ أَبُو عُمَرَ وَكَانَتْ سِنُّ عَمَارٍ يَوْمَ قُتِلَ ثِيْفًا وَ تِسْعِينَ سَنَةً وَقِيلَ إِحْدَى وَ تِسْعِينَ وَقِيلَ اثْنَتَيْنِ وَ تِسْعِينَ وَقِيلَ ثَلَاثًا وَ تِسْعِينَ.

### ذِكْرُ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ وَ طَرَفٍ مِنْ أَخْبَارِهِ

ثُمَّ قَالَ ع وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ هُوَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ بِالْيَاءِ الْمَنْقُوطَةِ بَاثْنَتَيْنِ تَحْتَهَا الْمَشْدُودَةُ الْمَكْسُورَةُ وَ قَبْلَهَا تَاءٌ مَنْقُوطَةٌ بَاثْنَتَيْنِ فَوْقَهَا وَ اسْمُهُ مَالِكٌ وَ اسْمُ أَبِيهِ مَالِكٌ - أَيْضًا بِنِ عُبَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَمِ بْنِ عَامِرِ الْأَنْصَارِيِّ أَحَدِ النُّقْبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقْبَةِ وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ إِنَّهُ مِنْ بَلَى بْنِ أَبِي الْحَارِثِ بْنِ قِضَاعَةَ وَ إِنَّهُ حَلِيفُ لِبْنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ كَانَ أَحَدَ النُّقْبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقْبَةِ وَ شَهِدَ بِدْرًا .

٢٢٥٥

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْأِسْتِيعَابِ اخْتَلَفَ فِي وَقْتِ وَفَاتِهِ فَذَكَرَ خَلِيفُهُ عَنِ الْأَضَمِيِّ قَالَ سَأَلْتُ قَوْمَهُ فَقَالُوا مَاتَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص (١). قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ هَذَا لَمْ يُتَابِعْ عَلَيْهِ قَائِلُهُ.

وَقِيلَ إِنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ عِشْرِينَ أَوْ إِحْدَى وَ عِشْرِينَ .

وَقِيلَ إِنَّهُ أَذْرَكَ صَفِيْنَ وَ شَهِدَهَا مَعَ عَلِيٍّ ع وَ هُوَ الْأَكْثَرُ.

وَقِيلَ إِنَّهُ قُتِلَ بِهَا.

٢٢٥٦

ثُمَّ قَالَ أَبُو عُمَرَ حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ قَاسِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ رَشِيْقٍ قَالَ

ص: ١٠٧

حَدَّثَنَا الدُّوَالَيْبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْوَجِيهِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ صَالِحِ بْنِ الْوَجِيهِ قَالَ وَ مِمَّنْ قُتِلَ بِصَةِ فَمِينَ عَمَّارٌ وَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التِّيَهَانِ وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ وَ جَمَاعَةٌ مِنْ الْبَدْرِيِّينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

٢٢٥٧

ثُمَّ رَوَى أَبُو عَمْرٍ رَوَاهُ أُخْرَى فَقَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ قَالَ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ السَّمَاكِ قَالَ حَدَّثَنَا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ

أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التِّيَهَانِ اسْمُهُ مَالِكٌ وَ اسْمُ التِّيَهَانِ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أُصِيبَ أَبُو الْهَيْثَمِ مَعَ عَلِيٍّ يَوْمَ صِفِّينَ. قَالَ أَبُو عَمْرٍ هَذَا قَوْلُ أَبِي نُعَيْمٍ وَ غَيْرِهِ.

قلت و هذه الروايه أصح من قول ابن قتيبه في كتاب المعارف (١) و ذكر قوم أن أبا الهيثم شهد صفين مع علي ع و لا يعرف ذلك أهل العلم و لا- يثبتونه فإن تعصب ابن قتيبه معلوم و كيف يقول لا- يعرفه أهل العلم و قد قاله أبو نعيم و قاله صالح بن الوجيه و رواه ابن عبد البر و هؤلاء شيوخ المحدثين

#### ذكر ذى الشهادتين خزيمة بن ثابت و طرف من أخباره

ثُمَّ قَالَ ع وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ هُوَ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْفَاكِهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْخَطْمِيِّ الْأَنْصَارِيِّ مِنْ بَنِي خَطْمِهِ (٢) مِنَ الْأَوْسِ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص

ص: ١٠٨

(١-١) المعارف ٢٧٠، قال: «و ليس يعرف ذلك أهل العلم و لا يثبتونه».

(٢-٢) بنو خطمه؛ هم بنو عبد الله بن مالك بن أوس.

شهادته كشهادة رجلين لقصه مشهوره (١) يكنى أبا عماره شهد بدرا و ما بعدها من المشاهد و كانت رايه بنى خطمه بيده يوم الفتح .

٢٢٥٨

١- قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْأَسْتِيعَابِ (٢) وَ شَهِدَ صَفِيْنٌ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَ فَلَمَّا قُتِلَ عَمَّارٌ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

٢٢٥٩

١٤- قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ قَدْ رُوِيَ حَدِيثُ مَقْتَلِهِ بِصَفِيْنٍ مِنْ وَجْهِ كَثِيْرِهِ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِ الْأَسْتِيعَابِ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَعْدِهِ وَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ ذِي الشَّهَادَةِ وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي صَفِيْنٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَةَ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

قلت و من غريب ما وقعت عليه من العصبية القبيحة

٢٢٦٠

أَنَّ أَبِيًا حَيَّانَ التَّوْحِيدِيَّ قَالَ فِي كِتَابِ الْبَصِيَّةِ إِنَّ خُزَيْمَةَ بَيْنَ ثَمَابِتِ الْمُقْتُولِ مَعَ عَلِيٍّ ع بِصَفِيْنٍ لَيْسَ هُوَ خُزَيْمَةَ بِنِ ثَمَابِتِ ذَا الشَّهَادَتَيْنِ بَلْ آخَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ صِيْحَابِيٍّ اسْمُهُ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ . وَ هَذَا خَطَأٌ لِأَنَّ كِتَابَ الْحَدِيثِ وَ النَّسَبِ تَنْطِقُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ لَا- مِنْ غَيْرِ الْأَنْصَارِ خُزَيْمَةَ بِنِ ثَابِتٍ إِلَّا- ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَ إِنَّمَا الْهُوَى لَا دَوَاءَ لَهُ عَلَى أَنْ الطَّبْرِيُّ صَاحِبُ التَّارِيخِ قَدْ سَبَقَ أَبُو حَيَّانَ بِهَذَا الْقَوْلِ وَ مِنْ كِتَابِهِ نَقَلَ أَبُو حَيَّانَ وَ الْكُتُبُ الْمَوْضُوعَةُ لِأَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ تَشْهَدُ بِخِلَافِ مَا ذَكَرَاهُ ثُمَّ أَيْ حَاجَهُ لِنَاصِرِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَكَثَرُوا بِخُزَيْمَةَ وَ أَبِي الْهَيْثَمِ وَ عَمَارَ وَ غَيْرِهِمْ لَوْ أَنْصَفَ

ص: ١٠٩

١- ١) ذكر ابن الأثير في أسد الغابه، قال: «روى عنه ابنه عماره أن النبي صلى الله عليه و سلم اشترى فرسا من سواء بن قيس المحاربي، فجحدته سواء، فشهد خزيمة بن ثابت للنبي صلى الله عليه و سلم؛ فقال له رسول الله: «ما حملك على الشهادة، و لم تكن حاضرا معنا؟ قال: صدقتك بما جئت به، و علمت أنك لا تقول إلا حقا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من شهد له خزيمة أو عليه فهو حسبه».

٢- ٢) الاستيعاب ١٥٨، ١٥٧.

الناس هذا الرجل و رأوه بالعين الصحيحه لعلموا أنه لو كان وحده و حاربه الناس كلهم أجمعون لكان على الحق و كانوا على الباطل.

ثم قال ع و أين نظراؤهم من إخوانهم يعنى الذين قتلوا بصفين معه من الصحابه كابن بديل و هاشم بن عتب و غيرهما ممن ذكرناه فى أخبار صفين .و تعاقدوا على المنيه جعلوا بينهم عقدا و روى تعاقدوا .

و أبرد برءوسهم إلى الفجره

حملت رءوسهم مع البريد إلى الفسقه للبشاره بها و الفجره هاهنا أمراء عسكر الشام تقول قد أبردت إلى الأمير فأنا مبرد و الرسول بريد و يقال للفرانق (١) البريد لأنه ينذر قدام الأسد .

قوله أوه على إخوانى ساكنه الواو مكسوره الهاء كلمه شكوى و توجع و قال الشاعر فأوه لذكرها إذا ما ذكرتها و من بعد أرض دونها و سماء (٢) .

و ربما قلبوا الواو ألفا فقالوا آه من كذا آه على كذا و ربما شددوا الواو و كسروها و سكنوا الهاء فقالوا أوه من كذا و ربما حذفوا الهاء مع التشديد و كسروا الواو فقالوا أو من كذا بلا مد و قد يقولون آوه بالمد و التشديد و فتح الألف و سكنوا الهاء لتطويل الصوت بالشكايه و ربما أدخلوا فيه الياء تاره يمدونه و تاره لا يمدونه فيقولون أوياء و آوياء و قد أوه الرجل تأويها و تأوها إذا قال أوه و الاسم منه الآهه بالمد قال المثقب العبدى إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهه الرجل الحزين (٣) .

ص : ١١٠

---

١- ١) ذكره صاحب اللسان؛ و استشهد بقول امرئ القيس: و إني أذين إن رجعت مملكا بسير ترى منه الفرانق أزورا.

٢- ٢) اللسان ١٧:٣٦٥.

٣- ٣) اللسان ١٧:٣٦٥.

قوله ع و وثقوا بالقائد فاتبعوه يعنى نفسه أى وثقوا بأنى على الحق و تيقنوا ذلك فاتبعونى فى حرب من حاربت و سلم من سالمت .

قوله الجهاد الجهاد منصوب بفعل مقدر .

و إنى معسكر فى يومى

أى خارج بالعسكر إلى منزل يكون لهم معسكرا

### ذكر سعد بن عباد و نسبه

و قيس بن سعد بن عباد بن دليم (1) الخزرجى صحابى يكنى أبا عبد الملك روى عن رسول الله ص أحاديث و كان طوالا جدا سبطا شجاعا جوادا و أبوه سعد رئيس الخزرج و هو الذى حاولت الأنصار إقامته فى الخلافة بعد رسول الله ص و لم يبايع أبا بكر حين بويع و خرج إلى حوران فمات بها قيل قتلته الجن لأنه بال قائما فى الصحراء ليلا و روى بيتين من شعر قيل إنهما سمعا ليله قتله و لم ير قائلهما نحن قتلنا سيد الخزرج

و يقول قوم إن أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلا و هو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعه الإمام و قد قال بعض المتأخرين فى ذلك يقولون سعد شكت الجن قلبه

ص: ١١١

---

(١-١) فى الأصول: «دلهم» و أثبت ما فى الإستيعاب.

و كان قيس بن سعد من كبار شيعه أمير المؤمنين ع و قائل بمحبته و ولائه و شهد معه حروبه كلها و كان مع الحسن ع و نقم عليه صلحه معاويه و كان طالبى الرأى مخلصا فى اعتقاده و وده و أكد ذلك عنده فوات الأمر أباه و ما نيل يوم السقيفه و بعده منه فوجد من ذلك فى نفسه و أضمره حتى تمكن من إظهاره فى خلافه أمير المؤمنين و كما قيل عدو عدوك صديق لك

### ذكر أبى أيوب الأنصارى و نسبه

و أما أبو أيوب الأنصارى فهو خالد بن يزيد بن كعب بن ثعلبه الخزرجى من بنى النجار شهد العقبه و بدره و سائر المشاهد

٢٢٦١

١٤- وَ عَلَيْهِ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَمَّا خَرَجَ عَنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى بَنَى مَسْجِدَهُ وَ مَسَاكِنَهُ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَيْهَا وَ يَوْمَ الْمُؤَاخَاهِ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ ص بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ .

٢٢٦٢

١- وَ قَالَ أَبُو عَمَرَ فِي كِتَابِ الْأِسْتِيعَابِ (١) إِنَّ أَبَا أَيُّوبَ شَهِدَ مَعَ عَلِيِّ ع مَشَاهِدَهُ كُلَّهَا وَ رَوَى ذَلِكَ عَنِ الْكَلْبِيِّ وَ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَا شَهِدَ مَعَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ وَ صِفِّينَ وَ كَانَ مُقَدِّمَتَهُ يَوْمَ النَّهْرَوَانَ .

قوله تختطفها الذئاب الاختطاف أخذك الشىء بسرعه و يروى تختطفها قال تعالى <sup>□</sup> تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ (٢) .

و يقال إن هذه الخطبه آخر خطبه أمير المؤمنين ع قائما

ص: ١١٢

١- (١) الاستيعاب ٦٢٠.

٢- (٢) سورة الأنفال ٢٦.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيِهِ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصِيَةٍ بِهِ خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ وَهُوَ  
الَّذِي أَسِيَّكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غَطَائِهَا وَيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا وَيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا  
وَلِيَبْصُرُوهُمْ عُيُوبَهَا وَيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبِرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِبِهَا وَأَسِيَّ قَامِهَا وَحَالَاتِهَا وَحَرَامِهَا وَمَا أَعْيَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ  
مِنْهُمْ وَالنُّصَاةِ مِنْ جَنَّتِهِ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَ لِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا وَ  
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا .

المنصبه بالفتح و النصب التعب و الماضى نصب بالكسره و هم ناصب فى قول النابغه كلينى لهم يا أميمه ناصب (١).

ذو نصب مثل رجل تامر و لابن و يقال هو فاعل بمعنى مفعول فيه لأنه ينصب

ص: ١١٣

(١-١) ديوانه ٢، و بقيته: \*و ليل أقاسيه بطيء الكواكب\*.



فيه و يتعب كقولهم ليل نائم أى ينام فيه و يوم عاصف أى تعصف فيه الريح و و استعبدت فلانا اتخذته عبدا و الضراء الشده.

و معتبر (١) مصدر بمعنى الاعتبار و مصاحها جمع مصححه مفعله من الصحه كمضار جمع مضره و صنفه سبحانه بأنه معروف بالأدله لا من طريق الرؤيه كما تعرف المرثيات و بأنه يخلق الأشياء و لا يتعب كما يتعب الواحد منا فيما يزاوله و يباشر من أفعاله خلق الخلائق بقدرته على خلقهم لا بحركه و اعتماد (٢) و أسبغ النعمه عليهم أوسعها و استعبد الذين يدعون فى الدنيا أربابا بعزه و قهره.

و ساد كل عظيم بسعه جوده و أسكن الدنيا خلقه كما ورد فى الكتاب العزيز إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (٣).

و بعث رسله إلى الجن و الإنس كما ورد فى الكتاب العزيز يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَ يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا (٤).

قال ليكشفوا لهم عن غطاء الدنيا أى عن عوراتها و عيوبها المستوره و ليخوفوهم من مضرتها و غرورها المفضى إلى عذاب الأبد.

و ليضربوا لهم أمثالها

كالأمثال الوارده فى الكتاب العزيز نحو قوله تعالى إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ... الآية (٥).

قوله و ليهجموا عليهم هجمت على الرجل دخلت عليه بغته يقول ليدخلوا عليهم بما فى تصاريف الدنيا من الصحه و السقم و ما أحل و ما حرم على طريق الابتلاء.

ص: ١١٤

١-١) د: «بمعتبر».

٢-٢-٢) هذا اللفظ و شرحه لم يرد فى الخطبه.

٣-٣) سوره البقره ٣٠.

٤-٤) سوره الأنعام ١٣٠.

٥-٥) سوره يونس ٢٤.

ثم قال و ما أعد الله سبحانه للمطيعين منهم و العصاه يجوز أن تكون ما معطوفه على عيوبها فيكون موضعها نصبا و يجوز أن يكون موضعها جرا و يكون من تتمه أقسام ما يعتبر به و الأول أحسن .

ثم قال ع إني أحمد الله كما استحمد (١) إلى خلقه استحمد (٢) إليهم فعل ما يوجب عليهم حمده.

ثم قال إنه سبحانه جعل لكل شئ من أفعاله قدراً أى فعله مقدرًا محدود الغرض اقتضى ذلك القدر و تلك الكيفيه كما قال سبحانه وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٣) .

و جعل لكل شئ مقدر وقتا ينتهى إليه و ينقطع عنده و هو الأجل .

و لكل أجل كتابا

أى رقوما تعرفها الملائكة فتعلم انقضاء عمر من ينقضى عمره و عدم ما أظافهم فى معرفه عدمه مِنْهَا فى ذِكْرِ الْقُرْآنِ فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ وَ ارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَتَمَّ نُورَهُ وَ أَكْرَمَ بِهِ دِينَهُ وَ قَبَضَ نَبِيَّهُ ص وَ قَدْ فَرَّغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ وَ لَمْ يَتْرِكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَ جَعَلَ لَهُ عِلْماً بَادِئاً وَ آيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَ سَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ

ص: ١١٥

١-١) ساقط من ب.

١-٢) ساقط من ب.

-٣

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بَشِيءٌ سَخَطُهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بَشِيءٌ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ  
فِي آثَرِ بَيْنٍ وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَه الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ قَدْ كَفَأَكُمْ مَثُونَهُ دُنْيَاكُمْ وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمْ  
الدُّكْرَ وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ وَتَقَلُّبِكُمْ فِي قَبْضَتِهِ  
إِنْ أَسِيرْتُمْ عَلِمَهُ وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفْظَهُ كِرَامًا لَا يُسَيِّقُونَ حَقًّا وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ  
لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ وَنُورًا مِنَ الظُّلْمِ وَيُخَلِّدُهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ وَيُنزِلُهُ مَنزِلَ الْكِرَامِ عِنْدَهُ فِي دَارِ اِضْطِنَاعِهَا لِنَفْسِهِ ظِلًّا عَرْشُهُ وَ  
نُورًا بِهَجَّتِهِ وَزُورًا مَلَائِكَتَهُ وَرُفَقَاؤَهَا رُسُلُهُ فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وَسَابِقُوا الْأَجَالَ فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ وَيَرْهَقَهُمُ  
الْأَجَلُ وَيَسِيدَ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ (١) إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ  
لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَقَدْ أُودِئْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ وَأَمْرُكُمْ فِيهَا بِالزَّادِ . جعل القرآن آمرا و زاجرا لما كان خالقه و هو الله سبحانه آمرا  
زاجرا به فأسند الأمر و الزجر إليه كما تقول سيف قاتل و إنما القاتل الضارب به و جعله صامتا ناطقا لأنه من حيث هو حروف و  
أصوات صامت إذ كان العرض يستحيل أن يكون ناطقا

ص: ١١٦

(١ - ١) ا: «يسأل».

لأن النطق حركه الأداه بالكلام و الكلام يستحيل أن يكون ذا أداه ينطق بالكلام بها و هو من حيث يتضمن الإخبار و الأمر و النهى و النداء و غير ذلك من أقسام الكلام كالناطق لأن الفهم يقع عنده و هذا من باب المجاز كما تقول هذه الربوع الناطقه و أخبرتنى الديار بعد رحيلهم بكذا.

ثم وصفه بأنه حجه الله على خلقه لأنه المعجزه الأصليه .

أخذ سبحانه على الخلائق ميثاقه و ارتهن عليه أنفسهم لما كان سبحانه قد قرر فى عقول المكلفين أدله التوحيد و العدل و من جملة مسائل العدل النبوه و يثبت نبوه محمد ص عقلا كان سبحانه بذلك كالأخذ ميثاق المكلفين بتصديق دعوته و قبول القرآن الذى جاء و جعل به أنفسهم رهنا على الوفاء بذلك فمن خالف خسر نفسه و هلك هلاك الأبد.

هذا تفسير المحققين و من الناس من يقول المراد بذلك قصه الذريه قبل خلق آدم ع كما ورد فى الأخبار و كما فسر قوم عليه الآيه .

ثم ذكر ع أن الله تعالى قبض رسوله ص و قد فرغ إلى الخلق بالقرآن من الإكمال و الإتمام كقوله تعالى الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي (١) و إذا كان قد أكمله لم يبق فيه نقص ينتظر إتمامه .

قال فعظموا من الله ما عظم من نفسه لأنه سبحانه وصف نفسه بالعظمه و الجلال فى أكثر القرآن فالواجب علينا أن نعظمه على حسب ما عظم نفسه سبحانه .

ثم علل وجوب تعظيمه و حسن أمره لنا بتعظيمه سبحانه بكونه لم يخف عنا شيئا من أمر ديننا و ذلك لأن الشرعيات مصالح المكلفين و إذا فعل الحكيم سبحانه بنا

ص: ١١٧

ما فيه صلاحنا فقد أحسن إلينا و من جملة صلاحنا تعريفنا من الشرعيات ما فعله لطف و مفض بنا إلى الثواب و هذا أبلغ ما يكون من الإحسان و المحسن يجب تعظيمه و شكره.

قال لم يترك شيئا إلا و جعل له نصا ظاهرا يدل عليه أو علما يستدل به عليه أى إما منصوص عليه صريحا أو يمكن أن يستنبط حكمه من القرآن إما بذكره أو بتركه فيبقى على البراءة الأصلية و حكم العقل .

قوله فرضاه فيما بقى واحد معناه أن ما لم ينص عليه صريحا بل هو فى محل النظر ليس يجوز للعلماء أن يجتهدوا فيه فيحله بعضهم و يحرمه بعضهم بل رضا الله سبحانه أمر واحد و كذلك سخطه فليس يجوز أن يكون شىء من الأشياء يفتى فيه قوم بالحل و قوم بالحرمه و هذا قول منه ع بتحريم الاجتهاد و قد سبق منه ع مثل هذا الكلام مرارا .

قوله و اعلموا أنه ليس يرضى عنكم الكلام إلى منتهاه معناه أنه ليس يرضى عنكم بالاختلاف فى الفتاوى و الأحكام كما اختلف الأمم من قبلكم فسخط اختلافهم قال سبحانه إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ (١) .

و كذلك ليس يسخط عليكم بالاتفاق و الاجتماع الذى رضيه ممن كان قبلكم من القرون.

و يجوز أن يفسر هذا الكلام بأنه لا يرضى عنكم بما سخطه على الذين من قبلكم من الاعتقادات الفاسده فى التوحيد و العدل و لا يسخط عليكم بما تعتقدونه من الاعتقادات الصحيحه التى رضيتها ممن كان قبلكم فى التوحيد و العدل فيكون الكلام مصروفا إلى الأصول لا إلى الفروع.

ص: ١١٨

(١-١) سورة الأنعام ١٥٩.

قال و إنما تسيرون فى أثر بين أى إن الأدله واضحه و ليس مراده الأمر بالتقليد و كذلك قوله و تتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم يعنى كلمه التوحيد لا إله إلا الله قد قالها الموحدون من قبل هذه المله لا تقليدا بل بالنظر و الدليل فقولوها أنتم كذلك .

ثم ذكر أنه سبحانه قد كفى الخلق مؤونه دنياهم قال الحسن البصرى إن الله تعالى كفانا مؤونه دنيانا و حثنا على القيام بوظائف ديننا فليته كفانا مؤونه ديننا و حثنا على القيام بوظائف دنيانا.

قوله و افترض من ألسنتكم الذكر افترض عليكم أن تذكروه و تشكروه بألسنتكم و من متعلقه بمحذوف دل عليه المصدر المتأخر تقديره و افترض عليكم الذكر من ألسنتكم الذكر .

ثم ذكر أن التقوى المفترضه هى رضا الله و حاجته من خلقه لفظه حاجته مجاز لأن الله تعالى غنى غير محتاج و لكنه لما بالغ فى الحث و الحض عليها و توعده على تركها جعله كالمحتاج إلى الشىء و وجه المشاركه أن المحتاج يحث و يحض على حاجته و كذلك الأمر المكلف إذا أكد الأمر .

قوله أنتم بعينه أى يعلم أحوالكم و نواصيكم بيده الناصيه مقدم شعر الرأس أى هو قادر عليكم قاهر لكم متمكن من التصرف فيكم كالإنسان القابض على ناصيه غيره.

و تقلبكم فى قبضته

أى تصرفكم تحت حكمه لو شاء أن يمنعكم منعكم فهو كالشئ فى قبضه الإنسان إن شاء استدام القبض عليه و إن شاء تركه .

ثم قال إن أسررتهم أمرا علمه و إن أظهرتموه كته ليس على أن الكتابه غير العلم بل هما شئ واحد و لكن اللفظ مختلف.

ثم ذكر أن الملائكة موكله بالمكلف وهذا هو نص الكتاب العزيز وقد تقدم القول في ذلك .

ثم انتقل إلى ذكر الجنه و الكلام يدلّ على أنّها في السماء و أن العرش فوقها.

و معنى قوله اصطنعها لنفسه إعظامها و إجلالها كما قال لموسى وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (١) و لأنّه لما تعارف الناس في تعظيم ما يصنعونه أن يقول الواحد منهم لصاحبه قد وهبتك هذه الدار التي اصطنعتها لنفسى أى أحكمتها و لم أكن في بنائها متكلفا بأن أبنيتها لغيرى صح و حسن من البليغ الفصيح أن يستعير مثل ذلك فيما لم يصطنعه في الحقيقة لنفسه و إنّما هو عظيم جليل عنده .

قوله و نورها بهجته هذا أيضا مستعار كأنه لما كان إشراق نورها عظيما جدا نسبه إلى بهجه البارئ و ليس هناك بهجه على الحقيقة لأن البهجه حسن الخلقه قال تعالى وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٢) أى من كل صنف حسن .

قوله و زوارها ملائكته قد ورد في هذا من الأخبار كثير جدا و رفقائها رسله من قوله تعالى وَ حَسَنٌ أَوْلِيكَ رَفِيقًا (٣) .

و يوشك بكسر الشين فعل مستقبل ماضيه أوشك أى أسرع .

و رهقه الأمر بالكسر فاجأه .

و يسد عنهم باب التوبه

لأنّه لا- تقبل عند نزول الموت بالإنسان من حيث كان يفعلها خوفا فقط لا لقبح القبيح قال تعالى وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ (٤) .

ص : ١٢٠

١- (١) سورة طه ٤٩ .

٢- (٢) سورة ق ٧ .

٣- (٣) سورة النساء ٦٩ .

٤- (٤) سورة النساء ١٨ .

وَإِنَّمَا قَالَ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ حَتَّى إِذَا لَجَّاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١).

و بنو سبيل أرباب طريق مسافرون .

و أوزن فلان بكذا أعلم و آذنته أعلمته.

و قد تقدم لنا كلام بالغ في التقوى و ماهيتها و تأكيد وصاه الخالق سبحانه و الرسول ع بها

## نبد و أقاويل في التقوى

٢٢٦٣

رَوَى الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ اتَّقِ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَ تَأْتِي عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْ أَ تَنْتَقِصُهُ (٢) فَقَالَ عُمَرُ دَعُهُ فَلَا خَيْرَ فِيهِمْ إِذَا لَمْ يَقُولُوهَا وَلَا خَيْرَ فِيْنَا إِذَا لَمْ تَقُلْ لَنَا.

٢٢٦٤

وَ كَتَبَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِلَى سَهْلِ بْنِ صَالِحٍ (٣) وَ كَانَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ أَمَّا بَعِيدُ فَأَنَا أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي لَا عَنَاءَ بِكَ عَنْ تَقَاتِهِ وَ أَتَقَدَّمُ إِلَيْكَ عَنِ اللَّهِ وَ نَدُّكَ مَكْرَ اللَّهِ فِيمَا دَبَّتْ بِهِ إِلَيْكَ سَاعَاتُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ فَلَا تُخَدَعَنَّ عَنْ دِينِكَ فَإِنَّ سَاعَاتِكَ أَوْقَاتِكَ إِنَّ ظَفِيرُكَ بِذَلِكَ مِنْكَ وَ جَدْتُ اللَّهَ فِيكَ أَسْرَعَ مَكْرًا وَ أَنْفَذَ فِيكَ أَمْرًا وَ وَجَدْتُ مَا مَكْرَتْ بِهِ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ غَيْرَ رَادٌّ عَنْكَ يَدُ اللَّهِ وَلَا مَرَانِعَ لَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ لَعَمْرِي لَقَدْ مَلَأَتْ عَيْنُكَ الْفِكْرَ وَ اضْطَرَبَتْ فِي سَمْعِكَ أَصْوَاتُ الْعِبَرِ وَ رَأَيْتَ آثَارَ نِعَمِ اللَّهِ نَسَخَتْهَا آثَارُ نِقْمِهِ حِينَ اسْتَهْزَى بِأَمْرِهِ وَ جُوهرَ بِمُعَانَدَتِهِ أَلَا إِنَّ فِي حُكْمِ اللَّهِ

ص: ١٢١

١-١) سورة المؤمنين ١٠٠، ٩٩.

٢-٢) و انظر النهاية لابن الأثير ١: ٣٨.

٣-٣) د: «صاعد».



أَنَّهُ مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ فَاسْتَيْهَانَ بِأَمْرِهِ أَهَانَهُ اللَّهُ السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ لَا وَعَظَكَ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ وَ جَعَلَ عِظَتَكَ فِي غَيْرِكَ وَلَا جَعَلَ  
الدُّنْيَا عَلَيْكَ حَسْرَةً وَ نَدَامَةً بِرَحْمَتِهِ.

و

٢٢٦٥

مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا كَرَمَ كَالْتَّقْوَى وَلَا مَالَ أَعُوذُ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا وَحِيدَهُ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ وَلَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ وَلَا قَرِينَ  
كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَلَا فَائِدَةً كَالْتَوْفِيقِ وَلَا تِجَارَةً كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَلَا رِبْحَ كَثَوَابِ اللَّهِ وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ  
الشُّبْهِهِ وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ وَلَا عِلْمَ كَالْتَّفَكُّرِ وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَلَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ وَلَا حَسَبَ كَالْتَوَاضِعِ  
وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْفَقَ مِنَ الْمَشُورَةِ فَاحْفَظِ الرَّأْسَ وَ مَا حَوَى وَ الْبُطْنَ وَ مَا وَعَى وَ اذْكُرِ الْمَوْتَ وَ طُولَ الْبَلَى.

وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجُلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ فَارْحَمُوا نَفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ  
مِنَ الشُّوْكَهِ تَصَيَّبُهُ وَ الْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ وَ الرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَجِيعِ حَجَرٍ وَ قَرِينِ شَيْطَانٍ أَعْلَمْتُمْ أَنَّ  
مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِعُضْبِهِ وَ إِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ أَيُّهَا الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ  
لَهَزَهُ الْقَتِيرُ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ أَطْوَأُ النَّارِ بَعْظَامَ الْأَعْنَاقِ وَ نَسَبَتِ الْجَوَامِعَ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَسَرَ الْعِبَادِ وَ  
أَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ وَ فِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضَّيْقِ فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا

ص: ١٢٢

أَسِيهُرُوا عُيُونَكُمْ وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَاسْتَعْمَلُوا أَقْدَامَكُمْ وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَكُمْ وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (١) وَقَالَ تَعَالَى مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (٢) فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَاسْتَقْرِضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُبَلِّغَكُمْ أَنَّ يَبْلُغَكُمْ أَكْرَمَ أَسْمَاعِهِمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسْبِيسٍ نَارٍ أَيْدَاءً وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٣) أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

## الرمضاء

الأرض الشديده الحراره و المرض بالتحريك شده وقع الشمس على الرمل و غيره و قد رمض يومنا بالكسر يرمض رمضا اشتد حره و أرض رمضه الحجاره و رمضت قدمه من الرمضاء احترقت.

ص: ١٢٣

١-١ (١) سورة محمد ٧.

٢-٢ (٢) سورة البقره ٢٤٥.

٣-٣ (٣) سورة الحديد ٢١.

و الطابق بالفتح الآجره الكبيره و هو فارسى معرب.

و ضجيع حجر يومئ فيه إلى قوله تعالى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ (١) قيل إنها حجاره الكبريت.

و قرين شيطان

يومئ فيه إلى قوله تعالى قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ (٢).

و حطم بعضها بعضا

كسره أو أكله و الحطمه من أسماء النار لأنها تحطم ما تلقى و منه سمي الرجل الكثير الأكل حطمه .

و اليفن

الشيخ الكبير و لهزه خالطه و يقال له حينئذ ملهوز ثم أشمط ثم أشيب و لهزت القوم خالطتهم و دخلت بينهم.

و القتير الشيب و أصله رءوس المسامير فى الدروع تسمى قتيرا.

و التحمت أطواق النار بالعظام التفت عليها و انضمت إليها و التصقت بها.

و الجوامع جمع جامع و هى الغل لأنها تجمع اليمين إلى العنق.

و نشبت

علقت و السواعد جمع ساعد و هو الذراع .

و فى من قوله فى الصحه قبل السقم متعلقه بالمحذوف الناصب لله و هو اتقوا أى اتقوه سبحانه فى زمان صحتكم قبل أن ينزل بكم السقم و فى فسحه أعماركم قبل أن تبدل بالضيق .

و فكاك الرقاب بفتح الفاء عتقها قبل أن تغلق رهائنها يقال غلق الرهن بالكسر إذا استحققه المرتهن بألا يفكه الراهن فى الوقت المشروط و كان ذلك من شرع الجاهليه فنهى عنه النبى ص و قال لا يغلق الرهن.

ص: ١٢٤

١-١) سورة البقره ٢٤.

٢-٢) سورة ق ٢٣.

و خذوا من أجسادكم

أى أتعبوها بالعبادة حتى تنحل .

و القل القله و الذل الذله .

و حسيس النار صوتها و اللغوب النصب

## طرف و أخبار

و نظير قوله ع استقرضكم و له خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَا

٢٢٤٤

رَوَاهُ الْمُبَرَّدُ فِي الْكَامِلِ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ وَقَفَ عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ فِي حَلْقِهِ يُونُسَ [التَّحْوِيَّ]

(١) فَقَالَ الْحَمِيدُ لِلَّهِ كَيْمَا هُوَ أَهْلُهُ وَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَذْكَرَ بِهِ وَ أَنْسِيَاهُ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ص ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِمَّنْ أَخْرَجْتَهُ الْحَاجَةُ وَ حَمِلَ عَلَى الْمَكْرُوهِ وَ لَا يُمَرِّضُونَ مَرْضَاهُمْ (٢) وَ لَا يَدْفِنُونَ مَيِّتَهُمْ وَ لَا يَنْتَقِلُونَ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ وَ إِنْ كَرِهُوهُ وَ اللَّهُ يَا قَوْمٍ لَقَدْ جُعْتُ حَتَّى أَكَلْتُ النَّوَى الْمُحْرَقَ وَ لَقَدْ مَشَيْتُ حَتَّى انْتَعَلْتُ الدَّمَ وَ حَتَّى خَرَجَ مِنْ قَدَمِي بِخُصِّ (٣) وَ لَحْمٌ كَثِيرٌ أَفَلَا رَجُلٌ يَرْحَمُ ابْنَ سَبِيلٍ وَ قُلَّ (٤) طَرِيقٍ وَ نَضَوْ سَفَرٍ فَإِنَّهُ لَا قَلِيلٌ مِنَ الْأَجْرِ وَ لَا غَنِيٌّ عَنْ [تَوَابِ]

(٥) اللَّهُ وَ لَا عَمَلٌ بَعْدَ الْمَوْتِ وَ هُوَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ مَنْ ذَا الَّذِي

ص: ١٢٥

١-١) من الكامل.

٢-٢) الكامل: «مريضهم».

٣-٣) قال أبو العباس المبرد: قوله: «بخص»؛ يريد اللحم الذي يركب القدم؛ هذا قول الأصمعي. و قال غيره: هو لحم يخلطه بياض من فساد يحل فيه. و يقال: بخصت عينه-بالصاد-و لا يجوز إلا ذلك و يقال: بخصته حقه؛ بالسين: إذا ظلمته و نقصته؛ كما قال الله عزَّ و جلَّ: وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ فِي الْمَثَلِ: تَحَسَّبُهَا حَمَقَاءٌ وَ هِيَ بَاخِسٌ.

٤-٤) قال أبو العباس: الفل في أكثر كلامهم المنهزم الذاهب؛ و في خبر كعب بن معدان الأشقري: «إنا آثرنا الحدَّ على الفل».

٥-٥) من الكامل.

يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا (١) مَلِيٌّ وَفِي مَا جِدَّ وَاجِدٌ [جَوَادٌ]

(٢) لَا يَسْتَقْرِضُ مِنْ عَوَزٍ (٣) وَ لَكِنَّهُ يَبْلُو (٤) الْأَخْيَارَ (٥) .

قَالَ الْمَازِنِيُّ فَبَلَغَنِي أَنَّهُ لَمْ يَبْرَحْ حَتَّى أَخَذَ سِتِّينَ دِينَارًا.

٢٢٤٧

وَ مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيِّ الْأَيْتَامُ مُسْتَوْدِعَاتُ الْأَعْمَالِ وَ نِعْمَ الْأَرْضُ وَنَ هِيَ لِمَنْ بَدَّرَ فِيهَا الْخَيْرَ وَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ.

٢٢٤٨

وَ خَطَبَ الْحَجَّاجُ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ أَغْرَاضُ حَمَامٍ وَ فُرْصٌ هَلَكَةٍ قَدْ أَنْذَرَ كُمْ الْقُرْآنُ وَ نَادَى بِرَحِيلِكُمْ الْجَدِيدَانِ هَا إِنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا لَا تُؤَخَّرُ سَاعَتُهُ وَ لَا تُدْفَعُ هَجْمَتُهُ وَ كَانَ قَدْ دَلَّفَتْ إِلَيْكُمْ نَازِلَتَهُ فَتَعَلَّقَ بِكُمْ رَيْبُ الْمُتُونِ وَ عَلِقَتْ بِكُمْ أُمُّ اللَّهَيْمِ الْحَزْبُونِ فَمَا ذَا هَيَأْتُمْ لِلرَّحِيلِ وَ مَا ذَا أَعَدَدْتُمْ لِلنَّزِيلِ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ أَهْبَهُ الْحَذِرِ نَزَلَ بِهِ مَرْهُوبٌ الْقَدْرِ.

### خطبه لأبي الشخباء العسقلاني

قلت و قد شغف الناس في المواعظ بكلام كاتب محدث يعرف بابن أبي الشخباء

ص: ١٢٦

١-١ (١) سورة البقرة ٢٤٥.

١-٢ (١) سورة البقرة ٢٤٥.

٣-٣ (٣) قال أبو العباس: قوله: «و لكن ليلو الأخيار»؛ يقال: الله يبلوهم و يبتليهم و يختبرهم في معنى و تأويله يمتحنهم؛ و هو العالم عزّ و جلّ بما يكون؛ كعلمه بما كان؛ قال الله جل ثناؤه: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا. .

٤-٤ (٤) الخبر في الكامل ١:٤٥١-٤٥٥.

-٥

العسقلاني و أنا أورد هاهنا خطبه من مواعظه هي أحسن ما وجدته له ليعلم الفرق بين الكلام الأصيل و المولد.

أيها الناس فكوا أنفسكم من حلقات الآمال المتعبه و خففوا ظهوركم من الآصار المستحقبه و لا تسيموا أطماعكم في رياض الأمانى المتشعبه و لا- تميلوا صغواكم إلى زبارج الدنيا المحببه فتظل أجسامكم في هشائمه عامله نصبه أ ما علمتم أن طباعها على الغدر مركبه و أنها لأعمار أهلها منتهبه و لما ساءهم منتظره مرتقبه في هبتها راجعه متعقبه فانضوا رحمكم الله ركائب الاعتبار مشرقه و مغربه و أجروا خيول التفكر مصعده و مصوبه هل تجدون إلا- قصورا على عروشها خربه و ديارا معطشه من أهلها مجدبه أين الأمم السالفه المتشعبه و الجبابره الماضيه المتغلبه و الملوك المعظمه المرجبه أولو الحفده و الحجبه و الزخارف المعجبه و الجيوش الحراره اللجبه و الخيام الفضفاضه المطنبه و الجياد الأ-عوجيه المجنبه و المصاعب الشدقميه المصحبه و اللدان المثقفه المدربه و الماذيه الحصينه المنتخبه طرقت و الله خيامهم غير منتهبه و أزارتهم من الأسقام سيوفا معطبه و سيرت إليهم الأييام من نوبها كتائب مكتبه فأصبحت أظفار المنيه من مهجهم قانيه مختضبته و غدت أصوات النادبات عليهم مجلبه و أكلت لحومهم هوام الأرض السغبه ثم إنهم مجموعون ليوم لا- يقبل فيه عذر و لا معتبه و تجازى كل نفس بما كانت مكتسبه فسعيده مقربه تجرى من تحتها الأنهار مثوبه و شقيه معذبه في النار مكبكه.

هذه أحسن خطبه خطبها هذا الكاتب و هي كما تراها ظاهره التكلف بينه التوليد تخطب على نفسها و إنما ذكرت هذا لأن كثيرا من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغه كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة و ربما عزوا بعضه إلى الرضى أبى الحسن و غيره و هؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح

و ركبوا بنيات (١) الطريق ضلالا و قله معرفه بأساليب الكلام و أنا أوضح لك بكلام مختصر ما فى هذا الخاطر من الغلط فأقول

### رأى للمؤلف فى كتاب نهج البلاغه

لا يخلو إمّا أن يكون كل نهج البلاغه مصنوعا منحولا أو بعضه و الأول باطل بالضرورة لأننا نعلم بالتواتر صحه إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين ع و قد نقل المحدثون كلهم أو جلهم و المؤرخون كثيرا منه و ليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض فى ذلك و الثانى يدل على ما قلناه لأن من قد أنس بالكلام و الخطابه و شدا طرفا من علم البيان و صار له ذوق فى هذا الباب لا بدّ أن يفرق بين الكلام الركيك و الفصيح و بين الفصيح و الأنصح و بين الأصيل و المولد و إذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعه من الخطباء أو لاثنين منهم فقط فلا بدّ أن يفرق بين الكلامين و يميز بين الطريقتين ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر و نقده لو تصفحنا ديوان أبى تمام فوجدناه قد كتب فى أثائه قصائد أو قصيده واحده لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبى تمام و نفسه و طريقتة و مذهبه فى القريض ألا- ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيره منحوله إليه لمباينتها لمذهبه فى الشعر و كذلك حذفوا من شعر أبى نواس شيئا كثيرا لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه و لا- من شعره و كذلك غيرهما من الشعراء و لم يعتمدوا فى ذلك إلا على الذوق خاصه.

و أنت إذا تأملت نهج البلاغه وجدته كله ماء واحدا و نفسا واحدا و أسلوبا واحدا كالجسم البسيط الذى ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الأبعاض فى الماهيه و كالقرآن العزيز أوله كأوسطه و أوسطه كآخره و كل سوره منه و كل آيه مماثله فى

ص: ١٢٨

١-١) يقال: ركب بنيات الطريق، أى ضل؛ و أصل البنيات: الطرق الصغار، ثم أطلقت على الترهات.

المأخذ و المذهب و الفن و الطريق و النظم لباقي الآيات و السور و لو كان بعض نهج البلاغه منحولا و بعضه صحيحا لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين ع. و اعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به لأننا متى فتحنا هذا الباب و سلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله ص أبدا و ساغ لطاعن أن يطعن و يقول هذا الخبر منحول و هذا الكلام مصنوع و كذلك ما نقل عن أبي بكر و عمر من الكلام و الخطب و المواعظ و الأدب و غير ذلك و كل أمر جعله هذا الطاعن مستندا له فيما يرويّه عن النبي ص و الأئمة الراشدين و الصحابه و التابعين و الشعراء و المترسلين و الخطباء فلناصرى أمير المؤمنين ع أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغه و غيره و هذا واضح



وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَكَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ اسْتَيْكُتَ قَبْحَكَ (١) اللَّهُ يَا أَثْرُمُ فَوَ اللَّهُ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ  
ضَيِّلاً شَخْصُكَ خَفِيًّا صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمَتْ نُجُومَ قَزَنِ الْمَاعِزِ .

البرج بن مسهره

-بضم الميم و كسر الهاء-بن الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد بن طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب  
بن خارجه بن سعد بن قطره بن طى بن داود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن  
قحطان شاعر مشهور من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه أمير المؤمنين ع فزجره .

و قبحك الله لفظه معناها كسر ك يقال قبحت الجوزة أى كسرتها و قيل قبحه نحاه عن الخير و كان البرج ساقط الثنيه فأهانته بأن  
دعاه به كما يهان الأعور بأن يقال له يا أعور .

و الضئيل الدقيق الخفى ضؤل الرجل بالضم ضآله نحف و ضؤل رأيه صغر و رجل متضائل أى شخت و كذلك ضؤله.

ص : ١٣٠

و نعر الباطل صاح و المراد أهل الباطل و نعر فلان فى الفتنه نهض فيها.

و نجم طلع أى طلع بلا شرف و لا شجاعه و لا قدم بل على غفله كما ينبت قرن الماعز و هذا من باب البديع و هو أن يشبه الأمر يراد إهانتة بالمهين و يشبه الأمر يراد إعظامه بالعظيم و لو كان قد تكلم فى شأن ناجم يريد تعظيمه لقال نجم نجوم الكوكب من تحت الغمام نجوم نور الربيع من الأكمام و نحو ذلك

ص: ١٣١

رَوَى أَنَّ صَاحِبًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع يُقَالُ لَهُ هَمَامٌ كَانَ رَجُلًا عَابِدًا فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَتَنَاقَلَ ع عَنْ جِوَابِهِ ثُمَّ قَالَ يَا هَمَامُ اتَّقِ اللَّهَ وَ أَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١) فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَيَّرَ لِي عَلَى النَّبِيِّ ص ثُمَّ قَالَ ع أَمَا بَعُدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ حَيْثُ خَلَقَهُمْ غَيْرًا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَةٍ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَ وَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مُنْطَقُهُمُ الصَّوَابُ وَ مَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ وَ مَشِيئُهُمُ التَّوَاضُّعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّذِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَ لَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ]

عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَهُ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ وَ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ

ص: ١٣٢

عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَبَرُوا مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَرَا فِيهَا مَنْعَمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَرَا فِيهَا مَنْعَمُونَ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَاجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَغْبَتَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ تِجَارَةٌ مُرَبِحَةٌ يَسْرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمْ السُّدُنِيَا فَلَمْ يُرِيدُواهَا وَاسْرَتْهُمْ فَفَسَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يَرْتَلُونَهَا تَرْتِيلًا يُحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَتِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَتَطَلَعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصَبَ أَعْيُنُهُمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكْفَهُمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يُطَلَّبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكٍ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أُبْرَارٌ أَتَقِيَاءُ قَدَرَاهُمْ الْخَوْفُ بَرَى الْقِدَاحَ يُنْظَرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ حَوْلُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يَرْضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْتِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مَتَّهِمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مَنِي بِنَفْسِي اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

المذكور في هذه الخطبه هو همام بن شريح بن يزيد بن مره بن عمرو بن جابر بن يحيى بن الأصهب بن كعب بن الحارث بن سعد بن عمرو بن ذهل بن مران بن صيفى بن سعد العشيره . و كان همام هذا من شيعة أمير المؤمنين ع و أوليائه و كان ناسكا عابدا قال له يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى أصير بوصفك إياهم كالناظر إليهم.

فتناقل عن جوابه أى أبطأ .

فعزم عليه أى أقسم عليه و تقول لمن يكرر عليك الطلب و السؤال قد عزم على أى أصر و قطع و كذلك تقول فى الأمر تريد فعله و تقطع عليه عزمت عزما و عزمانا و عزيمه و عزيماء.

فإن قلت كيف جاز له ع أن يتناقل عن جواب المسترشد.

قلت يجوز أن يكون تناقل عن جوابه لأنه علم أن المصلحه فى تأخير الجواب و لعله كان حضر المجلس من لا يجب أن يجيب و هو حاضر فلما انصرف أجاب و لعله رأى أن تناقله عن الجواب يشد تشوق همام إلى سماعه فيكون أنجع فى موعظته و لعله كان من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة لا- من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة و لعله تناقل عن الجواب ليرتب المعانى التى خطرت له فى ألفاظ مناسبة لها ثم ينطق بها كما يفعله المتروى فى الخطبه و القريض.

فإن قلت فما معنى إجابته له أولا بقوله يا همام اتق الله و أحسن ف إنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ و أى جواب فى هذا عن سؤال همام .

قلت كأنه لم ير في بادئ الحال شرح صفات المتقين على التفصيل فقال لهمام ماهيه التقوى معلومه في الجملة فاتق الله و أحسن فإن الله قد وعد في كتابه أن يكون وليا و ناصرا لأهل التقوى و الإحسان و هذا كما يقول لك قائل ما صفات الله الذي أعبدته أنا و الناس فتقول له لا عليك ألا تعرف صفاته مفصله بعد أن تعلم أنه خالق العالم و أنه واحد لا شريك له فلما أبى همام إلا الخوض فيما سأله على وجه التفصيل قال له إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم و يروى حيث خلقهم و هو غنى عن طاعتهم لأنه ليس بجسم فيستضر بأمر أو ينتفع به.

و قسم بين الخلق معاشهم كما قال سبحانه نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (١).

و في قوله وضعهم مواضعهم معنى قوله وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا (٢) فكانه ع أخذ الألفاظ فألغاها و أتى بمعناها .

فلما فرغ من هذه المقدمه شرع في ذكر صفات المتقين فقال إنهم أهل الفضائل ثم بين ما هذه الفضائل فقال منطقتهم الصواب .

فإن قلت أى فائده في تقديم تلك المقدمه و هى كون البارئ سبحانه غنيا لا تضره المعصيه و لا تنفعه الطاعه .

قلت لأنه لما تضمنت الخطبه مدح الله تعالى للمتقين و ما أعده لهم من الثواب و ذمه للعاصيين و ما أعده لهم من العقاب العظيم فربما يتوهم متوهم أن الله تعالى ما رغب في الطاعه

ص: ١٣٥

١-١) سورة الزخرف ٣٢.

١-٢) سورة الزخرف ٣٢.

هذا الترغيب البالغ و خوف من المعصيه هذا التخويف البالغ إلا و هو منتفع بالأولى مستنصر بالثانيه فقدم ع تلك المقدمه نفيًا لهذا الوهم

### فصل فى فضل الصمت و الاقتصاد فى المنطق

و اعلم أن القول فى خطر الكلام و فضل الصمت و فضل الاقتصار فى المنطق وسيع جدا و قد ذكرنا منه طرفا فيما تقدم و نذكر الآن منه طرفا آخر.

٢٢٦٩

قَالَ النَّبِيُّ ص مَنْ صَمَتَ نَجَا.

و

٢٢٧٠

قَالَ أَيْضاً الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ.

و

٢٢٧١

١٤- قَالَ لَهُ ص بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ بِأَمْرٍ لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعِيدًا فَقَالَ قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَ قَالَ فَمَا أَتَّقِي فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ

٢٢٧٢

١٤- وَقَالَ لَهُ ع عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاهُ قَالَ امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ (١) وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ وَلِيَسْعَكَ بَيْتُكَ .

و

٢٢٧٣

رَوَى سَهْلُ بْنُ سَعْدِ السَّاعِدِيُّ عَنْهُ ص مَنْ يَتَوَكَّلْ لِي بِمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ اتَّوَكَّلْ لَهُ بِالْجَنَّةِ .

و

قَالَ مَنْ وُقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ (٢) وَ ذَبَذَبِهِ (٣) وَ لَقَلَقَهُ (٤) فَقَدْ وُقِيَ.

و

رَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ مَرْفُوعًا إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتِ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تَشْكُو

ص: ١٣٦

١-١) املكك عليك لسانك؛ أى لا تحركه إلا بما يكون لك لا عليك.

٢-٢) القبقب: البطن؛ من القبقبه؛ وهى صوت يسمع من البطن فكأنها حكاية ذلك الصوت. لنهايه لابن الأثير ٣:٢٢٥.

٣-٣) ذبذبه، أى ذكره. وانظر النهايه لابن الأثير ٢:٤٣.

٤-٤) اللقلق: اللسان. النهايه لابن الأثير ٤:٦٤؛ قال: و منه حديث عمر: ما لم يكن نقع و لا لقلقه؛ أراد الصياح و الجلبه عند الموت؛ و كأنها حكاية الأصوات الكثيره.



اللِّسَانَ تَقُولُ أَيُّ بَنِي آدَمَ اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا.

٢٢٧٦

١٤- وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَأَى أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ يَمِيدُ لِسَانَهُ فَقَالَ مَا تَصْنَعُ قَالَ هَذَا الَّذِي أَوْزَدَنِي الْمَوَارِدَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى اللِّسَانَ عَلَى حَدِيثِهِ .

٢٢٧٧

١٤- وَ سَمِعَ ابْنَ مَسْعُودٍ يُبَيِّ عَلَى الصَّفَا وَيَقُولُ يَا لِسَانَ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمُ أَوْ اصْبِرْ تَسْلِمُ مِنْ قَبِيلِ أَنْ تَنْدَمَ فِقِيلَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَ هَذَا شَيْءٌ سَمِعْتَهُ أَمْ تَقُولُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِكَ قَالَ بَلْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ مِنْ لِسَانِهِ .

و

٢٢٧٨

رَوَى الْحَسَنُ مَرْفُوعاً رَجَمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَعَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ.

٢٢٧٩

وَقَالَتِ التَّلَامِذَةُ لِعِيسَى ع دُنَّا عَلَى عَمَلٍ نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ قَالَ لَا تَنْطِقُوا أَبَدًا قَالُوا لَا نَسْتَطِيعُ ذَلِكَ قَالَ فَلَا تَنْطِقُوا إِلَّا بِخَيْرٍ.

و

٢٢٨٠

قَالَ النَّبِيُّ ص إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ فَاتَّقَى اللَّهَ أَمْرٌ وَعَلِمَ مَا يَقُولُ.

و

٢٢٨١

كَانَ يَقُولُ لَا شَيْءَ أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ.

٢٢٨٢

وَ كَانَ يُقَالُ لِسَانُكَ سَبْعٌ إِنْ أَطْلَقْتَهُ أَكَلَكَ.

٢٢٨٣

فِي حِكْمِهِ آلِ دَاوُدَ حَقِيقُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِزَمَانِهِ حَافِظًا لِلسَّانَةِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ.

٢٢٨٤

وَكَانَ يُقَالُ مَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ أَقَلَّ كَلَامَهُ فِيمَا لَا يَنْفَعُهُ.

٢٢٨٥

وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ حَفِظُ اللُّسَانِ أَشَدُّ عَلَى النَّاسِ مِنْ حَفِظِ الدِّينَارِ وَ الدَّرْهِمِ.

ص: ١٣٧

اجْتَمَعَ أَرْبَعُهُ حُكَمَاءَ مِنَ الرُّومِ وَالْفُرسِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَنَا أَنْدَمُ عَلَى مَا قُلْتُ وَلَا أَنْدَمُ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ وَقَالَ الْآخَرُ إِذَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مَلَكَتْنِي وَلَا أَمْلِكُهَا وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ مَلَكَتْهَا وَلَا تَمْلِكُنِي وَقَالَ الْآخَرُ عَجِبْتُ لِلْمُتَكَلِّمِ إِنْ رَجَعَتْ عَلَيْهِ كَلِمَتُهُ ضَرَّتْهُ وَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ لَمْ تَنْفَعْهُ وَقَالَ الرَّابِعُ أَنَا عَلَى رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ.

### ذكر الآثار الواردة في آفات اللسان

و اعلم أن آفات اللسان كثيره فمنها الكلام فيما لا يعينك و هو أهون آفات اللسان و مع ذلك فهو عيب

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَوَكُّهُ مَا لَا يَعْنِيهِ.

و

١٤- رَوَى أَنَّهُ عَمَّرَ بِشَهِيدٍ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ أَصْحَابُهُ هَيْبَتًا لَهُ الْجَنَّةُ قَالَ وَ مَا يُدْرِيكُمْ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ

.

و

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ خَمْسٌ هِيَ أَحْسَنُ وَ أَنْفَعُ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ لَا- تَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا- يَعْنِيكَ فَإِنَّهُ فَضْلٌ لَا- آمَنُ عَلَيْهِ الْوِزْرُ وَ لَا تَتَكَلَّمُ فِيمَا يَعْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا قَرِيبًا مِمَّا تَتَكَلَّمُ فِيهِ أَمْرٌ يَعْنِيهِ قَدْ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ عِندَ فَاسِيَاءٍ وَ لَا تُتَمَارِ حَلِيمًا وَ لَا سِيءًا فِيهَا فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَقْلِيكَ وَ السَّيِّئَةَ يُؤْذِيكَ وَ اذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا تَعَيَّبَ عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ وَ اعْفُ عَمَّا تُحِبُّ أَنْ يَعْفِيكَ عَنْهُ وَ اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَرَى أَنَّهُ مُجَازِي بِالْإِحْسَانِ مَا خُوذُ بِالْجَرَائِمِ.

و منها فضول الكلام و كثرته و ترك الاقتصار

وَ كَانَ يُقَالُ فَضُولُ الْمُنْطِقِ وَ زِيَادَتُهُ نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ وَ هُمَا ضِدَّانِ مُتَنَافِيَانِ كُلَّمَا زَادَ أَحَدُهُمَا نَقَصَ الْآخَرُ.

٢٢٩١

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ الْكَلَامِ حَسْبُ امْرِئٍ مَا بَلَغَ بِهِ حَاجَتَهُ.

٢٢٩٢

وَكَانَ يُقَالُ مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ.

٢٢٩٣

وَ قَالَ الْحَسَنُ فُضُولَ الْكَلَامِ كَفُضُولِ الْمَالِ كِلَاهُمَا مُهْلِكٌ.

و منها الخوض في الباطل و الحديث فيما لا يحل كحديث النساء و مجالس الخمر و مقامات الفساق و إليه الإشارة بقوله تعالى وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (١).

و منها المراء (٢) و الجدل

٢٢٩٤

قَالَ عَدِيُّ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ وَ إِنْ كُنْتُ مُحِقًّا.

٢٢٩٥

وَ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ الْمِرَاءُ يُقْسِي الْقَلْبَ وَ يُورِثُ الضَّعَائِنَ.

٢٢٩٦

وَ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لَوْ خَالَفْتُ أَخِي فِي رُؤْيَايَ فَقَالَ حُلُوهُ وَ قُلْتُ حَامِضُهُ لَسَعَى بِي إِلَى السُّلْطَانِ.

٢٢٩٧

وَ كَانَ يُقَالُ صَافٍ مَنْ شَتَّ ثُمَّ أَغْضِبُهُ بِالْجِدَالِ وَ الْمِرَاءِ فَلْيَزِمِيَنَّكَ بِدَاهِيَةِ تَمَنُّعِكَ الْعَيْشِ.

٢٢٩٨

وَ قِيلَ لِمَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ مَا لَكَ لَا تُفَارِقُ أَخَا لَكَ عَنْ قَلِي قَالَ لِأَنِّي لَا أُشَارِيهِ وَ لَا أُمَارِيهِ.

و منها التقعر فى الكلام بالتشدد و التكلف فى الألفاظ

٢٢٩٩

قَالَ النَّبِيُّ ص

ص: ١٣٩

---

١-١) سورة المدثر ٤٥.

٢-٢) المراءء، و فعله مارى يمارى: كثره المنازعه و اللجاجة فى القول.

أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ وَ أْبَعْدُكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ (١) الْمُتَفَيِّهُمُونَ (٢) الْمُتَشَدِّقُونَ (٣) .

و

٢٣٠٠

قَالَ ع هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ...ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

و التنطع هو التعمق و الاستقصاء

٢٣٠١

وَ قَالَ عُمَرُ إِنَّ شَقَاشِقَ الْكَلَامِ مِنْ شَقَاشِقِ الشَّيْطَانِ .

و منها الفحش و السب و البذاء (٤)

٢٣٠٢

قَالَ النَّبِيُّ ص إِيَّاكُمْ وَ الْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَ لَا يَرْضَى الْفُحْشَ .

و

٢٣٠٣

قَالَ ع لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَ لَا بِاللَّعَانِ وَ لَا بِالسَّبَابِ وَ لَا بِالْبِدْيَةِ .

و

٢٣٠٤

قَالَ ع لَوْ كَانَ الْفُحْشُ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلًا سَوْءًا .

و منها المزاح الخارج عن قانون الشريعة و كان يقال من مزح استخف به و كان يقال المزاح فحل لا ينتج إلا الشر.

و منها الوعد الكاذب و

٢٣٠٥

قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ص الْعِدَّةُ دَيْنٌ وَ قَدْ أَتَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ فَقَالَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ (٥) وَ قَالَ سُبْحَانَهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

١-١) الثرثارون: الذين يكثرون الكلام تكلفاً و تجاوزاً و خروجاً عن الحق، و أصله من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عین ثرثاره.

٢-٢) المتفيهقون، أصله من قولهم: «فهق الغدير يفهق، إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد.

٣-٣) المتشققون: المتوسعون في الكلام من غير احتياط و احتراز و في اللسان: وقيل: «أراد بالمتشقق: المستهزئ بالناس، يلوى شذقه بهم و عليهم».

٤-٤) البذاء، بالفتح: السفه و الفحش في المنطق.

٥-٥) سورة مريم ٥٤.

٦-٦) سورة المائدة ١.

و منها الكذب فى القول و اليمين و الأمر فىهما مشهور.

و منها الغيبه و قد تقدم القول فيها.

قوله ع و ملبسهم الاقتصاد أى ليس بالثمين جدا و لا بالحقير جدا كالخرق التى تؤخذ من على المزابل و لكنه أمر بين أمرين

٢٣٠٦

١- وَ كَانَ ع يَلْبَسُ الْكِرَابِيْسَ وَ هُوَ الْخَامُ الْعَلِيْظُ . وَ كَذَلِكَ كَانَ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

٢٣٠٧

١٤- وَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ص يَلْبَسُ اللَّيْنَ تَارَةً وَ الْخَشِنَ أُخْرَى .

قوله ع و مشيهم التواضع تقديره و صفه مشيهم التواضع فحذف المضاف و هذا مأخوذ من قوله تعالى وَ أَقْصِدْ فِي مَشِيكِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ (١).

٢٣٠٨

رَأَى مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ ابْنَ أُمَّةٍ يَمْسِي وَ هُوَ يَبْحَثُ وَ يَمِيْسُ فِي مَشِيَّتِهِ فَصَاحَ بِهِ فَأَقْبَلَ فَقَالَ لَهُ وَ يَلِكُ لَوْ عَرَفْتَ نَفْسَكَ لَقَصَيْدَتْ فِي مَشِيكِكَ أَمَا أُمَّكَ فَأَمَّهُ ابْتِغَتْهَا بِمَائِهِ دَرَاهِمٍ وَ أَمَا أَبُوكَ فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ فِي النَّاسِ مِنْ أُمَّتَالِهِ.

و الأصل فى هذا الباب قوله تعالى وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٢).

و قوله غضوا أبصارهم أى خفضوها و غمضوها و غضضت طرفى عن كذا احتملت مكروهه.

و قوله وقفوا أسمعهم على العلم النافع لهم أى لم يشغلوا سمعهم بشيء غير العلوم النافعة أى لم يشغلوا بسماع شعر و لا غناء و لا أحاديث أهل الدنيا.

ص: ١٤١

١- ١) سورة لقمان ١٩.

٢- ٢) سورة الإسراء ٣٧.



قوله نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذى نزلت في الرخاء يعنى أنهم قد طابوا نفسا في البلاء و الشده كطيب أنفسهم بأحوالهم في الرخاء و النعمه و ذلك لقله مبالاتهم بشدائد الدنيا و مصائبها و تقدير الكلام من جهة الإعراب نزلت أنفسهم منهم في حال البلاء نزولا كالنزول الذى نزلته منهم في حال الرخاء فموضع كالذى نصب لأنه صفة مصدر محذوف و الموصول قد حذف العائد إليه و هو الهاء في نزلته كقولك ضربت الذى ضربت أى ضربت الذى ضربته .

ثم قال ع إنهم من شده شوقهم إلى الجنه و من شده خوفهم من النار تكاد أرواحهم أن تفارق أجسادهم لو لا أن الله تعالى ضرب لهم آجالا ينتهون إليها.

ثم ذكر أن الخالق لما عظم في أعينهم استصغروا كل شىء دونه و صاروا لشده يقينهم و مكاشفتهم كمن رأى الجنه فهو يتنعم فيها و كمن رأى النار و هو يعذب فيها و لا ريب أن من يشاهد هاتين الحالتين يكون على قدم عظيمه من العباده و الخوف و الرجاء و هذا مقام جليل و مثله

٢٣٠٩

قَوْلُهُ ع فِي حَقِّ نَفْسِهِ

لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا .

و الواو في و الجنه واو مع و قد روى بالعطف بالرفع على أنه معطوف على هم و الأول أحسن .

ثم وصفهم بحزن القلوب و نحافه الأجسام و عفه الأنفس و خفه الحوائج و أن شرورهم مأمونه على الناس و أنهم صبروا صبرا يسيرا أعقبهم نعيما طويلا.

ثم ابتدأهم فقال تجاره مريحه أى تجارتهم تجاره مريحه فحذف المبتدأ و روى تجاره مريحه بالنصب على أنه مصدر محذوف الفعل .

قوله أما الليل بالنصب على الظرفيه و روى أما الليل على الابتداء.

قوله تالين منصوب على أنه حال إما من الضمير المرفوع بالفاعليه في صافون أو من الضمير المجرور بالإضافه في أقدامهم .

ص: ١٤٢

و الترتيل التبيين و الإيضاح و هو ضد الإسراع و العجل و يروى يرتلونه على أن الضمير يعود إلى القرآن و الرواية الأولى يعود الضمير فيها إلى أجزاء القرآن. قوله يحزنون به أنفسهم أى يستجلبون لها الحزن به و يستثيرون به دواء دائهم إشاره إلى البكاء فإنه دواء داء الحزين قال الشاعر فقلت لها إن البكاء لراحه به يشفى من ظن أن لا تلاقيا و قال آخر شجاك من ليلتك الطول ثم ذكر أنهم إذا مروا بآيه فيها ذكر الثواب مالوا إليها و اطمأنوا بها طمعا فى نيله و تطلعت أنفسهم إليها شوقا أى اشأبت. و نصب أعينهم منصوب على الظرفيه و روى بالرفع على أنه خير أن و الظن هاهنا يمكن أن يكون على حقيقته و يمكن أن يكون بمعنى العلم كقوله تعالى أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (١) و أصغى إلى الكلام مال إليه بسمعه و زفير النار صوتها.

و قد جاء فى فضل قراءه القرآن شىء كثير

٢٣١٠

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ رَأَى أَنَّ أَحَدًا أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدِ اسْتَضَعَرَ مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ.

و

٢٣١١

قَالَ ص لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ.

و

٢٣١٢

قَالَ أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ .

ص: ١٤٣

(١-١) سورة المطففين ٤.

و

٢٣١٣

قَالَ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ.

و

٢٣١٤

١٤- قَالَ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصُدُّ كَمَا يَصُدُّ الْحَدِيدُ قِيلَ فَمَا جَلَّوْهَا قَالَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَ ذِكْرُ الْمَوْتِ .

و

٢٣١٥

قَالَ عِ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَأَشَدُّ أَدْنًا (١) إِلَى قَارِي الْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ.

٢٣١٦

وَ قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا دُونَ الْقُرْآنِ مِنْ غَنَى وَ لَا بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقِهِ .

ثم ذكر ع صورته صلاتهم و ركوعهم فقال حانون على أوساطهم حنيت العود عطفته يصف هيئته ركوعهم و انحنائهم فى الصلاة.

مفترشون لجباههم

باسطون لها على الأرض.

ثم ذكر الأعضاء السبعة التى مباشرتها بالأرض فروض فى الصلاة و هى الجبهة و الكفان و الركبتان و القدمان.

قوله ع يطلبون إلى الله أى يسألونه يقال طلبت إليك فى كذا أى سألتك و الكلام على الحقيقة مقدر فيه حال محذوفه يتعلق بها حرف الجر أى يطلبون سائلين إلى الله فى فكاك رقابهم لأن طلب لا يتعدى بحرف الجر .

ثم لما فرغ من ذكر الليل قال و أمّا النهار فحلما علماء أبرار أتقياء هذه الصفات هى التى يطلع عليها الناظرون لهم نهارا و تلك الصفات المتقدمة من وظائف الليل.

ثم ذكر ما هم عليه من الخوف فقال ع إن خوفهم قد براهم برى

ص: ١٤٤



و هي السهام واحدا قدح فينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى و ما بهم من مرض نظير هذا قول الشاعر (١) و مخرق عنه القميص تخاله

و يقال للمتقين لشده خوفهم كأنهم مرضى و لا مرض بهم و تقول العرب للكرام من الناس القليلى المأكل و المشرب رافضى اللباس الرفيع ذوى (٢) الأجسام النحيفه مراض من غير مرض و يقولون أيضا للمرأة ذات الطرف الغضيض الفاتر ذات الكسل مريضه من غير مرض قال الشاعر ضعيفه كر الطرف تحسب أنها حديثه عهد بالإفاهه من سقم

ص: ١٤٥

١-١) من أبيات الليلى الأخيليه، ذكرها أبو تمام فى الحماسه ١٦٠٧:٤- بشرح التبريزى، أولها: يا أيها السدم الملوى رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما أ تريد عمرو بن الخليع و دونه كعب، إذا لوجدته مرءوما و فى أمالى القالى: ١:٢٤٨: «كان الأصمعى يرويها لحميد بن ثور الهلالى». و انظر تنبيهات البكرى ٧٨.

٢-٢) قال التبريزى: «أى لا- بيالى كيف كان ثيابه لأنّه لا- يزين نفسه، إنّما يزين حسبه و يصون كرمه، و قيل: معناه أنّه غليظ المناكب، و إذا كان كذلك أسرع الخرق إلى قميصه، و قيل: أرادت أنّه كثير الغزوات متصل الأسفار، فقميصه منخرق لذلك. و قولها: «من الحياء سقيما»، تعنى أنّه ينتقع لونه من شده الحياء، و إنّما يستحى من ألا يكون قد بلغ من إكرام القوم ما فى نفسه».

## ذكر الخوف وما ورد فيه من الآثار

واعلم أن الخوف مقام جليل من مقامات العارفين و هو أحد الأركان التي هي أصول هذا الفن و هو التقوى التي حث الله تعالى عليها و قال إن أكرم الناس عنده أشدهم خوفا له و في هذه الآيه وحدها كفايه و إذا نظرت القرآن العزيز وجدت أكثره ذكر المتقين و هم الخائفون و

٢٣١٧

قَالَ النَّبِيُّ ص مَنْ خَافَ اللَّهَ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ مَنْ خَافَ غَيْرَ اللَّهِ خَوَّفَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

و

٢٣١٨

قَالَ ع أَتَمُّكُمْ عَقْلًا أَشَدُّكُمْ لِلَّهِ خَوْفًا وَ أَحْسَنُكُمْ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَ نَهَى عَنْهُ نَظْرًا.

٢٣١٩

وَ قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ لَوْ خَافَ النَّارَ كَمَا يَخَافُ الْفَقْرَ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

٢٣٢٠

وَ قَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ أَغْلَبَ مِنَ الرَّجَاءِ فَإِنَّ الرَّجَاءَ إِذَا غَلَبَ تَشَوَّشَ الْقَلْبُ.

٢٣٢١

وَ قِيلَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ الْخَلْقَ عَدَا قَالَ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا الْيَوْمَ.

٢٣٢٢

وَ قِيلَ لِلْحَسَنِ يَا أَبَا سَعِيدٍ كَيْفَ نَضِينَعُ بِمُجَالَسَةِ أَقْوَامٍ مِنْ أَصْحَابِكَ يُخَوِّفُونَنَا حَتَّى تَكَادُ قُلُوبُنَا تَطِيرُ فَقَالَ إِنَّكَ وَاللَّهِ لَأَنْ تَضْحَبَ قَوْمًا يُخَوِّفُونَكَ حَتَّى تُدْرِكَ الْأَمْنُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَضْحَبَ قَوْمًا يُؤْمِنُونَكَ حَتَّى يُدْرِكَ الْخَوْفُ.

٢٣٢٣

١٤- وَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ ص فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَالًا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ (١) هُمُ الَّذِينَ يَعْصُونَ وَ يَخَافُونَ الْمُعْصِيَةَ بِهِ قَالَ لَا بَلِ الرَّجُلُ يَصُومُ وَ يَتَصَدَّقُ وَ يَخَافُ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُ .

ص: ١٤٦



قَالَ صَ مَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَطْرَةٍ دَمَعِ مِنْ حَشِيئَةِ اللَّهِ أَوْ قَطْرَةٍ دَمٍ أُرِيَقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

قَالَ عَ سَبَعُهُ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ بِظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ وَ ذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا ذَكَرَ اللَّهُ فِي خَلْوِهِ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.

قوله ع و يقول قد خولطوا أى أصابتهم جنه.

ثم قال و لقد خالطهم أمر عظيم أى مازجهم خوف عظيم تولهوا لأجله فصاروا كالمجانين .

ثم ذكر أنهم لا- يستكثرون فى كثير من أعمالهم و لا- يرضيهم اجتهادهم و أنهم يتهمون أنفسهم و ينسبونها إلى التقصير فى العبادة و إلى هذا نظر المتنبى فقال يستصغر الخطر الكبير لنفسه و يظن دجله ليس تكفى شاربا (١).

قال و من أعمالهم مشفقون أى مشفقون من عباداتهم ألا- تقبل و إلى هذا نظر أبو تمام فقال يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام .

و مثل قوله أنا أعلم بنفسى من غيرى

١- قَوْلُهُ عَ لِمَنْ زَكَاهُ نِفَاقًا أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَ فَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ .

و قوله اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون إلى آخر الكلام مفرد مستقل بنفسه

١- مَنُفُوقٌ عَنْهُ عَ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمٍ مَرَّ عَلَيْهِمْ وَ هُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي أَمْرِهِ فَمِنْهُمْ الْحَامِدُ لَهُ وَ مِنْهُمْ الدَّامِمُ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي الْكَلِمَاتِ إِلَى آخِرِهَا .

و معناه اللهم





إن كان ما ينسبه الذامون إلى من الأفعال الموجبه الدم حقا فلا تؤاخذني بذلك و اغفر لي ما لا يعلمونه من أفعالي و إن كان ما يقوله الحامدون حقا فاجعلني أفضل ممّا يظنونه في فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةَ فِي دِينٍ وَ حَزْمًا فِي لِينٍ وَ إِيمَانًا فِي يَقِينٍ وَ حِرْصًا فِي عِلْمٍ وَ عِلْمًا فِي حِلْمٍ وَ قَصِيدًا فِي غِنَى وَ خُشُوعًا فِي عِبَادِهِ وَ تَجَمُّلاً فِي فَاقِهِ وَ صَبْرًا فِي شِدَادِهِ وَ طَلَبًا فِي حَلَالٍ وَ نَشَاطًا فِي هُدًى وَ تَحَرُّجًا عَنِ طَمَعٍ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمَسِّي وَ هَمُّهُ الشُّكْرُ وَ يُصْبِحُ وَ هَمُّهُ الذُّكْرُ يَبِيْتُ حَذْرًا وَ يُصْبِحُ فَرِحًا حَذْرًا لَمَّا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَ فَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَ الرَّحْمَةِ إِنْ اسْتَضَى عَبَثَ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَ زَهَادَتَهُ فِيمَا لَا يَبْقَى يَمزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلَهُ قَلِيلًا زَلَّهُ خَاشِعًا قَلْبُهُ قَانِعَهُ نَفْسُهُ مَنْزُورًا أَكَلَهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَرِيزًا دِينُهُ مَيِّتَهُ شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا غَيْظُهُ الْخَيْرُ مِنْهُ مَيِّمُولٌ وَ الشَّرُّ مِنْهُ مَيِّمُونٌ إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَ إِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبَ مِنَ الْغَافِلِينَ

يَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَ يُعْطِي مَنْ حَزَمَهُ وَ يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ بَعِيداً فُحْشُهُ لَيْنًا قَوْلُهُ غَائِبًا مُنْكَرُهُ حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ مُقْبِلًا خَيْرُهُ مُدْبِرًا شَرُّهُ فِي  
الزَّلَازِلِ وَقُورٌ وَ فِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَ فِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ وَ لَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ  
عَلَيْهِ لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ وَ لَا يَنْسَى مَا ذُكِرَ وَ لَا يُنَابِزُ بِاللَّقَابِ وَ لَا يُضَارُّ بِالْجَارِ وَ لَا يَسْمَتُ بِالْمَصَائِبِ وَ لَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ وَ لَا  
يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمَهُ صَمْتُهُ وَ إِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ وَ إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ نَفْسُهُ  
مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحِهِ أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَجَتْهُ وَ أَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ بُعِيدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهَيْدٌ وَ نَزَاهَةٌ وَ دُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا  
مِنْهُ لِينٌ وَ رَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَ عَظَمَةٍ وَ لَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَ خَدِيعَةٍ قَالَ فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا فَقَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع  
أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بِالْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ع وَيَحْكُ  
إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَغْدُوهُ وَ سَبَبًا لَا يَتَجَاوِزُهُ فَمَهْلًا لَا تَعُدُّ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ .

هذه الألفاظ التي أولها قوه في دين بعضها يتعلق حرف الجر فيه بالظاهر فيكون موضعه نصبا بالمفعوليه و بعضها يتعلق بمحذوف فيكون موضعه نصبا أيضا على الصفه و نحن نفضلها.

فقوله قوه في دين حرف الجر هاهنا متعلق بالظاهر و هو قوه تقول فلان قوى في كذا و على كذا كما تقول مررت بكذا و بلغت إلى كذا.

و حزما في لين

هاهنا لا- يتعلق حرف الجر بالظاهر لأنه لا معنى له ألا ترى أنك لا تقول فلان حازم في اللين لأن اللين ليس أمرا يحزم الإنسان فيه و ليس كما تقول فلان حازم في رأيه أو في تدبيره فوجب أن يكون حرف الجر متعلقا بمحذوف تقديره و حزما كائنا في لين.

و كذلك قوله و إيماننا في يقين حرف الجر متعلق بمحذوف أي كائنا في يقين أي مع يقين.

فإن قلت الإيمان هو اليقين فكيف قال و إيماننا في يقين قلت الإيمان هو الاعتقاد مضافا إلى العمل و اليقين هو سكون القلب فقط فأحدهما غير الآخر.

قوله و حرصا في علم حرف الجر هاهنا يتعلق بالظاهر و في بمعنى على كقوله تعالى لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ (١).

قوله و قصدا في غنى حرف الجر متعلق بمحذوف أي هو مقتصد مع كونه غنيا و ليس يجوز أن يكون متعلقا بالظاهر لأنه لا معنى لقولك اقتصد في الغنى إنما يقال اقتصد في النفقه و ذلك الاقتصاد موصوف بأنه مقارن للغنى و مجامع له.

ص: ١٥٠

قوله و خشوعا في عباده حرف الجر هاهنا يحتمل الأمرين معا.

قوله و تجملا- في فاقه حرف الجر هاهنا متعلق بمحذوف و لا يصحّ تعلقه بالظاهر لأنه إنما يقال فلان يتجمل في لباسه و مروءته مع كونه ذا فاقه و لا يقال يتجمل في الفاقه على أن يكون التجمل متعديا إلى الفاقه.

قوله و صبورا في شده حرف الجر هاهنا يحتمل الأمرين.

قوله و طلبا في حلال حرف الجر هاهنا يتعلق بالظاهر و في بمعنى اللام.

قوله و نشاطا في هدى حرف الجر هاهنا يحتمل الأمرين.

قوله و تخرجا عن طمع حرف الجر هاهنا يتعلق بالظاهر لا غير .

قوله يعمل الأعمال الصالحه و هو على وجل قد تقدم مثله.

قوله يمسى و همه الشكر هذه درجه عظيمه من درجات العارفين و قد أثنى الله تعالى على الشكر و الشاكرين في كتابه في مواضع كثيره نحو قوله فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ أَشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ (١) فقرن الشكر بالذكر.

و قال تعالى مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ (٢).

و قال تعالى وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (٣).

و لعلو مرتبه الشكر طعن إبليس في بني آدم فقال وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَّاكِرِينَ (٤) و قد صدقه الله تعالى في هذا القول فقال وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ (٥).

ص: ١٥١

١-١) سورة البقره ١٥٢.

٢-٢) سورة النساء ١٤٧.

٣-٣) سورة آل عمران ١٤٤.

٤-٤) سورة الأعراف ١٧.

٥-٥) سورة سبأ ١٣.

و قال بعض أصحاب المعانى قد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر و لم يستثن فقال لئن شكرتم لأزيدنكم (١).

و استثنى فى خمسة أمور و هى الإغناء و الإجابة و الرزق و المغفرة و التوبه.

فقال فسوف يعينكم الله من فضله إن شاء (٢).

و قال بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء (٣).

و قال يرزق من يشاء (٤).

و قال و يعفر ما دون ذلك لمن يشاء (٥).

و قال و يتوب الله على من يشاء (٦).

و قال بعضهم كيف لا يكون الشكر مقاما جليلا و هو خلق من أخلاق الربوبية قال تعالى فى صفة نفسه و الله شكور حليم (٧).

و قد جعل الله تعالى مفتاح كلام أهل الجنة فقال و قالوا الحمد لله الذى صدفنا و عدّه (٨) و جعله خاتمه كلامهم أيضا فقال و آخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين (٩).

٢٣٢٨

١٤- و قيل للنبي ص قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر فلم تقوم الليل و تتبع نفسك قال أ فلا أكون عبدا شكورا .

ص: ١٥٢

١-١) سورة إبراهيم ٧.

٢-٢) سورة التوبه ٢٨.

٣-٣) سورة الأنعام ٤١.

٤-٤) سورة الشورى ١٩.

٥-٥) سورة النساء ٤٨.

٦-٦) سورة التوبه ١٥.

٧-٧) سورة التغابن ١٧.

٨-٨) سورة الزمر ٧٤.

٩-٩) سورة يونس ١٠.

قوله ع و يصبح و همه الذكر هذه أيضا درجة كبيرة عظيمه من درجات العارفين قال تعالى فَادْكُرُونِي أَدْكُمْ (١)

٢٣٢٩

قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ لِأَصْحَابِهِ أَنَا أَعْلَمُ مَتَى يَذْكُرُنِي رَبِّي فَفَزِعُوا مِنْهُ فَقَالَ إِذَا ذَكَرْتُهُ ذَكَرَنِي وَ تَلَا آيَةَ فَسَكَتُوا.

و قال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٢).

و قال فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ (٣).

و قال فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا (٤).

و قال فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَ قُودًا وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ (٥).

و قال الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَ قُودًا وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ (٦).

و قال فِي ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (٧).

و قال وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً (٨).

و قال وَ لَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ (٩).

و

٢٣٣٠

قَالَ النَّبِيُّ ص ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ فِي وَسْطِ الْهَشِيمِ. و

٢٣٣١

قَالَ ص مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزْتَعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

ص: ١٥٣

١-١) سورة البقره ١٥٢.

٢-٢) سورة الأحزاب ٤١.

٣-٣) سورة البقره ١٩٨.

٤-٤) سورة البقره ٢٠٠.

- ٥-٥) سورة النساء ١٠٣.
- ٦-٦) سورة آل عمران ١٩١.
- ٧-٧) سورة النساء ١٤٢.
- ٨-٨) سورة الأعراف ٢٠٥.
- ٩-٩) سورة العنكبوت ٤٥.



١٤- سُئِلَ عَ أَيِّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ أَنْ تَمُوتَ وَ لِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ .

قَالَ ص حِكَايَةُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِي وَ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي وَ إِذَا ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأِ خَيْرٍ مِنْ مَلِيهِ وَ إِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَ إِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَ إِذَا مَشَى إِلَيَّ هَزَوْلْتُ إِلَيْهِ .

قَالَ ص مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَ غَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ .

قوله ع يبيت حذرا و يصبح فرحا حذرا لما حذر من الغفلة و فرحا بما أصاب من الفضل و الرحمة .

و قد تقدم ذكر الخوف .

و قد عرض ع هاهنا بالرجاء المقابل للخوف فإن فرح العارف بما أصاب من الفضل و الرحمة يمكن أن يحمل على أنه فرح بمجرد ما أصاب من فضل الله و رحمته .

و يمكن أن يحمل على أنه فرح بما يرجوه من ثواب الله و نعيمه لذا استدلل على وصوله إليه و قوى ظنه بظفره به بما عجل الله تعالى له من الفضل و الرحمة في الدنيا و مقام الرجاء للعارفين مقام شريف و هو في مقابله مقام الخوف و هو المقام الذي يوجد العارف فيه فرحا قال الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (١)

قَالَ النَّبِيُّ صَ حِكَايَاهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ.

١٤- دَخَلَ صَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصِيْحَابِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَ أَجِدُنِي أَخَافُ ذُنُوبِي وَ أَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّي فَقَالَ صَ مَا اجْتَمَعَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا رَجَاهُ وَ أَمَّنَّهُ مِمَّا خَافَهُ

قوله ع إن استصعبت عليه نفسه أى صارت صعبه غير متقاده يقول إذا لم تطاوعه نفسه إلى ما هي كارهه له لم يعطها مرادها فيما تحبه.

قوله ع قره عينه فيما لا يزول و زهادته فيما لا يبقى يقال للفرح المسرور إنه لقرير العين و قرت عينه تفر و المراد بردها لأن دمعته السرور بارده و دمعته الحزن حاره.

و هذا الكلام يحتمل أمرين أحدهما أن يعنى بما لا يزول البارئ سبحانه و هذا مقام شريف جدا أعظم من سائر المقامات و هو حبّ العارف لله سبحانه و قد أنكره قوم فقالوا لا معنى لمحبه البارئ إلا المواظبه على طاعته و نحوه قول أصحابنا المتكلمين إن محبه الله تعالى للعبد هي إرادته لثوابه و محبه العبد للبارئ هي إرادته لطاعته فليست المحبه عندهم شيئا زائدا على الإراده و لا يجوز أن تتعلق بذات الله سبحانه لأن الإراده لا تتعلق إلا بالحدوث و خالفهم شيخنا أبو الحسن فقال إن الإراده يمكن أن تتعلق بالباقي ذكر ذلك في الكلام في الأكوان في أول التصفح فأما إثبات الحب في الجملة فقد نطق به القرآن قال سبحانه يُحِبُّهُمْ

و يُحِبُّونَهُ (١) و قال أيضا و الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ (٢) و قال إن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ (٣) و

٢٣٣٧

١٤- في الحديث أن النبي ص نظر إلى مضعب بن عمير مقبلاً و عليه إهاب كبش قد تمنطق به فقال انظروا إلى الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يعدوانه بأطيب الطعام و الشراب فدعاه حب الله و رسوله إلى ما ترؤن .

٢٣٣٨

و يقال إن عيسى ع مر بثلاثه نفر قد نحلّت أبدانهم و تعيرت ألوانهم فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الخوف من النار قال حق على الله أن يؤمن من يخافه ثم جاوزهم إلى ثلاثه آخرين فإذا هم أشد نحولاً و تعيراً فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطى من رحاه ثم مر إلى ثلاثه آخرين فإذا هم أشد نحولاً و على وجوههم مثل المراني من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا حب الله عز و جل فقال أنتم المقربون ثلاثاً.

٢٣٣٩

و قال بعض العارفين

أحبك حبين حب الهوى

ص: ١٥٦

١- (١) سورة المائدة ٥٤.

٢- (٢) سورة البقره ١٦٥.

٣- (٣) سورة آل عمران ١٣١.

ليس يريد بكشف الحجب و الرؤيه ما يظنه الظاهريون من أنّها الإبصار بالعين بل المعرفه التامه و ذلك لأن المعارف النظرية يصحّ أن تصير ضروريه عند جمهور أصحابنا فهذا أحد محملى الكلام.

و ثانيهما أن يريد بما لا يزول نعيم الجنه و هذا أدون المقامين لأن الخلص من العارفين يحبونه و يعشقونه سبحانه لذاته لا خوفا من النار و لا شوقا إلى الجنه

٢٣٤٠

وَ قَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ لَسْتُ أَرْضَى لِنَفْسِي أَنْ أَكُونَ كَأَجِيرِ السَّوِّءِ إِنْ دُفِعَتْ إِلَيْهِ الْأَجْرَةُ رَضِيَ وَ فَرِحَ وَ إِنْ مُنِعَهَا سَيَخْطَ وَ خَزِنَ إِنْمَا أَحِبُّهُ لِذَاتِهِ.

٢٣٤١

وَ قَالَ بَعْضُ سُعْرَائِهِمْ شِعْرًا مِنْ جُمْلَتِهِ

فَهَجَرُهُ أَعْظَمُ مِنْ نَارِهِ

وَ وَضَلُّهُ أَطْيَبُ مِنْ جَنَّتِهِ.

و قد جاء فى كلام أمير المؤمنين ع من هذا الكثير نحو

٢٣٤٢

قَوْلِهِ

لَمْ أَعْبُدْهُ خَوْفًا وَ لَا طَمَعًا لِكُنِّي وَ جَدْتُهُ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُهُ .

قوله ع يمزج الحلم بالعلم أى لا يحلم إلا عن علم بفضل الحلم ليس كما يحلم الجاهلون.

قوله و القول بالعمل أى لا يقتصر على القول و مثل هذا قول الأحوص و أراك تفعل ما تقول و بعضهم مذق اللسان يقول ما لا يفعل .

قوله ع تراه قريبا أمله أى ليست نفسه متعلقه بما عظم من آمال الدنيا و إنما قصارى أمره أن يؤمل القوت و الملبس قليلا زلله أى خطؤه.

قوله منزورا أكله أى قليلا و يحمد من الإنسان الأكل النزر قال أعشى باهله

ص: ١٥٧

تكفيه حزه فلذ إن ألم بها

من الشواء و يكفى شربه الغمر (١).

و قال متمم بن نويرة لقد كفن المنهال تحت رداثة فتى غير مبطان العشيات أروعا (٢).

قوله ع مكظوما غيظه كظم الغيظ من الأخلاق الشريفة

٢٣٤٣

قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ ع مَا سَرَّنِي بِجُرْعَةِ غَيْظٍ أَتَجَرَّعْتُهَا وَ أَصْبِرُ عَلَيْهَا حُمْرُ النَّعَمِ.

٢٣٤٤

وَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ فُلَانًا يَغْتَابُكَ وَ يَنَالُ مِنْكَ فَقَالَ وَ اللَّهُ لَأَغِيظَنَّ مَنْ أَمَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ الرَّجُلُ وَ مَنْ أَمَرَهُ قَالَ الشَّيْطَانُ عَدُوُّ اللَّهِ اسْتِعْوَاهُ لِيُؤْتِمَهُ وَ أَرَادَ أَنْ يُغْضِبَنِي عَلَيْهِ فَأَكْفَيْتُهُ وَ اللَّهُ لَا أُعْطِيهِ مَا أَحَبَّ مِنْ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَ لَهُ.

٢٣٤٥

وَ جَهْلَ (٣) إِنْسِيَانٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ أَظُنُّكَ أَرَدْتَ أَنْ يَشْتَفِزَنِي الشَّيْطَانُ بِعِزِّ السُّلْطَانِ فَأَنَالَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالَهُ مِنِّي عَدَاً انْصَرَفَ عَافَاكَ اللَّهُ.

و

٢٣٤٦

قَالَ النَّبِيُّ ص الْعُضْبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ.

و

٢٣٤٧

١٤- قَالَ إِنْسَانٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ص أَوْصِنِي فَقَالَ لَا تَغْضَبْ فَأَعَادَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ فَقَالَ لَا تَغْضَبْ فَقَالَ (٤) زِدْنِي فَقَالَ (٥) لَا أَجِدُ مَزِيداً.

٢٣٤٨

وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ لَا يَفِي عِزُّ الْعُضْبِ بِذَلِّهِ الْإِعْتِدَارِ.

- ١-١) من قصيده له فى ديوان الأعشين ٢٦٨، الكامل ٤:٦٥،٦٦، أمالى المرتضى ١:٩٦ الفلذ: قطعه من الكبد؛ و لا يقال إلا للبعير، و الغمر-كصرد-القدح الصغير، و الحزه:القطعه الصغيره و روايه الكامل \*تكفيه فلذه كبد إن ألم بها\*
- ٢-٢) من قصيده له فى الكامل ٤:٧٢-٧٤، و المفضليات ٢٦٥-٢٧٠. و المنهال، هو ابن عصمه الرياحى، كفن مالكا فى ثوبيه. غير مبطن العشيات:لا يعجل بالعشاء، و ينتظر الضيفان. الأروع:الذى إذا رأته راعك بجباله و حسنه.
- ٣-٣) الجهل هنا:السفاهه.
- ٤-٤-٤) ساقط من ب.
- ٥-٤-٤) ساقط من ب.

قوله إن كان في الغافلين معناه أنه لا يزال ذاكر الله تعالى سواء كان جالسا مع الغافلين أو مع الذاكرين أما إذا كان مع الغافلين فإنه يذكر الله بقلبه و أما إذا كان مع الذاكرين فإنه يذكر بقلبه و لسانه.

قوله ع يعفو عن ظلمه و يعطى من حرمه و يصل من قطعه

٢٣٤٩

مِنْ كَلَامِ الْمَسِيحِ ع فِي الْإِنْجِيلِ أَحْبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَ صَلُّوا قَاطِعِيكُمْ وَ اغْفُوا عَنْ ظَالِمِيكُمْ وَ بَارِكُوا عَلَيَّ لِأَعِينِكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاءِ الَّذِي تَشْرِقُ شَمْسُهُ عَلَيَّ الصَّالِحِينَ وَ الْفَجْرَهُ وَ يَنْزِلُ مَطَرُهُ عَلَيَّ الْمُطِيعِينَ وَ الْأَثَمَةَ.

قوله ع بعيدا فحشه ليس يعنى به أنه قد يفحش تاره و يترك الفحش تارات بل لا فحش له أصلا فكنى عن العدم بالبعد لأنه قريب منه.

قوله لنا قوله العارف بسام طلق الوجه لين القول

٢٣٥٠

١٤- وَ فِي صِفَاتِ النَّبِيِّ ص لَيْسَ بَقَطٌّ وَ لَا صَحَّابٍ .

قوله في الزلازل وقور أى لا تحركه الخطوب الطارقه

٢٣٥١

٤- وَيُقَالُ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ع كَانَ يُصَلِّي فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ حَيَّةٌ فَلَمْ يَتَحَرَّكَ لَهَا ثُمَّ انْسَابَتْ بَيْنَ قَدَمَيْهِ فَمَا حَرَّكَ إِحْدَاهُمَا عَنْ مَكَانِهِ وَ لَا تَغَيَّرَ لَوْنُهُ .

قوله لا يحيف على من يبغض هذا من الأخلاق الشريفه النبويه

٢٣٥٢

وَ فِي كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ فِي صِفَاتِ مَنْ يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ إِنْ رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ وَ إِنْ غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ.

قوله يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه لأنه إن أنكر ثم شهد عليه فقد ثبت كذبه و إن سكت ثم شهد عليه فقد أقام نفسه في مقام الريبه.

ص: ١٥٩

قوله و لا يناز باللقاب هذا من قوله تعالى وَ لَا تُنَابِرُوا بِاللُّقَابِ (١).

قوله و لا يضار بالجار

٢٣٥٣

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَوْصَانِي رَبِّي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ يُورَثَهُ.

قوله و لا يشمت بالمصائب نظير قول الشاعر فلست تراه شامتا بمصيبه و لا جزعا من طارق الحدثان .

قوله إن صمت لم يغمه صمته أى لا يحزن لفوات الكلام لأنه يرى الصمت مغنما لا مغرما.

قوله و إن ضحكك لم يعل صوته

٢٣٥٤

١٤- هَكَذَا كَانَ ضَحِكُ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَكْثَرُهُ التَّبَسُّمُ وَ قَدْ يَفِرُّ أَحْيَانًا وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقَهْقَهَةِ وَ الْكَوْكَرَةِ .

قوله و إن بغى عليه صبر هذا من قول الله تعالى ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصَرِتَهُ اللَّهُ (٢) .

قوله نفسه منه فى عناء لأنه يتعبها بالعباده و الناس لا يلقون منه عنتا و لا أذى فحالهم بالنسبه إليه خلاف حال نفسه بالنسبه إليه .

قوله فصعق همام أغمى عليه و مات قال الله تعالى فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ (٣)

ص : ١٦٠

١-١) سورة الحجرات ١١.

٢-٢) سورة الحجج ٦٠.

٣-٣) سورة الزمر ٦٨.



و اعلم أن الوجد أمر شريف قد اختلف الناس (١) فيه فقالت الحكماء فيه أقوالا- و قالت الصوفيه فيه أقوالا أما الحكماء فقالوا الوجد (٢) هو حاله تحدث للنفس عند انقطاع علائقها عن المحسوسات بغته إذا كان قد ورد عليها وارد مشوق و قال بعضهم الوجد هو اتصال النفس بمبادئها المجرده عند سماع ما يقتضى ذلك الاتصال.

و أما الصوفيه فقد قال بعضهم الوجد رفع الحجاب و مشاهده المحبوب و حضور الفهم و ملاحظه الغيب و محادثه السر و هو فناؤك من حيث أنت أنت و قال بعضهم الوجد سر الله عند العارفين و مكاشفه من الحق توجب الفناء عن الحق.

و الأقوال فيه متقاربه فى المعنى و إن اختلفت (٣) العبارة و قد مات كثير من الناس بالوجد عند سماع وعظ أو صفقه (٤) مطرب و الأخبار فى هذا الباب كثيره جدا و قد رأينا نحن فى زماننا من مات بذلك فجأه.

قوله كانت نفسه فيها أى مات و نفث الشيطان على لسانك أى تكلم بلسانك و أصله النفخ بالفم و هو أقل من التفل و إنما نهى أمير المؤمنين القائل فهلا- أنت يا أمير المؤمنين لأنه اعترض فى غير موضع الاعتراض و ذلك أنه لا يلزم من موت العامى عند وعظ العارف أن يموت العارف عند وعظ نفسه لأن انفعال العامى ذى الاستعداد التام للموت عند سماع المواعظ البالغه أتم من استعداد العارف عند سماع كلام

ص: ١٤١

١- ١) د: «قدامى الناس».

٢- ٢) ساقطه من ب.

٣- ٣) الأصول: اختل.

٤- ٤) صفقه مطرب، من صفقت العود؛ إذا حركت أوتاره فاصطفى (اللسان).

نفسه أو الفكر في كلام نفسه لأن نفس العارف قويه جدا و الآله التي يحفر بها الطين قد لا يحفر بها الحجر.

فإن قلت فإن جواب أمير المؤمنين ع للسائل غير هذا الجواب قلت صدقت إنما أجابه من حيث يعلم هو و السامعون و تصل أفهامهم إليه فخرج معه إلى حديث الآجال و أنها أوقات مقدره لا- تتعدها و ما كان يمكنه ع أن يذكر الفرق بين نفسه و نفوسهم و لا كانت الحال تقتضيه فأجابه بجواب مسكت و هو مع إسكاته الخصم حقّ و عدل عن جواب يحصل منه اضطراب و يقع فيه تشويش و هذا نهاية السداد و صحه القول

ص: ١٦٢

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَ ذَادَ عَنْهُ مِنَ المَعْصِيَةِ وَ نَسَأَلُهُ لِمَنَّتِهِ تَمَامًا وَ [لِحَيْلِهِ]

بِحَيْلِهِ اعْتِصَامًا وَ نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ حَاضِرًا إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلِّ غَمْرِهِ وَ تَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ وَ قَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَذْنَونَ وَ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصُونَ وَ خَلَعَتْ [عَلَيْهِ]

(١) إِلَيْهِ أَلْعَرَبُ أَعْتَتَهَا وَ ضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أْبْعَدِ الدَّارِ وَ أَسْجَحِ المَزَارِ أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ وَ الزَّالُّونَ المُزِلُّونَ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا وَ يَفْتَنُونَ افْتِنَانًا وَ يَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَ يَزُودُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَ صِهْفَاؤُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الخِفَاءَ وَ يَدْبُونَ الصَّرَاءَ وَ ضَمُّهُمْ دَوَاءٌ وَ قَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَ فَعْلُهُم الدَّاءُ العِيَاءُ حَسَدُهُ الرِّخَاءُ وَ مُؤَكِّدُو البَلَاءِ وَ مُقْنِطُو الرِّجَاءِ لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَدْرِيْعٌ وَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَ لِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ يَتَفَارَضُونَ الشَّنَاءَ وَ يَتَرَاقِبُونَ الجَزَاءَ إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا وَ إِنْ عَدَلُوا كَشَفُوا وَ إِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا

ص: ١٦٣

قَدْ أَعْيَدُوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا وَ لِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا وَ لِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا وَ لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا وَ لِكُلِّ لَيْلٍ مَضِيٍّ بَاحًا يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ  
لِيُتَقِيمُوا بِهِ أَسْوَأَهُمْ وَ يُنْفِقُوا بِهِ أَغْلَاهُمْ يَقُولُونَ فَيْشَجِبُهُونَ وَ يَصِفُونَ فَيْمَوَّهُونَ قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ وَ أَضَلُّوا الْمَضِيقَ فَهُمْ لِمَهِّ الشَّيْطَانِ  
وَ حُمَهُ النَّيْرَانِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١).

الضمير في له و هو الهاء راجع إلى ما التى بمعنى الذى و قيل بل هو راجع إلى الله سبحانه كأنه قال نعمده على ما وفق من طاعته و الصحيح هو الأول لأن له فى الفقرة الأولى بإزاء عنه فى الفقرة الثانية و الهاء فى عنه ليست عائده إلى الله و ذاد طرد و المصدر الذايد .

و خاض كل غمره مثل قولك ارتكب كل مهلكه و تقحم كل هول و الغمره ما ازدحم و كثر من الماء و كذلك من الناس و الجمع غمار.

و الغصه الشجا و الجمع غصص .

و تلون له الأدنون تغير عليه أقاربه ألوانا.

و تألب عليه الأقصون

تجمع عليه الأبعدون عنه نسبا.

و خلعت إليه العرب أعتتها

مثل معناه أوجفوا إليه مسرعين لمحاربتة لأن الخيل إذا خلعت أعتتها كان أسرع لجريها.

و ضربت إلى محاربتة بطون رواحلها

كنايه عن إسراع العرب نحوه للحرب

ص: ١٦٤

لأن الرواحل إذا ضربت بطونها لتساق كان أوحى لها و مراده أنهم كانوا فرسانا و ركباناً.

قوله حتى أنزلت بساحته عداوتها أى حربها فعبر عنها بالعداوه لأن العداوه سبب الحرب فعبر بالسبب عن المسبب ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناك يعنون الماء لما كان اعتقادهم أن السماء سبب الماء.

و أسحق المزار

أبعده مكان سحيق أى بعيد و السحق بضم السين البعد يقال سحقا له و يجوز ضم الحاء كما قالوا عسر و عسر و سحق الشيء بالضم أى بعد و أسحقه الله أبعده و المزار المكان الذى يزار منه أو المكان الذى يزار فيه و المراد هاهنا هو الأول و من قرأ كتب السيره علم ما لاقى رسول الله ص فى ذات الله سبحانه من المشقه و استهزاء قريش به فى أول الدعوه و رميهم إياه بالحجاره حتى أدموا عقبه و صياح الصبيان به و فرث الكرش على رأسه و فتل الثوب فى عنقه و حصره و حصر أهله فى شعب بنى هاشم سنين عده محرمة معاملتهم و مبايعتهم و مناكحتهم و كلامهم حتى كادوا يموتون جوعا لو لا أن بعض من كان يحنو لرحم أو لسبب غيره فهو يسرق الشيء القليل من الدقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلا ثم ضربهم أصحابه و تعذيبهم بالجوع و الوثاق فى الشمس و طردهم إياهم عن شعاب مكه حتى خرج من خرج منهم إلى الحبشه و خرج ع مستجيرا منهم تاره بثقيف و تاره ببني عامر و تاره بريعه الفرس و بغيرهم ثم أجمعوا على قتله و الفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالأوس و الخزرج تاركا أهله و أولاده و ما حوته يده ناجيا بحشاشه نفسه حتى وصل إلى المدينه فناصره فناصره (1) و الكتائب و ضربوا إليه آباط الإبل

ص: ١٦٥

١-١) المنسر:قطعه من الجيش الكبير.

و لم يزل منهم فى عناء شديد و حروب متصله حتّى أكرمهم الله تعالى و نصره و أيد دينه و أظهره و من له أنس بالتواريخ يعلم من تفاصيل هذه الأحوال ما يطول شرحه .

سمى النفاق نفاقا من النافقاء و هى بيت اليربوع له بابان يدخل من أحدهما و يخرج من الآخر و كذلك الذى يظهر دينا و يبطن غيره .

و الضالون المضلون الذين يضلون أنفسهم و يضلون غيرهم و كذلك الزالون المزلون زل فلان عن الأمر أى أخطأ و أزله غيره . قوله يفتنون يتشعبون فنونا أى ضروبا .

و يعمدونكم

أى يهدونكم و يقدحونكم يقال عمده المرض يعمده أى هده و منه قولهم للعاشق عميد القلب .

قوله بعماد أى بأمر فادح و خطب مؤلم و أصل العمد انشداخ سنام البعير و ماضيه عمد السنام بالكسر عمدا فهو عمد .

و يرصدونكم

يعدون المكائد لكم أرصدت أعددت و منه

٢٣٥٥

فى الحديثِ إِلَّا أَنْ أَرُصِدَهُ لِدَيْنِ عَلِيٍّ .

و قلب دو بالتخفيف أى فاسد من داء أصابه و امرأه دويه فإذا قلت رجل دوى بالفتح استوى فيه المذكور و المؤنث و الجماعه لأنه مصدر فى الأصل و من روى دويه بالتشديد على بعده فإنما شدده ليقابل نقيه .

و الصفاح جمع صفحه الوجه و هى ظاهره يقول باطنهم عليل و ظاهرهم صحيح يمشون الخفاء أى فى الخفاء تم حذف الجار فنصب و كذلك يدبون الضراء

ص: ١٦٦

و الضراء شجر الوادى الملتف و هذا مثل يضرب لمن يختل صاحبه يقال هو يدب له الضراء و يمشى له الخمر و هو جرف الوادى ثم قال وصفهم دواء و قولهم شفاء و فعلهم الداء العياء أى أقوالهم أقوال الزاهدين العابدين و أفعالهم أفعال الفاسقين الفاجرين و الداء العياء الذى يعيب الأساه.

ثم قال حسده الرخاء يحسدون على النعم و مؤكدو البلاء إذا وقع واحد من الناس فى بلاء أكدوه عليه بالسعيات و النائم و إغراء السلطان به و لقد أحسن أبو الطيب فى قوله يذم البشر و كأننا لم يرض فينا بريب الدهر

و مقنطو الرجاء

أى أهل الرجاء أى يبدلون بشورهم و أذاهم رجاء الراجى قنوطا .

قوله و إلى كل قلب شفيح يصف خلابه ألسنتهم و شده ملقهم فقد استحوذوا على قلوب الناس بالرياء و التصنع.

قوله و لكل شجو دموع الشجو الحزن أى يبكون تباكيا و تعملا لا حقا عند أهل كل حزن و مصاب.

يتقارضون الثناء

أى يثنى زيد على عمرو ليثنى عمرو عليه فى ذلك المجلس أو يبلغه فيثنى عليه فى مجلس آخر مأخوذ من القرض.

و يتراقبون الجزاء

يرتقب كل واحد منهم على ثنائه و مدحه لصاحبه جزاء منه

ص: ١٦٧

إما بالمال أو بأمر آخر نحو ثناء يثنى عليه أو شفاعه يشفع له أو نحو ذلك.

و الإلحاف فى السؤال الاستقصاء فىه و هو مذموم قال الله تعالى لا يسئلون الناس إلحافاً (١).

قوله و إن عدلوا كشفوا أى إذا عدلك أحدهم كشف عيوبك فى ذلك اللوم و العذل و جبهك بها و ربما لا يستحى أن يذكرها لك بمحضر ممن لا تحب ذكرها بحضرتة و ليسوا كالناصحين على الحقيقه الذين يعرضون عند العتاب بالذنب تعريضا لطيفا ليقلع الإنسان عنه.

و إن حكموا أسرفوا

إذا سألك أحدهم ففوضته فى مالك أسرف و لم يقنع بشيء و أحب الاستئصال .

قد أعدوا لكل حق باطلا

يقيمون الباطل فى معارضه الحق و الشبهه فى مصادمه الحجه و لكل دليل قائم و قول صحيح ثابت احتجاجا مائلا مضادا لذلك الدليل و كلاما مضطربا لذلك القول.

و لكل باب مفتاحا

أى ألسنتهم ذلقه قادره على فتح المغلقات للطف توصلهم و ظرف منطقتهم.

و لكل ليل مصباحا

أى كل أمر مظلم فقد أعدوا له كلاما ينيره و يضيئه و يجعله كالمصباح الطارد لليل .

و يتوصلون إلى مطاعمهم بإظهار اليأس عما فى أيدى الناس و بالزهد فى الدنيا

٢٣٥٦

وَ فِي الْأَثْرِ شَرُّكُمْ مَنْ أَخَذَ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ.

ثم قال إنما فعلوا ذلك ليقيموا به أسواقهم أى لتنفق سلعتهم.

ص: ١٦٨



و الأعلاق جمع علق و هو السلعه الثمينه.

يقولون فيشبهون

يوقعون الشبه فى القلوب.

و يصفون فيموهون

التمويه التزيين و أصله أن تطلّى الحديده بذهب يحسنها.

قد هيئوا الطريق

أى الطريق الباطل قد هيئوها لتسلك بتمويهاتهم.

و أضلعوا المضيق

أمالوه و جعلوه ضلعا أى معوجا أى جعلوا المسلك الضيق معوجا بكلامهم و تلييسهم فإذا أسلكوه إنسانا اعوج لاعوجاجه .

و اللمه بالتخفيف الجماعه و الحمه بالتخفيف أيضا السم و كنى عن إحراق النار بالحمه للمشابهه فى المضره

ص: ١٦٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَ جَلَالَ كِبَرِيَّائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَّ الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَ رَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةَ إِيْمَانٍ وَ إِيْقَانٍ وَ إِخْلَاصٍ وَ إِذْعَانَ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَ أَعْلَامَ الْهُدَى دَارِسَهُ وَ مَنَاهِجَ الدِّينِ طَامِسَهُ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَ نَصَحَ لِلْخَلْقِ وَ هَدَى إِلَى الرُّشْدِ وَ أَمَرَ بِالْقَصْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ اَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَعَمَّ يَخْلُقُكُمْ عَبَثًا وَ لَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا- عَلِمَ مَبْلَغَ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ وَ أَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ فَاسْتَنْجِحُوهُ وَ اسْتَنْجِحُوهُ وَ اَطْلُبُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَمْنِحُوهُ فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَ لَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ وَ [إِنَّهُ]

إِنَّهُ لِكُلِّ مَكَانٍ وَ فِي كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ وَ مَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَ جَانٍّ لَا يَتْلُمُهُ الْعَطَاءُ وَ لَا يَنْقُصُهُ الْجِبَاءُ وَ لَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ وَ لَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ وَ لَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَ لَا يُلْهِمُهُ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ وَ لَا تَحْجُزُهُ هَبَّةٌ عَنْ سَلْبٍ وَ لَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَ لَا تُؤَلِّمُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ وَ لَا- يُجْنُهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ وَ لَا- يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ قَرَبَ فَنَائِي وَ عَلَا فَدَنَا وَ ظَهَرَ فَبَطَنَ وَ بَطَنَ فَعَلَنَ وَ دَانَ وَ لَمْ يُدَنَّ لَمْ يَذَرِ الْخُلُقَ بِاِحْتِيَالٍ وَ لَا اسْتِعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الرِّمَامُ وَالْقَوَامُ فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَوَلُّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَى وَأُوطَانِ  
السَّعَى وَمَعَاوِئِلِ الْحِزْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ  
فَتَرْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ وَتَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشُّوَامِخُ وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا [رَقْرَقًا]

رَقْرَقًا وَمَعْهَدُهَا قَاعًا سَمَلَقًا فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ وَلَا حَمِيمٍ يَنْفَعُ وَلَا مَعْذِرَةَ تَدْفَعُ .

أظهر سبحانه من آثار سلطانه نحو خلق الأفلاك و دخول بعضها فى بعض كالممىل الذى يشتمل على المائل و فلك التدوير و غيرهما و نحو خلق الإنسان و ما تدلّ كتب التشريح من عجب الحكمة فيه و نحو خلق النبات و المعادن و ترتيب العناصر و علاماتها و الآثار العلوية المتجدده حسب تجدد أسبابها ما حير عقول هؤلاء و أشعر بأنها إذا لم يحط بتفاصيل تلك الحكم مع أنّها مصنوعة (١) فالأولى ألا تحيط بالصانع الذى هو برىء عن المادة و علائق الحس.

و المقل جمع مقله و هى شحمة العين التى تجمع السواد و البياض و مقلت الشىء نظرت إليه بمقلتي و أضاف المقل إلى العقول مجازا و مراده البصائر.

و ردع زجر و دفع و هماهم النفوس أفكارها و ما يهمهم به عند التمثيل و الرويه فى الأمر و أصل الهمهمه صوت يسمع لا يفهم محصوله.

ص: ١٧١

و العرفان المعرفه و كنه الشئ نهايته و أقصاه و الإيقان العلم القطعى و الإذعان الانقياد و الأعلام المنار و الجبال يستدل بها فى الطرقات.

و المناهج السبل الواضحه و الطامسه كالدارسه و صدع بالحق بين و أصله الشق يظهر ما تحته و يقال نصحت لزيد و هو أفصح من قولك نصحت زيدا.

و القصد العدل .

و العبث ما لا غرض فيه أو ما ليس فيه غرض مثله و الهمل الإبل بلا راع و قد أهملت الإبل أرسلتها سدى.

قوله علم مبلغ نعمه عليكم و أحصى إحسانه إليكم أى هو عالم بكميه إنعامه عليكم علما مفصلا و كل من علم قدر نعمته على غيره كان أحرى أن تشتد نعمته عليه عند عصيانه له و جرأته عليه بخلاف من يجهل قدر نعمته على الغير فإنه لا يشد غضبه لأنه لا يعلم قدر نعمته المكفوره .

قوله فاستفتحوه أى اطلبوا منه الفتح عليكم و النصر لكم.

و استنجحوه

اطلبوا منه النجاح و الظفر.

و اطلبوا إليه

أى أسألوه يقال طلبت إلى زيد كذا و فى كذا.

و استمنحوه

بكسر النون اطلبوا منه المنحه و هى العطيه و يروى و استمبحوه بالياء استمحت الرجل طلبت عطاءه و محت بالرجل أعطيته.

ثم ذكر ع أنه لا- حجاب يمنع عنه و لا- دونه باب يغلط و أنه بكل مكان موجود و فى كل حين و أوان و المراد بوجوده فى كل مكان إحاطه علمه و هو معنى قوله

ص: ١٧٢

تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (١) و قوله سبحانه وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (٢).

قوله لا يثلمه العطاء بالكسر لا ينقص قدرته.

و الحياء النوال و لا يستنفده أى لا يفنيه.

و لا يستقصيه

لا يبلغ الجود أقصى مقدوره و إن عظم الجود لأنه قادر على ما لا نهايه له .

و لا يلويه شخص عن شخص

لا- يوجب ما يفعله لشخص أو مع شخص إعراضا و ذهولا- عن شخص آخر بل هو عالم بالجميع لا يشغله شأن عن شأن لوى الرجل وجهه أى أعرض و انحرف و مثل هذا أراد بقوله و لا يلهيه صوت عن صوت ألهاه كذا أى شغله.

و لا تحجزه

بالضم هبه عن سلب أى لا تمنعه أى ليس كالقادرين بالقدره مثلنا فإن الواحد منا يصرفه اهتمامه بعطيه زيد عن سلب مال عمرو حالما يكون مهتما بتلك العطيه لأن اشتغال القلب بأحد الأمرين يشغله عن الآخر.

و مثل هذا قوله و لا يشغله غضب عن رحمه و لا تولهه رحمه عن عقاب أى لا تحدث الرحمه لمستحقها عنده ولها و هو التحير و التردد و تصرفه عن عقاب المستحق و ذلك لأن الواحد منا إذا رحم إنسانا حدث عنده رقه خصوصا إذا توالى منه الرحمه لقوم متعددين فإنه تصير الرحمه كالمملكه عنده فلا يطيق مع تلك الحال أن ينتقم و البارئ تعالى بخلاف ذلك لأنه ليس بذى مزاج سبحانه.

و لا يجنه البطون عن الظهور و لا يقطعه الظهور عن البطون

هذه كلها مصادر بطن

ص: ١٧٣

١-١) سورة المجادله ٧.

٢-٢) سورة الحديد ٤.

بطونا أى خفى و ظهر ظهورا أى تجلى يقول لا يمنعه خفاؤه عن العقول أن تدركه عند ظهوره بأفعاله و إن لم يكن ظاهرا بذاته و كذلك لا يقطعه ظهوره بأفعاله عن أن يخفى كنهه عن إِبصار العقول و إدراكها له و يقال اجتننت كذا أى سترته و منه الجنين و الجنه للترس و سمي الجن جنا لاستتارهم .

ثم زاد المعنى تأكيدا فقال قرب فنأى أى قرب فعلا فنأى ذاتا أى أفعاله قد تعلم و لكن ذاته لا تعلم.

ثم قال و علا فدنا أى لما علا عن أن تحيط به العقول عرفته العقول لا أنها عرفت ذاته لكن عرفت أنه شىء لا يصح أن يعرف و ذلك خاصته سبحانه فإن ماهيته يستحيل أن تتصور للعقل لا فى الدنيا و لا فى الآخرة بخلاف غيره من الممكنات.

ثم أكد المعنى بعبارة أخرى قال و ظهر فبطن و بطن فعلم و هذا مثل الأول و دان غلب و قهر و لم يدن لم يقهر و لم يغلب .

ثم قال لم يذرا الخلق باحتيال أى لم يخلقهم بحيله توصل بها إلى إيجادهم بل أوجدتهم على حسب علمه بالمصلحة خلقا مخترعا من غير سبب و لا واسطه.

قال و لا استعان بهم لكلال أى لإعياء أى لم يأمر المكلفين بالجهاد لحاجته فى قهر أعدائه و جاحدى نعمته إليهم و ليس بكال و لا- عاجز عن إهلاكهم و لكن الحكمة اقتضت ذلك قال سبحانه وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ (١) أى لبطل التكليف .

ثم ذكر أن التقوى قوام الطاعات التى تقوم بها و زمام العبادات لأنها تمسك و تحصن كزمام الناقة المانع لها من الخبط.

ص: ١٧٤

و الوثائق جمع وثيقه و هى ما يوثق به و حقائقها جمع حقيقه و هى الرايه يقال فلان حامى الحقيقه.

قوله تؤل بالجزم لأنه جواب الأمر أى ترجع.

و الأكنان جمع كن و هو الستر و الدعه الراحة السعه الجده و المعائل جمع معقل و هو الملجأ و الحرز الحفظ و تشخص الأَبصار تبقى مفتوحه لا تطرف.

و الأقطار الجوانب و الصروم جمع صرم و صرمه و هى القطعه من الإبل نحو الثلاثين.

و العشار النوق أتى عليها من يوم أرسل الفحل فيها عشره أشهر فزال عنها اسم المخاض و لا يزال ذلك اسمها حتى تضع و الواحده عشراء و هذا من قوله تعالى وَ إِذَا الْعِشْرَاءُ عَطَلَتْ (١) أى تركت مسييه مهمله لا- يلتفت إليها أربابها و لا- يحلبونها لاشتغالهم بأنفسهم .

و تزهق كل مهجه تهلك و تبكم كل لهجه أى تخرس رجل أبكم و بكيم و الماضى بكم بالكسر.

و الشم الشوامخ الجبال العاليه و ذلها تدكدكها و هى أيضا الصم الرواسخ .

فيصير صلدها

و هو الصلب الشديد انصلا به سرايا و هو ما يتراءى فى النهار فيظن ماء.

و الرقراق الخفيف و معهداها ما جعل منها منزلا للناس قاعا أرضا خاليه و السملق الصفصف المستوى ليس بعضه أرفع و بعضه أخفض

ص: ١٧٥

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٌ وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ وَلَا مَنَهْجٌ وَاضِحٌ أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أِحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ سُخُوصٍ وَ مَحَلَّةٌ  
تَنْغِيصُ سَاكِنِيهَا ظَمَاعِنٌ وَ قَاطِنِيهَا بَيَازِنٌ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيِّدَانِ السَّفِينَةِ تَقْصِدُ فُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَبِقُ وَ مِنْهُمْ  
النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْمَأْمُوجِ تَحْفِزُهُ الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا وَ تَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ وَ مَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكِكِ  
عِبَادَ اللَّهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَ الْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ وَ الْأَعْضَاءُ لَمَدَنَةٌ وَ الْمُتَقَلِّبُ فَسَيِّحٌ وَ الْمَجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِزْهَاقِ الْفُوتِ وَ  
حُلُولِ الْمَوْتِ فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَ لَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

يقول بعث الله سبحانه محمدا ص لما لم يبق علم يهتدى به المكلفون لأنه كان زمان الفتره و تبدل المصلحه و اقتضاء وجوب اللطف عليه سبحانه تجديدا لبعثته ليعرف المبعوث المكلفين الأفعال التي تقربهم من فعل الواجبات العقلية و تبعدهم عن المقبحات الفعلية.



و المنار الساطع المرتفع سطح الصبح سطوعا ارتفع .

و دار شخوص دار رحله شخص عن البلد رحل عنه.

و الطاعن المسافر و القاطن المقيم و البائن البعيد يقول ساكن الدنيا ليس بساكن على الحقيقه بل هو طاعن فى المعنى و إن كان فى الصورة ساكنا و المقيم بها مفارق و إن ظنَّ أنه مقيم.

و تميد بأهلها تتحرك و تميل و الميدان حرکه و اضطراب.

و تصفقا العواصف

تضربها بشده ضربا بعد ضرب و العواصف الرياح القويه اللجج جمع لجه و هى معظم البحر .

الوبق

الهالك وبق الرجل بالفتح يبق وبقا هلك و الموبق منه كالموعد مفعل من وعد يعد و منه قوله تعالى وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (١) و فيه لغة أخرى وبق الرجل يوبق وبقا و فيه لغة ثالثة وبق الرجل بالكسر يبق بالكسر أيضا و أوبقه الله أى أهلكه.

و تحفزه الرياح تدفعه ضرب ع لأهل الدنيا مثلا براكى السفينه فى البحر و قد ماتت بهم فمنهم الهالك على الفور و منهم من لا يتعجل هلاكه و تحمله الرياح ساعه أو ساعات ثم مآله إلى الهلاك أيضا .

ثم أمرع بالعمل وقت الإمكان قبل ألا يمكن العمل فكنى عن ذلك بقوله و الألسن منطلقه لأن المحتضر يعتقل لسانه و الأبدان صحيحه لأن المحتضر سقيم البدن و الأعضاء لدنه أى لینه أى قبل الشيخوخه و الهرم و يبس

ص: ١٧٧

الأعضاء و الأعصاب و المنقلب فسيح و المجال عريض أى أيام الشيبه و فى الوقت و الأجل مهله قبل أن يضيق الوقت عليكم.

قبل إرهاق الفوت

أى قبل أن يجعلكم الفوت و هو فوات الأمر و تعذر استدراكه عليكم مرهقين و المرهق الذى أدرك ليقتل قال الكميت تندى  
أكفهم و فى أبياتهم ثقه المجاور و المضاف المرهق (١).

قوله فحققوا عليكم نزوله و لا- تنتظروا قدومه أى اعملوا عمل من يشاهد الموت حقيقه لا- عمل من ينتظره انتظارا و يطاول  
الأوقات مطاوله فإن التسويف داعيه التقصير

ص: ١٧٨

---

١-١) الصحاح و اللسان رهق (١).

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسِيءَاتُ بِحَفِظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ص أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ وَ لَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنَكَّصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَ تَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجِدُهُ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا وَ لَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ إِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي وَ لَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي وَ لَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ص وَ الْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَ الْأَفْتِيَةُ مَلَأَ يَهْبِطُ وَ مَلَأَ يَعْرُجُ وَ مَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَتَهُ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْيَحِهِ فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَ مَيِّتًا فَانْفُدُوا عَلَيَّ بِصَائِرِكُمْ وَ لَتُصَدَّقَ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادِهِ الْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَةِ الْبَاطِلِ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ لَكُمْ .

يمكن أن يعنى بالمستحفظين الخلفاء الذين تقدموا لأنهم الذين استحفظوا الإسلام أى جعلوا حافظين له و حارسين لشريعته و لحوزته و يجوز أن يعنى به العلماء و الفضلاء من الصحابه لأنهم استحفظوا الكتاب أى كلفوا حفظه و حراسته.

و الظاهر أنه يرمز في قوله ع لم أرد على الله و لا على رسوله ساعه قط إلى أمور وقعت من غيره

٢٣٥٧

١٤- كَمَا جَرَى يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عِنْدَ سَيْطْرِ كِتَابِ الصُّلْحِ فَإِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ (١) أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا الْمُسْلِمِينَ قَالَ بَلَى قَالَ أَوْ لَيْسُوا الْكَافِرِينَ قَالَ بَلَى قَالَ فَكَيْفَ نُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا فَقَالَ صَ إِنَّمَا أَعْمَلُ بِمَا أُمِرْتُ بِهِ فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَلَمْ يَكُنْ قَدْ وُعِدْنَا بِمُدْخُولِ مَكَّةَ وَ هَا نَحْنُ قَدْ صُدِدْنَا عَنْهَا ثُمَّ نَنْصِرِفُ بَعِيدًا أَنْ أُعْطِينَا الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا وَ اللَّهُ لَوْ أَجِدَ أَعْوَانًا لَمْ أُعْطِ الدِّيَّةَ أَبَدًا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِهَذَا الْقَائِلِ وَيَحْكُ (٢) الزَّمْ غَزَاهُ فَوَ اللَّهُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صَ وَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُهُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ إِنَّهُ سَيَدْخُلُهَا هَذَا الْعَامَ قَالَ لَا قَالَ فَسَيَدْخُلُهَا فَلَمَّا فَتِيحَ النَّبِيُّ صَ مَكَّةَ وَ أَخَذَ مَفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ دَعَاهُ فَقَالَ هَذَا الَّذِي وُعِدْتُمْ بِهِ

و اعلم أن هذا الخبر صحيح لا ريب فيه و الناس كلهم رووه و ليس عندي بقبیح و لا مستهجن أن يكون سؤال هذا الشخص لرسول الله ص عما سأله عنه على سبيل الاسترشاد و التماسا لطمأنينه النفس فقد قال الله تعالى لخليله إبراهيم أ و لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي (٣) و قد كانت الصحابة تراجع رسول الله ص في الأمور و تسأله عما يستبهم عليها و تقول له أ هذا منك أم من الله

٢٣٥٨

١٤- وَ قَالَ لَهُ السَّعِيدَانِ (٤) رَحِمَهُمَا اللَّهُ يَوْمَ الْخُنْدَقِ وَ قَدْ عَزَمَ عَلَى مُصَالِحِهِ الْأَخْرَابِ بِيَعُضِ تَمْرِ الْمَدِينَةِ أ هَذَا مِنْ اللَّهِ أَمْ رَأَى رَأَيْتَهُ مِنْ نَفْسِكَ قَالَ بَلْ مِنْ نَفْسِي قَالَا لَا وَ اللَّهُ لَا نُعْطِيهِمْ مِنْهَا تَمْرَةً وَاحِدَةً وَ أَيْدِينَا فِي مَقَابِضِ سُيُوفِنَا .

ص: ١٨٠

١- (١) هو عمر بن الخطاب، و انظر سيره ابن هشام ٣:٣٣١ (طبعه الحلبي).

٢- (٢) الغرز في الأصل: ركاب كور الجمل، و الكلام هنا على المجاز، أي أتبع قوله و فعله.

٣- (٣) سورة البقره ٢٦١.

٤- (٤) هما سعد بن معاذ، و سعد بن عباده الأنصاريان.

١٤- وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ نَزَلَ بِمَنْزِلٍ لَمْ يَسْتَضِيحُوهُ أَنْزَلْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ عَنْ رَأْيٍ رَأَيْتَ أَمْ بِيَوْحِي أَوْحَى إِلَيْكَ قَالَ بَلْ عَنْ رَأْيٍ رَأَيْتُهُ قَالُوا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلٍ إِزْحَلَّ عَنْهُ فَأَنْزَلَ بِمَوْضِعٍ كَذَا .

و أما قول أبي بكر له الزم غرزه فوالله إنه لرسول الله ص وإنما هو تأكيد و تثبيت على عقيدته التي في قلبه و لا يدل ذلك على الشك فقد قال الله تعالى لنبيه و لَوْ لَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَزْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (١) و كل أحد لا يستغنى عن زياده اليقين و الطمأنينه و قد كانت وقعت من هذا القائل أمور دون هذه القصة كقوله دعنى أضرب عنق أبي سفيان و قوله دعنى أضرب عنق عبد الله بن أبي و قوله دعنى أضرب عنق حاطب بن أبي بلتعنه و نهى النبي ص له عن التسرع إلى ذلك و جذبه ثوب رسول الله ص حين قام على جنازه ابن سلول يصلى و قوله كيف تستغفر لرأس المنافقين و ليس فى ذلك جميعه ما يدل على وقوع القبيح منه و إنما الرجل كان مطبوعا على الشده و الشراسه و الخشونه و كان يقول ما يقول على مقتضى السجيه التى طبع عليها و على أى حال كان فلقد نال الإسلام بولايته و خلافته خيرا كثيرا.

قوله ع و لقد واسيته بنفسى يقال واسيته و آسيته و بالهمزه أفصح و هذا ممّا اختص ع بفضيلته غير مدافع ثبت معه يوم أحد و فر الناس و ثبت معه يوم حنين و فر الناس و ثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها و فر من كان بعث بها من قبله.

ص: ١٨١

١٤، ١- وَ رَوَى الْمُحَدِّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ النَّاسُ قَتَلُوا مُحَمَّدًا رَأَتْهُ كَتَيْبَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ هُوَ صَرِيحٌ بَيْنَ الْقَتْلَى إِلَّا أَنَّهُ حَتَّى فَضِعِمَدَتْ لَهُ فَقَالَ لِعَلِيٍّ عِ إِكْفِنِي هَذِهِ فَحَمَلَ عَلَيْهَا عَ وَ قَتَلَ رَئِيسَهَا ثُمَّ صُمِدَتْ لَهُ كَتَيْبَةُ أُخْرَى فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِكْفِنِي هَذِهِ فَحَمَلَ عَلَيْهَا فَهَزَمَهَا وَ قَتَلَ رَئِيسَهَا ثُمَّ صُمِدَتْ لَهُ كَتَيْبَةُ ثَالِثَةٌ فَكَذَلِكَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ قَالَ لِي جَبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ لِلْمَوَاسِيءِ فَقُلْتُ وَ مَا يَمْنَعُهُ وَ هُوَ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ فَقَالَ جَبْرِيلُ وَ أَنَا مِنْكُمْ .

و

رَوَى الْمُحَدِّثُونَ أَيْضًا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ صَائِحًا مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ يُنَادِي لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيُّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ حَضَرَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ هَذَا صَوْتُ جَبْرِيلَ .

و أما يوم حنين فثبت معه في نفر يسير من بنى هاشم بعد أن ولي المسلمون الأدبار و حامى عنه و قتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثابت إليه الأنصار و انهزمت هوازن و غنمت أموالها .

و أما يوم خيبر فقصته مشهوره .

قوله ع نجده أكرمى الله سبحانه بها النجده الشجاعه و انتصابها هاهنا على أنها مصدر و العامل فيه محذوف .

ثم ذكر ع وفاه رسول الله ص فقال لقد قبض و إن رأسه لعلى صدرى و لقد سالت نفسه فى كفى فأمرتها على وجهى

١٤، ١- يُقَالُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ

ص: ١٨٢

قَاءَ دَمًا يَسِيرًا وَقَتَّ مَوْتَهُ وَإِنَّ عَلِيًّا عَ مَسَحَ بِذَلِكَ الدَّمِ وَجْهَهُ .

٢٣٦٣

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَبَا طَيْبَةَ الْحَجَّامَ شَرِبَ دَمَهُ عَ وَهُوَ حَيٌّ فَقَالَ لَهُ إِذْنُ لَا يَجْعُ بَطْنُكَ.

قوله ع فضجت الدار و الأفنيه أى النازلون فى الدار من الملائكة أى ارتفع ضجيجهم و لجههم يعنى أنى سمعت ذلك و لم يسمعه غيرى من أهل الدار.

و الملائكة يهبط قوم من الملائكة و يصعد قوم و العروج الصعود و الهينمه الصوت الخفى و الضريح الشق فى القبر

### ذكر خبر موت الرسول ع

و قد

٢٣٦٤

١٤,١٥,١,٢,٣- رُوِيَ مِنْ قِصَّةِ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ عَرَضَتْ لَهُ الشَّكَاةُ الَّتِي عَرَضَتْ فِي أَوَاخِرِ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ إِخْدَى عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ فَجَهَرَ جَيْشُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْبَلْقَاءِ حَيْثُ أَصَابَ زَيْدٌ وَ جَعْفَرٌ عَ مِنَ الرُّومِ وَ خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى الْبَقِيعِ وَقَالَ إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ بِالْإِسْتِغْفَارِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ لِيَهْنِكُمْ مَا أَصَابَكُمْ فِيهِ مِمَّا أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ أَقْبَلَتِ الْفَتَنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتَّبِعُ أَوْلَهَا آخِرَهَا ثُمَّ اسْتَتَفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ جَبْرِيْلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ فِي كُلِّ عِيَامٍ مَرَّةً وَقَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعِيَامَ مَرَّتَيْنِ فَلَا أَرَاهُ إِلَّا لِحُضُورِ أَجْلِي ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ فَخَطَبَ النَّاسَ فِي عَمْدِهِ فَقَالَ (١) مَعَاشِرَ النَّاسِ قَدْ حَانَ مِنِّي خُفُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدِي عِدَةٌ فَلْيَأْتِنِي أُعْطِهِ إِيَّاهَا وَمَنْ كَانَ عَلَيَّ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنِي أَقْضِهِ بِهَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ وَلَا أَمْرٌ يُؤْتِيهِ بِهِ خَيْرًا

ص: ١٨٣

أَوْ يَصِيرُ عَنْهُ شَرًّا إِلَّا الْعَمَلُ إِلَّا لَا يَدْعِيَنَّ مُدْعٍ وَلَا يَتَمَتَّتَيْنِ مُتَمَّتَيْنِ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يُنَجِّي إِلَّا عَمَلٌ مَعَ رَحْمَةٍ وَ لَوْ عَصَيْتُ لَهَوَيْتُ اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتَ.

ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةً خَفِيفَةً ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَ أُمِّ سَلَمَةَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ يُعَلِّمُ النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ أَمَّا النِّسَاءُ فَأَزْوَاجُهُ وَبَنَاتُهُ عَ وَ أَمَّا الرِّجَالُ فَعَلِيُّ عَ وَالْعَبَّاسُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَ وَ كَانَا غُلَامَيْنِ يَوْمَئِذٍ وَ كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَدْخُلُ أَحْيَانًا إِلَيْهِمْ ثُمَّ حَدَّثَ الْإِخْتِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَيَّامَ مَرَضِهِ فَأَوَّلَ ذَلِكَ التَّنَازُعُ الْوَاقِعُ يَوْمَ قَالَ صَ اتُّونِي بِجَدْوَاهِ وَ قِرْطَاسٍ وَ تَلَا ذَلِكَ حَدِيثَ التَّخْلِيفِ عَنْ جَيْشِ أُسَامَةَ وَ قَوْلِ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أَيْوَلَى هَذَا الْغُلَامِ عَلَى جُلَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ .

ثُمَّ اشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ وَ كَانَ عِنْدَ خَفِّهِ مَرَضِهِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ بِنَفْسِهِ فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ .

وَ قَدْ اخْتَلَفَ فِي صِلَاتِهِ بِهِمْ فَالشَّيْعَةُ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ بِهِمْ إِلَّا صِلَاةً وَاحِدَةً وَ هِيَ الصَّلَاةُ الَّتِي خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَ فِيهَا يَتَهَادَى بَيْنَ عَلِيٍّ عَ وَ الْفَضْلِ فَقَامَ فِي الْمِحْرَابِ مَقَامَهُ وَ تَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ .

وَ الصَّحِيحُ عِنْدِي وَ هُوَ الْأَكْثَرُ الْأَشْهُرُ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ آخِرَ صِلَاةٍ (١) فِي حَيَاتِهِ صَ بِالنَّاسِ جَمَاعَةً وَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ صَلَّى بِالنَّاسِ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ مَاتَ صَ فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ إِنَّهُ تُوْفِيَ لِلَّيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صِ فَمَرٍ وَ هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي تَقُولُهُ الشَّيْعَةُ وَ الْأَكْثَرُونَ أَنَّهُ تُوْفِيَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ بَعْدَ مُضِيِّ أَيَّامٍ مِنْهُ .

وَ قَدْ اخْتَلَفَتْ الرُّوَايَةُ فِي مَوْتِهِ فَمَانَكَرَ عُمَرُ ذَلِكَ وَ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَ إِنَّهُ غَابَ وَ سَيَعُودُ فَتَنَاهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ وَ تَلَا عَلَيْهِ الْآيَاتِ الْمُتَضَمِّنَةَ أَنَّهُ سَيَمُوتُ فَرَجَعَ إِلَى قَوْلِهِ .

ص: ١٨٤

(١ - ١) ب: «الصلوة».



ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِ دَفْنِهِ فَرَأَى قَوْمٌ أَنْ يَدْفِنُوهُ بِمَكَّةَ لِأَنَّهَا مَسِيْقَةُ رَأْسِهِ وَقَالَ مَنْ قَالَ بَلْ بِالْمَدِينَةِ نَدْفِنُهُ بِالْبَقِيعِ عِنْدَ شُهَدَاءِ أَحَدٍ  
ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى دَفْنِهِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ وَصَلُّوا عَلَيْهِ إِزْسَالًا لَا يُؤْمَهُمْ أَحَدٌ.

وَقِيلَ إِنَّ عَلِيًّا عَ أَشَارَ بِذَلِكَ فَقَبِلُوهُ.

وَ أَنَا أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ كَانَتْ بَعْدَ بَيْعِهِ أَبِي بَكْرٍ فَمَا الَّذِي مَنَّ مِنْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ إِمَامًا.

وَ تَنَازَعُوا فِي تَلْحِيدِهِ وَ تَضْرِيحِهِ فَأَرْسَلَ الْعَبَّاسُ عَمَّهُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَ كَانَ يَحْفَرُ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَ يُضَرِّحُ (١) عَلَى عَادَتِهِمْ  
رَجُلًا وَ أَرْسَلَ عَلِيُّ رَجُلًا إِلَى أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَ كَانَ يُلْحِدُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى عَادَتِهِمْ وَقَالَ اللَّهُمَّ اخْتَرْ لِنَبِيِّكَ فَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ  
فَلَحَدَ لَهُ وَ أَدْخَلَ فِي اللَّحْدِ.

وَ تَنَازَعُوا فِيمَنْ يَنْزِلُ مَعَهُ الْقَبْرَ فَمَنَّ عَلِيُّ عَ النَّاسَ أَنْ يَنْزِلُوا مَعَهُ وَقَالَ لَا يَنْزِلُ قَبْرَهُ غَيْرِي وَ غَيْرُ الْعَبَّاسِ ثُمَّ أُذِنَ فِي نُزُولِ الْفَضْلِ وَ  
أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ مَوْلَاهُمُ ثُمَّ ضَجَّتِ الْأَنْصَارُ وَ سَأَلَتْ أَنْ يَنْزَلَ مِنْهَا رَجُلٌ فِي قَبْرِهِ فَأَنْزَلُوا أَوْسَ بْنَ خَوْلِيٍّ وَ كَانَ بَدْرِيًّا.

فَأَمَّا الْغُسْلُ فَإِنَّ عَلِيًّا عَ تَوَلَّاهُ بِيَدِهِ وَ كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ.

وَ رَوَى الْمُحَدِّثُونَ عَنْ عَلِيٍّ عَ أَنَّهُ قَالَ مَا قَلَبْتُ مِنْهُ عَضْوًا إِلَّا وَ انْقَلَبَ لَا أَجِدُ لَهُ ثِقْلًا كَانَ مَعِيَ مِنْ يُسَاعِدُنِي عَلَيْهِ وَ مَا ذَلِكَ إِلَّا  
الْمَلَائِكَةُ .

وَ أَمَّا حَدِيثُ الْهَيْبَمَةِ وَ سَمَاعِ الصُّوْتِ فَقَدْ رَوَاهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ عَنْ عَلِيٍّ

ص: ١٨٥

(١-١) يشرح: أى يشق و يحفر له ضريحا.

ع وَ تَزَوَى الشَّيْعَةَ أَنَّ عَلِيًّا عَصَبَ عَيْنِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ حِينَ صَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَوْصَاهُ بِذَلِكَ وَقَالَ إِنَّهُ لَا يُبْصِرُ عَوْرَتِي أَحَدًا غَيْرُكَ إِلَّا عَمِي

قوله ع فمن ذا أحق به منى حيا و ميتا انتصاهما على الحال من الضمير المجرور فى به أى أى شخص أحق برسول الله ص حال حياته و حال وفاته منى و مراده من هذا الكلام أنه أحق بالخلافه بعده و أحق الناس بالمنزله منه حيث كان بتلك المنزله منه فى الدنيا و ليس يجوز أن يكونا حالين من الضمير المجرور فى منى لأنه لا يحسن أن يقول أنا أحق به إذا كنت حيا من كل أحد و أحق به إذا كنت ميتا من كل أحد لأن الميت لا- يوصف بمثل ذلك و لأنه لا حال ثبتت له من الأحقيه إذا كان حيا إلا و هى ثابتة له إذا كان ميتا و إن كان الميت يوصف بالأحقية فلا فائده فى قوله و ميتا على هذا الفرض و لا يبقى فى تقسيم الكلام إلى قسمين فائده و أمّا إذا كان حالا- من الضمير فى به فإنه لا يلزم من كونه أحق بالمنزله الرفيعه من رسول الله ص و هو حى أن يكون أحق بالخلافه بعد وفاته أى ليس أحدهما يلزم الآخر فاحتاج إلى أن يبين أنه أحق برسول الله ص من كل أحد إن كان الرسول حيا و إن كان ميتا و لم يستهجن أن يقسم الكلام إلى القسمين المذكورين .

قوله ع فانفذوا إلى بصائرهم أى أسرعوا إلى الجهاد على عقائدكم التى أنتم عليها و لا يدخلن الشك و الريب فى قلوبكم.

قوله ع إنى لعلى جاده الحق و إنهم لعلى مزله الباطل كلام عجيب

على قاعده الصناعه المعنويه لأنه لا يحسن أن يقول و إنهم لعلى جاده الباطل لأن الباطل لا يوصف بالجاده و لهذا يقال لمن ضل  
وقع فى بنيات الطريق (1) فتعوض عنها بلفظ المزله و هى الموضع الذى يزل فيه الإنسان كالمزلقه موضع الزلق و المغرقه موضع  
الغرق و المهلكه موضع الهلاك

ص: ١٨٧

---

١-١) بنيات الطريق فى الأصل: الطرق الصغار تتشعب من الجاده.

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ وَ مَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ وَ اخْتِلَافَ النَّيْنَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ وَ تَلَاظِمَ الْمِيَاءِ بِالرِّيَّاحِ  
 الْعَاصِفَاتِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبَ اللَّهِ وَ سَفِيرُ وَحِيهِ وَ رَسُولُ رَحْمَتِهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَ إِلَيْهِ  
 يَكُونُ مَعَادُكُمْ وَ بِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ وَ إِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ وَ نَجْوَاهُ فَصِيْدُ سَبِيلِكُمْ وَ إِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعِكُمْ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ  
 قُلُوبِكُمْ وَ بَصْرُ عَمَى أَفْتِدَتِكُمْ وَ شِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ وَ صَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ وَ طُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ وَ جِلَاءُ [غِشَاءِ]  
 عَشَا أَبْصَارِكُمْ وَ أَمْنُ فَرْعِ جَأَشِكُمْ وَ ضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ .

العجيج رفع الصوت و كذلك العج و

٢٣٦٥

فِي الْحَدِيثِ أَفْضَلُ الْحَجِّ الْعُجُّ وَ النَّجُّ .

أى التلبيه و إراقه الدم و عجيج أى صوت و مضاعفه اللفظ دليل على تكرير التصويت.

و النينان جمع نون و هو الحوت و اختلافها هاهنا هو إصعادها و انحدارها.

و نجيب الله منتجبه و مختاره.

و سفير وحيه

رسول وحيه و الجمع سفراء مثل فقيه و فقهاء .

ص: ١٨٨

إليه تفرعون و تلجئون و يقال فلان مرمى قصدى أى هو الموضع الذى أنحوه و أقصده .

و يروى و جلاء عشى أبصاركم بالعين المهمله و الألف المقصوره و الجأش القلب و تقدير الكلام و ضياء سواد ظلمه عقائدكم و لكنه حذف المضاف للعلم به فأجعلوا طاعة الله شـعـاراً دُونَ دِئَارِكُمْ وَ دَخِيلاً دُونَ شـعـارِكُمْ وَ لَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاعِكُمْ وَ أَميراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ وَ مَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ وَ شَفِيعاً لِدَرَكِ طَلَبَتِكُمْ وَ جَنَّةً لِيَوْمِ فِرْعَونِكُمْ وَ مَصَابِيحَ لِبَطُونِ قُبُورِكُمْ وَ سَيِّكناً لَطُولِ وَحْشَتِكُمْ وَ نَفْساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِزْبٌ مِنْ مَتَالِفٍ مُكْتَنَفَةٍ وَ مَخَافٌ مُتَوَقَّعَةٍ وَ أَوَارٍ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعِيدٌ دُنُوبُهَا وَ اخْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعِيدٌ مَرَارَتُهَا وَ انْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأُمُوجُ بَعِيدٌ تَرَائِكُمُهَا وَ أَسِيهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ بَعِيدٌ إِنْصَابُهَا وَ هَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكِرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا.

وَ تَحَدَّ بَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعِيدٌ نُفُورُهَا وَ تَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النُّعْمُ بَعِيدٌ نُضُوبُهَا وَ وَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَهُ بَعِيدٌ إِزْدَادُهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ وَ وَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ وَ ائْتَنَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ فَعَبُدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ وَ اخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ .

الشعار أقرب إلى الجسد من الدثار و الدخيل ما خالط باطن الجسد و هو (١) أقرب من الشعار.

ثم لم يقتصر على ذلك حتى أمر بأن يجعل التقوى لطيفا بين الأضلاع أى فى القلب و ذلك أمس بالإنسان من الدخيل فقد يكون الدخيل فى الجسد و إن لم يخامر القلب.

ثم قال و أميرا فوق أموركم أى يحكم على أموركم كما يحكم الأمير فى رعيته .

و المنهل الماء يرده الوارد من الناس و غيرهم.

و قوله لحين ورودكم أى لوقت ورودكم.

و الطلبه بكسر اللام ما طلبته من شىء.

قوله و مصايح لبطون قبوركم

٢٣٦٦

جَاءَ فِي الْخَبْرِ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يُضِيءُ قَبْرَ صَاحِبِهِ كَمَا يُضِيءُ الْمِصْبَاحُ الظُّلْمَةَ.

و السكن ما يسكن إليه.

قوله و نفسا لكرب مواطنكم أى سعه و روحا .

و مكتنفه محيطه و الأوار حر النار و الشمس .

و عزبت بعدت و احلوت صارت حلوه و تراكمها اجتماعها و تكاثفها.

و أسهلت

صارت سهله بعد إنصابها أى بعد إتاعها لكم أنصبته أتعبته .

و هطلت

سالت و قحوطها قلتها و وتاحتها (٢) .

و تحدثت عليه

عطفت و حنت.

نضوبها

انقطاعها كنضوب الماء ذهابه.

ص: ١٩٠

---

١-١) ب: «فهو».

٢-٢) الوتاحة: القله.

ووبل المطر صار وابلا و هو أشد المطر و أكثره و إرذاذها إتيانها بالرزاذ و هو ضعيف المطر .

قوله فعبدوا أنفسكم أى ذللوها و منه طريق معبد.

و اخرجوا إليه من حق طاعته

أى أدوا المفترض عليكم من العباده يقال خرجت إلى فلان من دينه أى قضيته إياه ثم إن هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اضْيَطَفَاهُ  
لِنَفْسِهِ وَ اضْيَطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ وَ اضْيَفَاهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ وَ أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ أَذَلَّ الْأَذْيَانَ بِعِزَّتِهِ وَ وَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ وَ أَهَانَ أَعْيَادَهُ  
بِكِرَامَتِهِ وَ خَدَلَ مُحَادِيهِ بِنَصِيرِهِ وَ هَيْدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ وَ سَقَى مَنْ عَطَشَ مِنْ حِيَاضِهِ وَ أَتَقَّقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ لَا  
انْقِصَامَ لِعُزَّتِهِ وَ لَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ وَ لَا انْهَادَامَ لِأَسَاسِهِ وَ لَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ وَ لَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ وَ لَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ وَ لَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ وَ  
لَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ وَ لَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ وَ لَا وُعُوثَهُ لِشُهُولَتِهِ وَ لَا سَوَادَ لَوَضْحِهِ وَ لَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ وَ لَا عَصَلَ فِي عُودِهِ وَ لَا وَعَثَ لِفَجِّهِ وَ  
لَا- انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ وَ لَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ فَهُوَ دَعَائِمٌ أَسَاخٌ فِي الْحَقِّ أَسِينَاخَهَا وَ تَبَّتْ لَهَا آسَاسِيهَا وَ يَنَابِيعُ غَزْرَتْ عُيُونُهَا وَ مَصَابِيحُ  
شَبَّتْ نِيرَانُهَا وَ مَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا وَ أَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا وَ مَنَاهِلٌ رَوَى بِهَا وِرَادُهَا.

ص: ١٩١



جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ وَ ذُرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَ سَيَامَ طَاعَتِهِ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُتْيَانِ مُنِيرُ الْبُرْهَانِ مُضَيُّ النَّبِيرَانِ عَزِيزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعَوِّذُ الْمَثَارِ فَشَرَّفُوهُ وَ اتَّبَعُوهُ وَ أَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَ ضَعُّوهُ مَوَاضِعَهُ .

اصطنعه على عينه

كلمه تقال لما يشتد الاهتمام به تقول للصانع اصنع لى كذا على عيني أى اصنعه صنعه كامله كالصنعه التى تصنعها و أنا حاضر أشاهدها بعيني قال تعالى وَ لِيُتَضَنَّ عَلَى عَيْنِي (١) .

و أصفاه خيره خلقه

أى أثر به خيره خلقه و هم المسلمون و ياء خيره مفتوحه .

قال و أقام الله دعائم الإسلام على حبِّ الله و طاعته .

و المحاد المخالف قال تعالى مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ (٢) أى من يعاد الله كأنه يكون فى حدِّ و جهه و ذلك الإنسان فى حدِّ آخر و جهه أخرى و كذلك المشاق يكون فى شق و الآخر فى شق آخر .

و أتاق الحياض

ملأها و تتق السقاء نفسه يتأق تأقا و كذلك الرجل إذا امتلأ غضبا .

قوله بمواتحه و هى الدلاء يمتح بها أى يسقى بها .

و الانفصام الانكسار و العفاء الدروس .

و الجذ القطع و يروى بالبدال المهمله و هو القطع أيضا .

و الضنك الضيق .

ص: ١٩٢

١-١ (١) سورة طه ٣٩ .

١-٢ (٢) سورة التوبه ٩ .

و الوعوثه كثره فى السهوله توجب صعوبه المشى لأن الأقدام تعيث فى الأرض.

و الوَضْحُ البياض.

و العَوْجُ بفتح العين فيما ينتصب كالنخله و الرمح و العِوَجُ بكسرها فيما لا ينتصب كالأرض و الرأى و الدين.

و العَصْلُ الالتواء و الاعوجاج ناب أعصل و شجره عصله و سهام عصل.

و الفَجُّ الطريق الواسع بين الجبلين يقول لا وعت فيه أى ليس طريق الإسلام بوعث و قد ذكرنا أن الوعوثه ما هى .

قوله فهو دعائم أساخ فى الحق أسناخها الأسناخ جمع سنخ و هو الأصل و أساخها فى الأرض أدخلها فيها و ساخت قوائم فرسه فى الأرض تسوخ و تسيخ دخلت و غابت.

و الآساس بالمد جمع أسس مثل سبب و أسباب و الأسس و الأس و الأساس واحد و هو أصل البناء.

و عَزَرَتْ عيونها بضم الزاى كثرت و شبت نيرانها بضم الشين أوقدت و المنار الأعلام فى الفلاه.

قوله قصد بها فجاجها أى قصد بنصب تلك الأعلام اهتداء المسافرين فى تلك الفجاج فأضاف القصد إلى الفجاج.

و روى روادها جمع رائد و هو الذى يسبق القوم فيرتاد لهم الكلاً و الماء .

و الذروه أعلى السنام و الرأس و غيرهما.

قوله معوذ المثار أى يعجز الناس إثارته و إزعاجه لقوته و متانته

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ص بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْإِنْقِطَاعُ وَ أَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ وَ أَظْلَمَتْ بِهَجَّتِهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ وَ قَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ وَ خَشِنَ مِنْهَا مَهَادٌ وَ أَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ فِي انْقِطَاعِ مِنْ مُدَّتِهَا وَ اقْتِرَابِ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَ تَصَرُّمِ مِنْ أَهْلِهَا وَ انْفِصَامِ مِنْ حَلْقَتِهَا وَ انْتِشَارِ مِنْ سَبَبِهَا وَ عَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا وَ تَكْشِفِ مِنْ عَوْرَاتِهَا وَ قَصْرِ مِنْ طُولِهَا جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ وَ كَرَامَةً لِأُمَّتِهِ وَ رَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَ رَفَعَهُ لِأَعْوَانِهِ وَ شَرَفًا لِأَنْصَارِهِ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَ سِرَاجًا لَا يَحْبُو تَوَقُّدُهُ وَ بَحْرًا لَا يَدْرِكُ قَعْرَهُ وَ مِنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَ شِعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ وَ فُرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بُرْهَانَهُ وَ تَبْيَانًا لَا تُهْدِمُ أَرْكَانَهُ وَ شِفَاءً لَا تُخْشَى أَسِيْقَامُهُ وَ عِزًّا لَا تُهْزِمُ أَنْصَارُهُ وَ حَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعِيدُ الْإِيْمَانِ وَ بُحْبُوحَةُ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ وَ رِيَاضُ الْعَيْدِ وَ غُدْرَانُهُ وَ أَثَافِيئُ الْإِسْلَامِ وَ بُنْيَانُهُ وَ أُوْدِيَةُ الْحَقِّ وَ غِيْطَانُهُ وَ بَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ وَ عُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ وَ مَنَاهِلٌ لَا يَغِيْضُهَا الْوَارِدُونَ وَ مَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجُهَا الْمُسَافِرُونَ وَ أَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَ [إِكَامٌ]

آكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

قوله ع حين دنا من الدنيا الانقطاع أى أزفت الآخرة وقرب وقتها وقد اختلف الناس فى ذلك اختلافا شديدا فذهب قوم إلى أن عمر الدنيا خمسون ألف سنة قد ذهب بعضها وبقى بعضها.

و اختلفوا فى مقدار الذهاب و الباقي و احتجوا لقولهم بقوله تعالى تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (١) قالوا اليوم هو إشاره إلى الدنيا و فيها يكون عروج الملائكة و الروح إليه و اختلافهم بالأمر من عنده إلى خلقه و إلى رسله قالوا و ليس قول بعض المفسرين أنه عنى يوم القيامة بمستحسن لأن يوم القيامة لا يكون للملائكة و الروح عروج إليه سبحانه لانقطاع التكليف و لأن المؤمنين إمّا أن يطول عليهم ذلك اليوم بمقدار خمسين ألف سنة أو يكون هذا مختصا بالكافرين فقط و يكون قصيرا على المؤمنين و الأول باطل لأنه أشدّ من عذاب جهنم و لا يجوز أن يلقى المؤمن هذه المشقة و الثانى باطل لأنه لا يجوز أن يكون الزمان الواحد طويلا قصيرا بالنسبة إلى شخصين اللهم إلا أن يكون أحدهما نائما أو ممنوا بعلة تجرى مجرى النوم فلا يحس بالحركة و معلوم أن حال المؤمنين بعد بعثهم ليست هذه الحال.

قالوا و ليست هذه الآيه مناقضة للآيه الأخرى و هى قوله تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٢) و ذلك لأن سياق الكلام يدل على أنه أراد به الدنيا و ذلك لأنه

٢٣٦٧

قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ

ص: ١٩٥

١-١) سورة المعارج ٤.

٢-٢) سورة السجده ٥.

بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ مَسِيرَهُ خَمْسَةَ عَشْرَ مِائَةٍ فَإِذَا نَزَلَ الْمَلَكُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ عَادَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَدْ قَطَعَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَسِيرَهُ أَلْفَ عَامٍ.

ألا- ترى إلى قوله يُدَبَّرُ الْمَأْمُرُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَى ينزل الملك بالوحي و الأمر و الحكم من السماء إلى الأرض ثم يعود راجعا إليه و عارجا صاعدا إلى السماء فيجتمع من نزوله و صعوده مقدار مسير ألف سنه.

٢٣٤٨

وَ ذَكَرَ حَمْرَهُ بَنُ الْحَسَنِ الْأَصِيفَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَسِيَمِيِّ تَوَارِيخِ الْأُمَمِ أَنَّ الْيَهُودَ تَذْهَبُ إِلَى أَنَّ عَدَدَ السِّنِينَ مِنَ ابْتِدَاءِ التَّنَاسُلِ إِلَى سَنَةِ الْهَجْرَةِ لِمُحَمَّدٍ ص أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَ اثْنَتَانِ وَ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

وَ النَّصَارَى تَذْهَبُ إِلَى أَنَّ عَدَدَ ذَلِكَ خَمْسَةَ آلَافٍ وَ تِسْعِمَائَةٍ وَ تِسْعُونَ سَنَةً وَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

وَ أَنَّ الْفُرْسَ تَذْهَبُ إِلَى أَنَّ مِنْ عَهْدِ كِيُومَرْتِ وَالرَّادِ الْبَشَرِ عِنْدَهُمْ إِلَى هَلَاكِ يَزْدَجَرْدَ بْنِ شَهْرِيَارِ الْمَلِكِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَ مِائَةٍ وَ اثْنَتَيْنِ وَ ثَمَانِينَ سَنَةً وَ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ وَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَ يُسْنِدُونَ ذَلِكَ إِلَى كِتَابِهِمُ الَّذِي جَاءَ بِهِ زَرْدُشْتُ وَ هُوَ الْكِتَابُ الْمَعْرُوفُ بِأَيْسَتَا .

فَأَمَّا الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى فَيُسْنِدُونَ ذَلِكَ إِلَى التَّوْرَةِ وَ يَخْتَلِفُونَ فِي كَيْفِيَّتِهِ اسْتِبْطَاطِ الْمُدَّةِ.

وَ تَرَعُمُ النَّصَارَى وَ الْيَهُودُ أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا كُلَّهَا سَبْعَةُ آلَافٍ سَنَةٍ قَدْ ذَهَبَ مِنْهَا مَا ذَهَبَ وَ بَقِيَ مَا بَقِيَ.

وَ قِيلَ إِنَّ الْيَهُودَ إِنَّمَا قَصَّرَتِ الْمُدَّةَ لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ شَيْخَهُمُ الَّذِي هُوَ مُنْتَضِرُهُمْ يَخْرُجُ فِي أَوَّلِ الْمِائَةِ السَّابِعِ فَلَوْلَا- تَنْقِصُهُمْ الْمُدَّةَ وَ تَقْصِيرُهُمْ أَيَّامَهَا لَتَعَجَّلَ افْتِضَاحُهُمْ وَ لَكِنْ سَيَفْتَضِحُونَ فِيمَا بَعْدَ عِنْدَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا مِنَ الْبَشَرِ.

ص: ١٩٦

قَالَ حَمْرَهُ وَ أَمَّا الْمُنَجِّمُونَ فَقَدْ أَتَوْا بِمَا يُعَمَّرُ هَذَا كُلَّهُ فَرَعَمُوا أَنَّهُ قَدْ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مُنْذُ أَوَّلِ يَوْمِ سَارَتْ فِيهِ الْكَوَاكِبُ مِنْ رَأْسِ الْحَمِيلِ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ الْمُتَوَكِّلُ بْنُ مُعْتَصِمِ بْنِ الرَّشِيدِ مِنْ سَيِّمَرَاءَ إِلَى دِمَشْقَ لِيَجْعَلَهَا دَارَ الْمَلِكِ وَ هُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَ أَرْبَعِينَ وَ مَائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ أَلْفِ أَلْفِ ثَلَاثَ لَفْظَاتٍ وَ ثَلَاثُمِائَةٍ أَلْفٍ وَ عِشْرُونَ أَلْفٍ سَنَةٍ بِسِنَى الشَّمْسِ.

قَالُوا وَ الَّذِي مَضَى مِنَ الطُّوفَانِ إِلَى صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى دِمَشْقَ ثَلَاثَ آلَافٍ وَ سَبْعُمِائَةٍ وَ خَمْسُ وَ ثَلَاثُونَ سَنَةً وَ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ وَ اثْنَانِ وَ عِشْرُونَ يَوْمًا.

٢٣٦٩

وَ ذَكَرَ أَبُو الرَّيْحَانِ الْبَيْرُونِيُّ فِي كِتَابِ الْأَثَارِ الْبَاقِيَةِ عَنِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ أَنَّ الْفُرْسَ وَ الْمَجُوسَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عُمَرَ الدُّنْيَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ عَلَى عَدَدِ الْبُرُوجِ وَ عَدَدِ الشُّهُورِ وَ أَنَّ الْمَاضِيَ مِنْهَا إِلَى وَقْتِ ظُهُورِ زُرْدُشْتِ صَاحِبِ شَرِيْعَتِهِمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ سَنَةٍ وَ بَيْنَ إِبْتِدَاءِ ظُهُورِ زُرْدُشْتِ وَ بَيْنَ أَوَّلِ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ كُنْدَرِ مَائَتَانِ وَ ثَمَانٍ وَ خَمْسُونَ سَنَةً وَ بَيْنَ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ كُنْدَرِ وَ بَيْنَ سَنَتِهِ الَّتِي كَتَبْنَا فِيهَا شَرَحَ هَذَا الْفَضْلِ وَ هِيَ سَنَةُ سَبْعٍ وَ أَرْبَعِينَ وَ سِتِّمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَلْفٌ وَ خَمْسُمِائَةٍ وَ سَبْعُونَ سَنَةً فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَاضِي إِلَى يَوْمِنَا هَذَا مِنْ أَصْلِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَ ثَمَانِمِائَةٍ وَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً فَيَكُونُ الْبَاقِي مِنَ الدُّنْيَا عَلَى قَوْلِهِمْ أَكْثَرَ مِنَ الْمَاضِي.

وَ حَكَى أَبُو الرَّيْحَانِ عَنِ الْهِنْدِ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ أَنَّ مُدَّةَ عُمَرِ الدُّنْيَا مِقْدَارُ تَضْعِيفِ الْوَاحِدِ مِنْ أَوَّلِ بَيْتٍ فِي رُقْعَةِ الشُّطْرَنْجِ إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ.

فأما الأخباريون من المسلمين فأكثرهم يقولون إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة

ص: ١٩٧

و يقولون إننا فى السابح و الحق أنه لا يعلم أحد هذا إلا الله تعالى و حده كما قال سبحانه يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (١) و قال لا- يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ (٢) .

و نقول مع ذلك كما ورد به الكتاب العزيز اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ (٣) و اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ (٤) و أتى أمر الله فلا تستعجلوه (٥) .

و لا- نعلم كميهِ الماضى و لا- كميهِ الباقى و لكننا نقول كما أمرنا و نسمع و نطيع كما أدبنا و من الممكن أن يكون ما بقى قريبا عند الله و غير قريب عندنا كما قال سبحانه إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ يَرَاهُ قَرِيباً (٦) .

و بالجمله هذا موضع غامض يجب السكوت عنه.

قوله ع و قامت بأهلها على ساق الضمير للدنيا و الساق الشده أى انكشفت عن شده عظيمه.

و قوله تعالى وَ التَّقَاتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ (٧) أى التفت آخر شده الدنيا بأول شده الآخره.

و المهاده الفراش و أزف منها قياد أى قرب انقيادها إلى التقضى و الزوال.

و أشرط الساعه علاماتها و إضافتها إلى الدنيا لأنها فى الدنيا تحدث و إن كانت علامات للأخري و العفاء الدروس.

ص: ١٩٨

١-١) سورة النازعات ٤٢-٤٤.

٢-٢) سورة الأعراف ٨٧.

٣-٣) سورة القمر ١.

٤-٤) سورة الأنبياء ١.

٥-٥) سورة النحل ١.

٦-٦) سورة المعارج ٦.

٧-٧) سورة القيامة ٢٩.

و روى من طولها و الطول الحبل .

ثم عاد إلى ذكر النبى ص فقال جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته أى ذا بلاغ و البلاغ التبليغ فحذف المضاف .

و لا تخبو لا تنطفئ و الفرقان ما يفرق به بين الحق و الباطل .

و أثنافى الإسلام

جمع أثفيه و هى الأحجار توضع عليها القدر شكل مثلث.

و الغيطان جمع غائط و هو المطمئن من الأرض .

و لا يغيضها بفتح حرف المضارعه غاض الماء و غضته أنا يتعدى و لا يتعدى و روى لا يغيضها بالضم على قول من قال أغضت الماء و هى لغه ليست بالمشهوره.

و الآكام جمع أكم مثل جبال جمع جبل و الأكم جمع أكمه مثل عنب جمع عنبه و الأكمه ما علا من الأرض و هى دون الكثيب  
جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَ رَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَ مَحَاجِّ لَطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَ دَوَاءً لَيْسَ بَعِيدَهُ دَاءً وَ نُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَ حَبْلًا  
وَ ثِقًا عَزُوتُهُ وَ مَعْقِلًا مَبِيعًا ذُرُوتُهُ وَ عِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ وَ سَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنْ اتَّمَّ بِهِ وَ عُذْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ وَ بُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ  
وَ شَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَ فُلْجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَ حَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ وَ مَطِيئَةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ وَ جُنَّةً لِمَنْ اسْتَنَامَ وَ عِلْمًا لِمَنْ  
وَعَى وَ حَدِيثًا لِمَنْ رَوَى وَ حُكْمًا لِمَنْ قَضَى .

ص : ١٩٩



الضمير يرجع إلى القرآن جعله الله ربا لعطش العلماء إذا ضل العلماء في أمر و التبس عليهم رجعوا إليه فسقاهم كما يسقى الماء العطش و كذا القول في ربيعا لقلوب الفقهاء و الربيع هاهنا الجدول و يجوز أن يريد المطر في الربيع يقال ربعت الأرض فهي مربوعه.

و المحاج جمع محجه و هي جاده الطريق و المعقل الملجأ .

و سلما لمن دخله

أى مأنا و انتحله دان به و جعله نحلته.

و البرهان الحجبه و الفلج الظفر و الفوز و حاج به خاصم .

قوله ع و حاملا لمن حملة أى أن القرآن ينجى يوم القيامة من كان حافظا له فى الدنيا بشرط أن يعمل به.

قوله ع و مطيه لمن أعمله استعاره يقول كما أن المطيه تنجى صاحبها إذا أعملها و بعثها على النجاء فكذلك القرآن إذا أعمله صاحبه أنجاه و معنى إعماله اتباع قوانينه و الوقوف عند حدوده.

قوله و آيه لمن توسم أى لمن تفرس قال تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (١) .

و الجنه ما يستتر به و استلام لبس لأمه الحرب و هى الدرع.

و وعى حفظ.

قوله و حديثا لمن روى قد سماه الله تعالى حديثا فقال اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ

ص : ٢٠٠

الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَّشَابِهًا (١) و أصحابنا يحتجون بهذه اللفظه على أن القرآن ليس بقديم لأن الحديث ضد القديم.

و ليس للمخالف أن يقول ليس المراد بقوله أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ما ذكرتم بل المراد أحسن القول و أحسن الكلام لأن العرب تسمى الكلام و القول حديثا لأننا نقول لعمرى إِنَّه هكذا و لكن العرب ما سمت القول و الكلام حديثا إلا أَنه مستحدث متجدد حالا فحالا- أ لا- ترى إلى قول عمرو لمعاوية قد مللت كل شىء إلا- الحديث فقال إِنما يمل العتيق فدل ذلك على أَنه فهم معنى تسميتهم الكلام و القول حديثا و فطن لمغزاهم و مقصدهم فى هذه التسميه و إذا كنا قد كلفنا أن نجرى على ذاته و صفاته و أفعاله ما أجراه سبحانه فى كتابه و نطلق ما أطلقه على سبيل الوضع و الكيفيه التى أطلقها و كان قد وصف كلامه بأنه حديث و كان القرآن فى عرف اللغه إِنما سمى حديثا لحدوثه و تجدده فقد ساغ لنا أن نطلق على كلامه أَنه محدث و متجدد و هذا هو المقصود

ص: ٢٠١

---

(١- ١) سورة الزمر ٢٣.

تَعَاهِدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَ حَافِظُوا عَلَيْهَا وَ اسْتَكْبَرُوا مِنْهَا وَ تَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (١) وَ إِنَّهَا لَتَحْتُ الذُّنُوبَ حَتَّى الْوَرَقِ وَ تُطَلِّقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبِيقِ وَ شَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَ اللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَ لَا قَرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَ لَا مَالٍ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رِجَالٌ لَا تَلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ (٢) وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص نَصَبًا بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ أَمْرَ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَ اضْطَبِرْ عَلَيْهَا (٣) فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَ [يُضْبِرُ]

يَضْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ

ص: ٢٠٢

١-١) سورة المدثر ٤٣، ٤٢.

٢-٢) سورة النور ٣٧.

٣-٣) سورة طه ١٣٢.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيَّبَ النَّفْسَ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوَقَايَةً فَلَا يُتَّبَعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ وَلَا يُكْتَبَرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفُهُ فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيَّبِ النَّفْسِ بِهَا يَزُجُّ بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَنِ مَغْبُونٌ الْمَاجِرِ ضَالُّ الْعَمَلِ طَوِيلُ النَّدَمِ ثُمَّ آدَاءُ الْأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّهَا عَرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَنِيِّهِ وَالْأَرْضِ بَيْنَ الْمَيْدَحِوهِ وَالْجِيَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبِهِ فَلَا أَطُولُ وَلَا أَعْرَضُ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمُ مِنْهَا وَلَوْ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرِضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَأَمْتَنَعَنَّ وَلَكِنْ أَشْفَقْنَا مِنَ الْعُقُوبِهِ وَعَقَلْنَا مَا جِهَلَلِ مَنْ هُوَ أضعفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (١) إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ لَطْفٌ بِهِ خَبِرًا وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ .

هذه الآية يستدل بها الأصوليون من أصحابنا على أن الكفار يعاقبون في الآخرة على ترك الواجبات الشرعية و على فعل القبائح لأنها في الكفار وردت ألا- ترى إلى قوله في جَدَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ م سَلَكْتُكُمْ فِي سَيِّئَةٍ (٢) فليس يجوز أن يعنى بالمجرمين هاهنا الفاسقين من أهل القبلة لأنه قال قالوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ

ص: ٢٠٣

١- ١) سورة الأحزاب ٧٢.

٢- ٢) سورة المدثر ٤٢-٤٧.

وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (١).

قالوا و ليس لقائل أن يقول معنى قوله لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ لم نكن من القائلين بوجوب الصلاة لأنه قد أغنى عن هذا التعليل قوله وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ لأن أحد الأمرين هو الآخر و حمل الكلام على ما يفيد فائده جديدة أولى من حمله على التكرار و الإعادة فقد ثبت بهذا التقرير صحه احتجاج أمير المؤمنين ع على تأكيد أمر الصلاة و أنها من العبادات المهمة فى نظر الشارع .

قوله ع و إنها لتحت الذنوب الحت نثر الورق من الغصن و انحاح أى تناثر و قد جاء هذا اللفظ فى الخبر النبوى بعينه.

و الربق جمع ربقه و هى الحبل أى تطلق الصلاة الذنوب كما تطلق الحبال المعقده أى تحل ما انعقد على المكلف من ذنوبه و هذا من باب الاستعارة.

و يروى تعهدوا أمر الصلاة بالتضعيف و هو لغه يقال تعاهدت ضيعتى و تعهدتها و هو القيام عليها و أصله من تجديد العهد بالشىء و المراد المحافظه عليه و قوله تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (٢) أى واجبا و قيل موقوتا أى منجما كل وقت لصلاة معينه و تؤدى هذه الصلاة فى نجومها.

و قوله كتابا أى فرضا واجبا كقوله تعالى كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (٣) أى أوجب .

و و الحمه الحفيره فيها الحميم و هو الماء الحار و هذا الخبر من الأحاديث الصحاح

٢٣٧٠

١٤- قَالَ صَ أَيْسُرُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ عَلَى بَابِهِ حَمَةٌ يَغْتَسِلُ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ

ص: ٢٠٤

١- ١) سورة المدثر ٤٢-٤٧.

٢- ٢) سورة النساء ١٠٣.

٣- ٣) سورة الأنعام ٣.

مَرَاتٍ فَلَا يَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ .

و الدرر الوسخ .

و التجاره فى الآيه إمّا أن يراد بها لا يشغلهم نوع من هذه الصناعات عن ذكر الله ثم أفرد البيع بالذكر و خصه و عطفه على التجاره العامه لأنه أدخل فى الإلهاء لأن الربح فى البيع بالكسب معلوم و الربح فى الشراء مظنون و إمّا أن يريد بالتجاره الشراء خاصيه إطلاقاً لاسم الجنس الأعم على النوع الأخص كما تقول رزق فلان تجاره رابحه إذا اتجه له شراء صالح فأما إقام الصلاه فإن التاء فى إقامه عوض من العين الساقطه للإعلال فإن أصله إقوام مصدر أقام كقولك أعرض إعراضاً فلما أضيفت أقيمت الإضافه مقام حرف التعويض فأسقطت التاء .

قوله ع و كان رسول الله ص نصبا بالصلاه أى تعبا قال تعالى ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ (١) .

و

٢٣٧١

١٤- رُوِيَ أَنَّهُ ع قَامَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ مَعَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ وَ رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا .

و يصبر نفسه

من الصبر و يروى و يصبر عليها نفسه أى يحبس قال سبحانه وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ (٢) و قال عنتره يذكر حرباً كان فيها فصبرت عارفه لذلك حره ترسو إذا نفس الجبان تطلع (٣)

### فصل فى ذكر الآثار الواردة فى الصلاه و فضلها

و اعلم أن الصلاه قد جاء فى فضلها الكثير الذى يعجزنا حصره و لو لم يكن

ص: ٢٠٥

(١-١) سورة طه ٢.

(٢-٢) سورة الكهف ٢٨.

(٣-٣) اللسان (صبر).

إلا ما ورد في الكتاب العزيز من تكرار ذكرها و تأكيد الوصاه بها و المحافظه عليها لكان بعضه كافيا.

و

٢٣٧٢

قَالَ النَّبِيُّ ص الصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ.

و

٢٣٧٣

قَالَ أَيضًا عَ عَلِمَ الْإِيمَانِ الصَّلَاةُ فَمَنْ فَرَّغَ لَهَا قَلْبَهُ وَ قَامَ بِحُدُودِهَا فَهُوَ الْمُؤْمِنُ.

و

٢٣٧٤

١٤- قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يُحَدِّثُنَا وَ نُحَدِّثُهُ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَ لَمْ نَعْرِفْهُ .

٢٣٧٥

وَ قِيلَ لِلْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا بَالُ الْمُتَهَجِّجِينَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجُوهًا قَالَ لِأَنَّهُمْ خَلَوْا بِالرَّحْمَنِ فَالْبَسَهُمْ نُورًا مِنْ نُورِهِ.

٢٣٧٦

وَ قَالَ عَمْرٌ إِنَّ الرَّجُلَ لَيْشْتَيْبُ عَارِضَاهُ فِي الْإِسْلَامِ مَا أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ صِيْلَاهُ قِيلَ لَهُ وَ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ لَا يُيْتِمُّ خُشُوعَهَا وَ تَوَاضُعَهَا وَ إِقْبَالَهُ عَلَى رَبِّهِ فِيهَا.

٢٣٧٧

وَ قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ إِنَّ الْعَبِيدَ لَيْسَتْ يُجَدُّ السَّعِيْدَةَ عِنْدَهُ أَنَّهُ مُتَقَرَّبٌ بِهَا إِلَى اللَّهِ وَ لَوْ قَسِمَ ذَنْبُهُ فِي تِلْكَ السَّعِيْدَةَ عَلَى أَهْلِ مَيْدِينَةٍ لَهَلَكُوا قِيلَ وَ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ يَكُونُ سَاجِدًا وَ قَلْبُهُ عِنْدَ غَيْرِ اللَّهِ إِنَّمَا هُوَ مُضْغٌ إِلَى هَوَىٰ أَوْ دُنْيَا.

٢٣٧٨

صَلَّى أَعْرَابِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ صِيْلَاهُ خَفِيْفَةً وَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَرَاهُ فَلَمَّا قَضَاهَا قَالَ اللَّهُمَّ زَوِّجْنِي الْحُورَ الْعَيْنَ فَقَالَ عَمْرٌ يَا هَيْدَا لَقَدْ أَسَأْتَ النَّفْدَ وَ أَعْظَمْتَ الْخِطْبَةَ.

و

٢٣٧٩

قَالَ عَلِيُّ ع

لَا يَزَالُ الشَّيْطَانُ ذَعِرًا مِّنَ الْمُؤْمِنِ مَا حَافِظَ عَلَى الْخَمْسِ فَإِذَا ضَيَّعَهُنَّ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ وَ أَوْقَعَهُ فِي الْعِظَائِمِ .

و

٢٣٨٠

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ الصَّلَاةُ إِلَى الصَّلَاةِ كَفَّارَةٌ لِّمَا بَيْنَهُمَا مَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرُ .

ص: ٢٠٦



٢٣٨١

١٤- جَاءَ فِي الْخَبْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَعَ إِلَى الصَّلَاةِ .

٢٣٨٢

وَ قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ كَانَ أَبِي يُطِيلُ الْمَكْتُوبَةَ وَ يَقُولُ هِيَ رَأْسُ الْمَالِ .

٢٣٨٣

قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ مَا اسْتَخَفَّ أَحَدٌ بِالنَّوَافِلِ إِلَّا اسْتَخَفَّ بِالفَرَائِضِ .

٢٣٨٤

يُقَالُ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُكَدِّرِ جَزَأَ اللَّيْلَ عَلَيْهِ وَ عَلَى أُمِّهِ وَ أُخْتِهِ أَثْلَاثًا فَمَاتَتْ أُخْتُهُ فَجَزَأَهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى أُمِّهِ نَضِيفَيْنِ فَمَاتَتْ أُمُّهُ فَقَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ .

٢٣٨٥

كَانَ مُسْلِمٌ بْنُ يَسَارٍ لَا يَسْمَعُ الْحَدِيثَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي وَ لَا يَفْهَمُهُ وَ كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ سَكَتَ أَهْلُهُ فَلَا يَسْمَعُ لَهُمْ كَلَامًا حَتَّى يَقُومَ إِلَى الصَّلَاةِ فَيَتَحَدَّثُونَ وَ يَلْغَطُونَ فَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِمْ .

وَ وَقَعَ حَرِيقٌ إِلَى جَنْبِهِ وَ هُوَ فِي الصَّلَاةِ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ حَتَّى حُرِقَ .

٢٣٨٦

كَانَ خَلْفُ بْنُ أَيُّوبَ لَا- يَطْرُدُ الذُّبَابَ إِذَا وَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ وَ هُوَ فِي الصَّلَاةِ فِي بِلَادِ كَثِيرِهِ الذُّبَابُ فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ تَصْبِرُ فَقَالَ بَلَّغْنِي أَنَّ الشُّطَارَ يَصْبِرُونَ تَحْتَ السَّيَاطِ لِئَقَالَ فُلَانٌ صَبُورٌ أ فَلَا أَصْبِرُ وَ أَنَا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّي عَلَى أَدَى ذُبَابٍ يَقَعُ عَلَيَّ .

٢٣٨٧

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ الصَّلَاةُ مِكَيَالٌ فَمَنْ وَفَى وَفَى لَهُ وَ مَنْ طَفَّفَ فَ وَئِلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ .

٢٣٨٨

١٤- قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ص يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ لِي أَنْ يَزُوقَنِي اللَّهُ مَرِافَتِيكَ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ أَعْنِي عَلَى إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ بِكَثْرِهِ

السُّجُودِ .

قوله ع قربانا لأهل الإسلام القربان اسم لما يتقرب به من نسيكه أو صدقه.

و روى و من النار حجازا بالزاي أى مانعا و اللهف الحسره ينهى ع

ص: ٢٠٧

عن إخراج الزكاه مع التسخبط لإخراجها و التلهف و التحسر على دفعها إلى أربابها و يقول إن من يفعل ذلك يرجو بها نيل الثواب ضال مضيع لماله غير ظافر بما رجاه من المثوبه

### ذكر الآثار الواردة في فضل الزكاه و التصدق

و قد جاء في فضل الزكاه الواجبه و فضل صدقه التطوع الكثير جدا و لو لم يكن إلا أن الله تعالى قرنها بالصلاه في أكثر المواضع التي ذكر فيها الصلاه لكفى.

و

٢٣٨٩

رَوَى بُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا حَبَسَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْقَطْرَ.

و جاء في الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا جَاءَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ (١) الْآيَةَ قَالَ الْمَفْسُورُونَ إِنْفَاقَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِخْرَاجَ الزَّكَاةِ مِنْهَا.

٢٣٩٠

وَ رَوَى الْأَخْنَفُ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَبَيْنَا أَنَا فِي حَلْقَةٍ فِيهَا مَلَأٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الْجَسَدِ خَشِنُ الثِّيَابِ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ (٢) يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَوْضَعُ عَلَى حَلْمَةِ تَدْيِ الرَّجُلِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ نُغْضٍ (٣) كَتِفِهِ ثُمَّ تَوْضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ حَلْمَةِ تَدْيِهِ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ هَذَا أَبُو ذَرٍّ الْعِفَارِيُّ وَ كَانَ يَذْكُرُهُ وَ يَرْفَعُهُ.

٢٣٩١

إِبْنُ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَا يُزَكَّى فَلَمْ يُزَكَّ وَ كَانَ عِنْدَهُ مَا يُحُجُّ فَلَمْ يُحَجَّ سَأَلَ الرَّجْعَةَ.

يعنى قوله رَبِّ ارْجِعُونِ .

ص: ٢٠٨

(١-١) سورة التوبه ٢٤.

(٢-٢) الرضف: الحجاره المحماه.

(٣-٣) النغض: أعلى الكتف؛ و قيل هو العظم الرقيق الذى على طرفه.

١٤- أَبُو هُرَيْرَةَ سَيَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ فَقَالَ أَنْ تُعْطَى وَ أَنْتِ صَاحِبَةٌ شَحِيحٌ تَأْمَلُ البَقَاءَ وَ تَحْشَى الفَقْرَ وَ لَا تَمَهَّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلُقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَ لِفُلَانٍ كَذَا

(١)

وَ قِيلَ لِلشَّيْلِى مَا يَجِبُ فِي مَائَتِي دِرْهَمٍ قَالَ أَمَّا مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ فَخُمْسُهُ وَ أَمَّا مِنْ جِهَةِ الإِخْلَاصِ فَالْكُلُّ.

١٤- أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْضَ نِسَائِهِ أَنْ تَقْسِمَ شَاهَةً عَلَى الفُقَرَاءِ فَصَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ عُنُقِهَا فَقَالَ ع كُلُّهَا بَقِيَ غَيْرُ عُنُقِهَا

أخذ شاعر هذا المعنى فقال يبكي على الذاهب من ماله و إنما يبقى الذي يذهب.

السَّائِبُ

كَانَ الرَّجُلُ مِنَ السَّلَفِ يَضَعُ الصَّدَقَةَ وَ يَمْتَلُ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيِ السَّائِلِ الفَقِيرِ وَ يَسْأَلُهُ قَبُولَهَا حَتَّى يَصِيرَ هُوَ فِي صُورَةِ السَّائِلِ.

وَ كَانَ بَعْضُهُمْ يَنْسُطُ كَفَّهُ وَ يَجْعَلُهَا تَحْتَ يَدِ الفَقِيرِ لِتُكُونَ يَدِ الفَقِيرِ العُلْيَا.

و

عَنِ النَّبِيِّ ص مَا أَحْسَنَ عَبْدٌ الصَّدَقَةَ إِلاَّ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي مُخْلَفِيهِ.

و

عَنْهُ ص

الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الشَّرِّ.

و

عَنْهُ ص

أَذْهَبُوا مَذْمَةَ السَّائِلِ وَ لَوْ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّائِرِ مِنَ الطَّعَامِ.

١٤- كَانَ النَّبِيُّ ص لَا يَكُلُ خَصَلَتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِ لَا يُوَضُّهُ أَحَدٌ وَلَا يُعْطَى السَّائِلَ إِلَّا بِيَدِهِ .

بَعْضُ الصَّالِحِينَ الصَّلَاةَ تُبَلِّغُكَ نِصْفَ الطَّرِيقِ وَ الصَّوْمُ يُبَلِّغُكَ بَابَ الْمَلِكِ وَ الصَّدَقَةُ تُدْخِلُكَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ.

الشَّعْبِيُّ

مَنْ لَمْ يَرَ نَفْسَهُ أَحْوَجَ إِلَى ثَوَابِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْفَقِيرِ إِلَى صِدْقَتِهِ فَقَدْ أَبْطَلَ صِدْقَتَهُ وَ ضَرَبَ بِهَا وَجْهَهُ.

ص: ٢٠٩

كَانَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ إِذَا جَاءَهُ سَائِلٌ فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ذَهَبٌ أَوْ فِضَّةٌ أَوْ طَعَامٌ أَعْطَاهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَعْطَاهُ زَيْتًا أَوْ سَمْنًا أَوْ نَحْوَهُمَا مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَعْطَاهُ كُحْلًا أَوْ خَرَجَ يَابِرَهُ وَحَاطَ بِهَا ثَوْبَ السَّائِلِ أَوْ بِخِرْقَةٍ يَرْقَعُ بِهَا مَا تَخَرَّقَ مِنْ ثَوْبِهِ.

وَوَقَفَ مَرَّةً عَلَى بَابِهِ سَائِلٌ لَيْلًا وَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَدْفَعُهُ إِلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِقَصِيصَةٍ فِي رَأْسِهَا شُغْلَةٌ وَقَالَ خُذْ هَيْدَهَ وَ تَبَلَّغْ بِهَا إِلَى أَبْوَابِ نَاسٍ لَعَلَّهُمْ يُعْطُونَكَ .

قوله ع ثم أداء الأمانة هي العقد الذي يلزم الوفاء به و أصبح ما قيل في تفسير الآيه أن الأمانة ثقيله المحمل لأن حاملها معرض لخطر عظيم فهي بالغة من الثقل و صعوبه المحمل ما لو أنها عرضت على السماوات و الأرض و الجبال لامتنعت من حملها.

فأما الإنسان فإنه حملها و أُلزم القيام بها و ليس المراد بقولنا إنها عرضت على السماوات و الأرض أى لو عرضت عليها و هي جمادات بل المراد تعظيم شأن الأمانة كما تقول هذا الكلام لا يحملها الجبال و قوله امتلأ الحوض و قال قطنى (١).

و قوله تعالى قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (٢) و مذهب العرب فى هذا الباب و توسعها و مجازاتها مشهور شائع

ص: ٢١٠

١- (١) اللسان (قطن)، و بقيته: \*سلاً رويدا قد ملأت بطنى\*

٢- (٢) سورة فصلت ١١.

## إشاره

وَ اللَّهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذْهَى مِنِّي وَ لَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَ يَفْجُرُ وَ لَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ وَ لَكِنْ كُلُّ غَدْرِهِ فُجْرَةٌ وَ كُلُّ فُجْرِهِ كُفْرَةٌ وَ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ اللَّهُ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَ لَا أُسْتَعْمَرُ بِالشَّدِيدَةِ .

الغدره على فعله الكثير الغدر و الفجره و الكفره الكثير الفجور و الكفر و كل ما كان على هذا البناء فهو للفاعل فإن سكنت العين فهو للمفعول تقول رجل ضحكه أى يضحك و ضحكه يضحك منه و سخره يسخر و سخره يسخر به يقول ع كل غادر فاجر و كل فاجر كافر و يروى و لكن كل غدره فجره و كل فجره كفره على فعله للمره الواحده.

و

٢٤٠٤

قَوْلُهُ

لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

حديث صحيح مروى عن النبى ص .

ثم أقسم ع أنه لا يستغفل بالمكيدته أى لا تجوز المكيدته على كما تجوز على ذوى الغفله و أنه لا يستغمر بالشديده أى لا أهين و ألين للخطب الشديده

ص: ٢١١

و اعلم أن قوما ممن لم يعرف حقيقه فضل أمير المؤمنين ع زعموا أن عمر كان أسوس منه و إن كان هو أعلم من عمر و صرّح الرئيس أبو علي بن سينا بذلك في الشفاء في الحكمة و كان شيخنا أبو الحسين يميل إلى هذا و قد عرض به في كتاب الغرر (١) ثم زعم أعداؤه و مباحضوه أن معاويه كان أسوس منه و أصح تدبيراً و قد سبق لنا بحث قديم في هذا الكتاب في بيان حسن سياسه أمير المؤمنين ع و صحه تدبيره و نحن نذكر هاهنا ما لم نذكره هناك ممّا يليق بهذا الفصل الذي نحن في شرحه.

اعلم أن السائس لا يتمكن من السياسه البالغه إلا إذا كان يعمل برأيه و بما يرى فيه صلاح ملكه و تمهيد أمره و توطيد قاعدته سواء وافق الشريعه أو لم يوافقها و متى لم يعمل في السياسه و التدبير بموجب ما قلناه فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله و أمير المؤمنين كان مقيدا بقيود الشريعه مدفوعا إلى اتباعها و رفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب و الكيد و التدبير إذا لم يكن للشرع موافقا فلم تكن قاعدته في خلافته قاعده غيره ممن لم يلتزم بذلك و لسنا بهذا القول زارين علي عمر بن الخطاب و لا ناسين إليه ما هو منزه عنه و لكنه كان مجتهدا يعمل بالقياس و الاستحسان و المصالح المرسله و يرى تخصيص عمومات النصّ بالآراء و بالاستنباط من أصول تقتضى خلاف ما يقتضيه عموم النصوص و يكيد خصمه و يأمر أمراءه بالكيد و الحيله و يؤدب بالدره و السوط من

ص: ٢١٢

---

١ - ١) هو كتاب الغرر لأبي الحسين البصرى، في أصول الكلام، شرحه المؤلف، و سماه: «شرح مشكلات الغرر»، ذكره صاحب روضات الجنّات.



يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك و يصفح عن آخرين قد اجتموا ما يستحقون به التأديب كل ذلك بقوه اجتهاده و ما يؤديه إليه نظره و لم يكن أمير المؤمنين ع يرى ذلك و كان يقف مع النصوص و الظواهر و لا يتعدها إلى الاجتهاد و الأقيسه و يطبق أمور الدنيا على أمور الدين و يسوق الكل مساقا واحدا و لا يضيع و لا يرفع إلا بالكتاب و النصّ فاختلفت طريقتاهما في الخلافه و السياسه و كان عمر مع ذلك شديد الغلظه و السياسه و كان على ع كثير الحلم و الصفح و التجاوز فازدادت خلافه ذاك قوه و خلافه هذا لينا و لم يمن عمر بما منى به على ع من فتنه عثمان التي أحوجته إلى مداراه أصحابه و جنده و مقاربتهم للاضطراب الواقع بطريق تلك الفتنة ثم تلا ذلك فتنه الجمل و فتنه صفين ثم فتنه النهروان و كل هذه الأمور مؤثره في اضطراب أمر الوالي و انحلال معاهد ملكه و لم يتفق لعمر شيء من ذلك فشتان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكه و صحه تدبير الخلافه.

فإن قلت فما قولك في سياسه رسول الله ص و تدبيره أليس كان منتظما سديدا مع أنه كان لا يعمل إلا بالنصوص و التوقيف من الوحي فهلا كان تدبير على ع و سياسته كذلك إذا قلت إنّه كان لا يعمل إلا بالنص قلت أما سياسه رسول الله ص و تدبيره فخارج عما نحن فيه لأنه معصوم لا تتطرق الغفله إلى أفعاله و لا واحد من هذين الرجلين بواجب العصمه عندنا و أيضا فإن كثيرا من الناس ذهبوا إلى أن الله تعالى أذن لرسول الله ص أن يحكم في الشرعيات و غيرها برأيه و قال له احكم بما تراه فإنك لا تحكم إلا- بالحق و هذا مذهب يونس بن عمران و على هذا فقد سقط السؤال لأنه ص يعمل بما يراه من المصلحه و لا ينتظر الوحي.

و أيضا فبتقدير فساد هذا المذهب أليس قد ذهب خلق كثير من علماء أصول الفقه إلى أن رسول الله ص كان يجوز (1) له أن يجتهد في الأحكام و التدبير كما يجتهد

ص: ٢١٣

(١-١) ساقط من ب.

الواحد من العلماء و إليه ذهب القاضي أبو يوسف رحمه الله و احتج بقوله تعالى لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ (١).

و السؤال أيضا ساقط على هذا المذهب لأن اجتهاد على ع لا يساوى اجتهاد النبي ص و بين الاجتهادين كما بين المنزلتين.

و كان أبو جعفر بن أبي زيد الحسنى نقيب البصره رحمه الله إذا حدّثناه فى هذا يقول إنّه لا فرق عند من قرأ السيرتين سيره النبي ص و سياسه أصحابه أيام حياته و بين سيره أمير المؤمنين ع و سياسه أصحابه أيام حياته فكما أن عليا ع لم يزل أمره مضطربا معهم بالمخالفه و العصيان و الهرب إلى أعدائه و كثره الفتن و الحروب فكذلك كان النبي ص لم يزل ممنوا بنفاق المنافقين و أذاهم و خلاف أصحابه عليه و هرب بعضهم إلى أعدائه و كثره الحروب و الفتن.

و كان يقول أ لست ترى القرآن العزيز مملوءا بذكر المنافقين و الشكوى منهم و التألم من أذاهم له كما أن كلام على ع مملوء بالشكوى من منافقى أصحابه و التألم من أذاهم له و التوائهم عليه و ذلك نحو قوله تعالى أ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَّبِعُونَ بِالْإِثْمِ وَ الْعَيْدِ وَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ إِذَا جِئُواكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ (٢).

و قوله إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا (٣) الآية.

و قوله تعالى إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ

ص: ٢١٤

١-١) سورة النساء ١٠٥.

٢-٢) سورة المجادلة ٨.

٣-٣) سورة المجادلة ١٠.

لرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنْهً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ السوره بأجمعها (١).

وقوله تعالى وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (٢).

وقوله تعالى رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٣).

وقوله تعالى أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَ لَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلا تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَ لا تَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٤).

وقوله تعالى سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (٥).

وقوله تعالى سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ

ص: ٢١٥

١-١) سورة المنافقين.

٢-٢) سورة محمد ١٦.

٣-٣) سورة محمد ٢٠.

٤-٤) سورة محمد ٢٩،٣٠.

٥-٥) سورة الفتح ١٢،١١.

فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١).

و قوله إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجْرَاتِ أَكْثَرُھُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْھُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢).

قال و أصحابه هم الذين نازعوا في الأنفال و طلبوها لأنفسهم حتى أنزل الله تعالى قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصِيبُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٣).

و هم الذين التوا عليه في الحرب يوم بدر و كرهوا لقاء العدو حتى خيف خذلانهم و ذلك قبل أن تتراءى الفتتان و أنزل فيهم يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يُنظَرُونَ (٤).

٢٤٠٥

١٤- وَ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ لِقَاءَ الْعِيرِ دُونَ لِقَاءِ الْعِدَّةِ وَ حَتَّى إِذَا نَهَمُوا بِرَجُلَيْنِ فِي الطَّرِيقِ فَسَأَلُوهُمَا عَنِ الْعِيرِ فَقَالَا لَا عِلْمَ لَنَا بِهَا وَ إِنَّمَا رَأَيْنَا جَيْشَ قُرَيْشٍ مِنْ وَّرَاءِ ذَلِكَ الْكَثِيبِ فَضَرَبُوهُمَا وَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَائِمٌ يُصَلِّي فَلَمَّا ذَاقَا مَسَّ الضَّرْبِ قَالَا بَلِ الْعِيرُ أَمَامَكُمْ فَاطْلُبُوهَا فَلَمَّا رَفَعُوا الضَّرْبَ عَنْهُمَا قَالَا وَ اللَّهُ مَا رَأَيْنَا الْعِيرَ وَ لَا رَأَيْنَا إِلَّا الْخَيْلَ وَ السَّلَاحَ وَ الْجَيْشَ فَأَعَادُوا الضَّرْبَ عَلَيْهِمَا مَرَّةً ثَانِيَةً فَقَالَا- وَ هُمَا يَضْرِبَانِ الْعِيرَ أَمَامَكُمْ فَخَلُّوا عَنَّا فَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الصَّلَاةِ وَ قَالَ إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا وَ إِذَا كَذَبَاكُمْ خَلَيْتُمُ عَنْهُمَا دَعُوهُمَا فَمَا رَأَيْتُمَا إِلَّا جَيْشَ أَهْلِ مَكَّةَ

و أنزل قوله تعالى وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقْطَعَ

ص: ٢١٦

١-١) سورة الفتح ١٥.

٢-٢) سورة الحجرات ٤، ٥.

٣-٣) سورة الأنفال ١.

٤-٤) سورة الأنفال ٦.

لِدَابِرِ الْكَافِرِينَ (١) قال المفسرون الطائفتان العير ذات اللطيمه الواصله إلى مكه من الشام صحبه أبى سفيان بن حرب و إليها كان خروج المسلمين و الأخرى الجيش ذو الشوكه و كان ع قد وعدهم بإحدى الطائفتين فكرهوا الحرب و أحبوا الغنيمه.

٢٤٠٦

١٤- قَالَ وَ هُمُ الَّذِينَ فَرُّوا عَنْهُ صَ يَوْمَ أُحُدٍ وَ أَضِلُّمُوهُ وَ أَضِلُّوهُ فِي الْجَبَلِ وَ تَرَكَوهُ حَتَّى شَجَّ الْأَعْيَادُ وَ جَهَّهُ وَ كَسَرُوا نَبِيَّتَهُ وَ ضَرَبُوهُ عَلَى بَيْضَتِهِ حَتَّى دَخَلَ جَمَاجِمَهُ وَ وَقَعَ مِنْ فَرَسِهِ إِلَى الْأَرْضِ بَيْنَ الْقَتْلَى وَ هُوَ يَسْتَضِرُّ بِهَمٍّ وَ يَدْعُوهُمْ فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ جَارِيًا مَجْرَى نَفْسِهِ وَ شَدِيدَ الْإِحْتِصَاصِ بِهِ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِذْ تُضَيِّعِدُونَ وَ لَا تَلُؤُونَ عَلَيَّ أَحَدٌ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ (٢).

أى ينادى فيسمع نداءه آخر الهاريين لا أولهم لأن أولهم أوغلوا في الفرار و بعدوا عن أن يسمعوا صوته و كان قصارى الأمر أن يبلغ صوته و استصراخه من كان على ساقه الهاريين منهم.

٢٤٠٧

١٤- قَالَ وَ مِنْهُمْ الَّذِينَ عَصَوْا أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَيْثُ أَقَامَهُمْ عَلَى الشُّعْبِ فِي الْجَبَلِ وَ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي خَافَ أَنْ تَكْرُرَ عَلَيْهِ مِنْهُ خَيْلُ الْعِدُوِّ مِنْ وَرَائِهِ وَ هُمْ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ فَإِنَّهُمْ خَالَفُوا أَمْرَهُ وَ عَصَوْهُ فِيمَا تَقَدَّمَ بِهِ إِلَيْهِمْ وَ رَغَبُوا فِي الْغَنِيمَةِ فَفَارَقُوا مَرْكَزَهُمْ حَتَّى دَخَلَ الْوَهْنُ عَلَى الْأَسْدِ بِطَرِيقِهِمْ لِأَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَرَّ فِي عَصِيَابِهِ مِنَ الْخَيْلِ فَدَخَلَ مِنَ الشُّعْبِ الَّذِي كَانُوا يَحْرُسُونَهُ فَمَا أَحَسَّ الْمُسْلِمُونَ بِهِمْ إِلَّا وَ قَدْ غَشَوْهُمْ بِالسُّيُوفِ مِنْ خَلْفِهِمْ فَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ . وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى حَتَّى إِذَا فَشَلْتُمْ

ص: ٢١٧

(١-١) سورة الأنفال ٧.

(٢-٢) سورة آل عمران ١٥٣.

وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ (١).

٢٤٠٨

١٤- قَالِ وَهُمُ الَّذِينَ عَصَوْا أَمْرَهُ فِي غَزَاهِ تَبُوكَ بَعِيدًا أَنْ أَكَّدَ عَلَيْهِمُ الْمَوَامِرَ وَخَذَلُوهُ وَتَرَكَوهُ وَلَمْ يَشْخَصُوا مَعَهُ فَأَنْزَلَ فِيهِمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢).

و هذه الآية خطاب مع المؤمنين لا مع المنافقين و فيها أوضح دليل على أن أصحابه و أوليائه المصدقين لدعوته كانوا يعصونه و يخالفون أمره و أكد عتابهم و تقريرهم و توبيخهم بقوله تعالى لو كان عرضاً قريباً و سافراً قاصداً لا تبعوك و لكن بعدت عليهم الشفة و سيخلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم و الله يعلم إنهم لكاذبون (٣).

ثم عاتب رسول الله ص على كونه أذن لهم في التخلف و إنما أذن لهم لعلمه أنهم لا يجيبونه في الخروج فرأى أن يجعل المنه له عليهم في الإذن لهم و إلا قعدوا عنه و لم تصل له المنه فقال له عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا و تعلم الكاذبين (٤) أي هلا أمسكت عن الإذن لهم حتى يتبين لك قعود من يقعد و خروج من يخرج صادقهم من كاذبهم لأنهم كانوا قد وعدوه بالخروج معه كلهم و كان بعضهم ينوى الغدر و بعضهم يعزم على أن يخيس (٥) بذلك الوعد فلو لم يأذن لهم لعلم من يتخلف و من لا يتخلف فعرف الصادق منهم و الكاذب.

ص: ٢١٨

١-١) سورة آل عمران ١٥٢.

٢-٢) سورة التوبة ٣٨، ٣٩.

٣-٣) سورة التوبة ٤٢.

٤-٤) سورة التوبة ٤٣.

٥-٥) يخيس: يغدر.

ثم بين سبحانه و تعالى أن الذين يستأذنونهم في التخلف خارجون من الإيمان فقال له لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ  
الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ  
فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (١).

و لا حاجة إلى التطويل بذكر الآيات المفصلة فيما يناسب هذا المعنى فمن تأمل الكتاب العزيز علم حاله ص مع أصحابه كيف  
كانت و لم ينقله الله تعالى إلى جواره إلا- و هو مع المنافقين له و المظهريين خلاف ما يضمرون من تصديقه في جهاد شديد  
حتى لقد كاشفوه مرارا

٢٤٠٩

١٤- فَقَالَ لَهُمْ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ اخْلِقُوا وَ انْحَرُوا مِرَارًا فَلَمْ يَخْلِقُوا وَ لَمْ يَنْحَرُوا وَ لَمْ يَتَحَرَّكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عِنْدَ قَوْلِهِ .

٢٤١٠

١٤- وَ قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ وَ هُوَ يَقْسِمُ الْغَنَائِمَ اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ .

٢٤١١

١٤- وَ قَالَتِ الْأَنْصَارُ لَهُ مُوَجَّهَةً يَوْمَ حُنَيْنٍ أ تَأْخُذُ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِسُيُوفِنَا فَتَدْفَعُهُ إِلَى أَقَارِبِكَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ .

حتى أفضى الأمر إلى أن

٢٤١٢

١٤- قَالَ لَهُمْ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ اثْنُونِي بِدَوَاهٍ وَ كَتِفٍ أَكْتُبُ لَكُمْ مَا لَا تَصِلُونَ بَعْدَهُ فَعَصَوْهُ وَ لَمْ يَأْتُوهُ بِذَلِكَ .

و لبتهم اقتصروا على عصيانه و لم يقولوا له ما قالوا و هو يسمع.

و كان أبو جعفر رحمه الله يقول من هذا ما يطول شرحه و القليل منه ينبئ عن الكثير و كان يقول إن الإسلام ما حلا عندهم و لا  
ثبت في قلوبهم إلا بعد موته حين فتحت عليهم الفتوح و جاءتهم الغنائم و الأموال و كثرت عليهم المكاسب و ذاقوا طعم الحياه و  
عرفوا لذه الدنيا و لبسوا الناعم و أكلوا الطيب و تمتعوا بنساء الروم و ملكوا خزائن كسرى و تبدلوا بذلك القشف و الشظف و  
العيش الخشن و أكل

ص: ٢١٩

الضباب و القنافذ و اليرابيع و لبس الصوف و الكرايبس (١) و أكل اللوزينجات و الفالوذجات و لبس الحرير و الديباج فاستدلوا بما فتحه الله عليهم و أتاحه لهم على صحه الدعوه و صدق الرساله و قد كان ص وعدهم بأنه سيفتح عليهم كنوز كسرى و قيصر فلما وجدوا الأمر قد وقع بموجب ما قاله عظموه و بجلوه و انقلبت تلك الشكوك و ذاك النفاق و ذلك الاستهزاء إيماناً و يقيناً و إخلاصاً و طاب لهم العيش و تمسكوا بالدين لأنه زادهم طريقاً إلى نيل الدنيا فعظموا ناموسه و بالغوا في إجلاله و إجلال الرسول الذى جاء به ثم انقرض الأسلاف و جاء الأخلاف على عقیده ممهده و أمر أخذوه تقليداً من أسلافهم الذين ربوا في حجورهم ثم انقرض ذلك القرن و جاء من بعدهم كذلك و هلمّ جزاً. قال و لو لا الفتوح و النصر و الظفر الذى منحهم الله تعالى إياه و الدوله التى ساقها إليهم لانقرض دين الإسلام بعد وفاه رسول الله ص و كان يذكر في التواريخ كما تذكر الآن نبوه خالد بن سنان العبسى حيث ظهر و دعا إلى الدين و كان الناس يعجبون من ذلك و يتذكرونه كما يعجبون و يتذكرون أخبار من نبغ من الرؤساء و الملوك و الدعاه الذين انقرض أمرهم و بقيت أخبارهم.

و كان يقول من تأمل حال الرجلين و جدتهما متشابهتين في جميع أمورهما أو في أكثرها و ذلك لأن حرب رسول الله ص مع المشركين كانت سجالات انتصر يوم بدر و انتصر المشركون عليه يوم أحد و كان يوم الخندق كفافاً خرج هو و هم سواء لا عليه و لاله لأنهم قتلوا رئيس الأوس و هو سعد بن معاذ و قتل منهم فارس قريش و هو عمرو بن عبد ود و انصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعه التى كانت ثم حارب بعدها قريشا يوم الفتح فكان الظفر له.

و هكذا كانت حروب على ع انتصر يوم الجمل و خرج الأمر بينه و بين

ص ٢٢٠:

---

(١-١) الكرايبس: جمع كرباس، و هو الثوب من القطن الأبيض.



معاويه على سواء قتل من أصحابه رؤساء و من أصحاب معاويه رؤساء و انصرف كل واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على مكانه ثم حارب بعد صفين أهل النهروان فكان الظفر له.

قال و من العجب أن أول حروب رسول الله ص كانت بدرا و كان هو المنصور فيها و أول حروب على ع الجمل و كان هو المنصور فيها ثم كان من صحيفه الصلح و الحكومه يوم صفين نظير ما كان من صحيفه الصلح و الهدنه يوم الحديبيه ثم دعا معاويه فى آخر أيام على ع إلى نفسه و تسمى بالخلافه كما أن مسيلمه و الأسود العنسى دعوا إلى أنفسهما فى آخر أيام رسول الله ص و تسميا بالنبوه و اشتد على على ع ذلك كما اشتد على رسول الله ص أمر الأسود و مسيلمه و أبطل الله أمرهما بعد وفاه النبى ص و كذلك أبطل أمر معاويه و بنى أميه بعد وفاه على ع و لم يحارب رسول الله ص أحد من العرب إلا قريش ما عدا يوم حنين و لم يحارب عليا ع من العرب أحد إلا قريش ما عدا يوم النهروان و مات على ع شهيدا بالسيف و مات رسول الله ص شهيدا بالسم و هذا لم يتزوج على خديجه أم أولاده حتى ماتت و هذا لم يتزوج على فاطمه أم أشرف أولاده حتى ماتت و مات رسول الله ص عن ثلاث و ستين سنه و مات على ع عن مثلها.

و كان يقول انظروا إلى أخلاقهما و خصائصهما هذا شجاع و هذا شجاع و هذا فصيح و هذا فصيح و هذا سخي جواد و هذا سخي جواد و هذا عالم بالشرائع و الأمور الإلهيه و هذا عالم بالفقه و الشريعه و الأمور الإلهيه الدقيقه الغامضه و هذا زاهد فى الدنيا غير نهم و لا مستكثر منها و هذا زاهد فى الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها و هذا مذيب (١) نفسه فى الصلاه و العباده و هذا مثله و هذا غير محبب إليه شىء من الأمور العاجله

ص: ٢٢١

إلا النساء و هذا مثله و هذا ابن عبد المطلب بن هاشم و هذا فى قعدده (١) و أبواهما أخوان لأب و أم دون غيرهما من بنى عبد المطلب و ربه محمد ص فى حجر والد هذا و هذا أبو طالب فكان جاريا عنده مجرى أحد أولاده ثم لما شب ص و كبر استخلصه من بنى أبى طالب و هو غلام فرباه فى حجره مكافأه لصنيع أبى طالب به فامتزج الخلقان و تماثلت السجيتان و إذا كان القرين مقتديا بالقرين فما ظنك بالتربية و الثقيف الدهر الطويل فواجب أن تكون أخلاق محمد ص كأخلاق أبى طالب و تكون أخلاق على ع كأخلاق أبى طالب أبيه و محمد ع مريبه و أن يكون الكل شيمه واحده و سوسا (٢) واحدا و طينه مشتركه و نفسا غير منقسمه و لا متجزئه و ألا يكون بين بعض هؤلاء و بعض فرق و لا فضل لو لا أن الله تعالى اختص محمدا ص برسالته و اصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البريه فى ذلك و من أن اللطف به أكمل و النفع بمكانه أتم و أعم فامتاز رسول الله ص بذلك عن سواه و بقى ما عدا رساله على أمر الاتحاد و إلى هذا المعنى

٢٤١٣

أشار ص بقوله أَخْصِمُكَ (٣) بِالْبُيُوتِ فَلَا بُيُوتَ بَعْدِي وَ تَخْصِمُ النَّاسَ بِسَبْعِ .

و

٢٤١٤

قَالَ لَهُ أَيْضاً أَنْتَ مَنِى بِمَنْزِلِهِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي .

فأبان نفسه منه بالنبوه و أثبت له ما عداها من جميع الفضائل و الخصائص مشتركا بينهما.

و كان الثقب أبو جعفر رحمه الله غزير العلم صحيح العقل منصفا فى الجدل غير متعصب للمذهب و إن كان علويا و كان يعترف بفضائل الصحابه و يثنى على الشيخين .

و يقول إنهما مهذا دين الإسلام و أرسيا قواعده و لقد كان شديد الاضطراب فى حياه رسول الله ص و إنما مهدها بما تيسر للعرب من الفتوح و الغنائم فى دولتهما.

و كان يقول فى عثمان إن الدوله فى أيامه كانت على إقبالها و علو جدها بل كانت الفتوح فى أيامه أكثر و الغنائم أعظم لو لا أنه لم يراع ناموس الشيخين و لم يستطع أن يسلك

ص: ٢٢٢

١-١ (١) القعدد: القريب الآباء من الجد الأعلى.

٢-٢ (٢) أى أصلا واحدا.

٣-٣ (٣) أخصمك: أغلبك.

مسلكهما و كان مضعفا فى أصل القاعده مغلوبا عليه و كثير الحب لأهله و أتيح له من مروان وزير سوء أفسد القلوب عليه و حمل الناس على خلعه و قتله

### كلام أبى جعفر الحسنى فى الأسباب التى أوجبت محبه الناس لعلى

و كان أبو جعفر رحمه الله لا يجحد الفاضل فضله و الحديث شجون.

قلت له مره ما سبب حبّ الناس لعلى بن أبى طالب ع و عشقهم له و تهالكهم فى هواه و دعنى فى الجواب من حديث الشجاعه و العلم و الفصاحه و غير ذلك من الخصائص التى رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها.

فضحك و قال لى كم تجمع جراميزك على.

ثمّ قال هاهنا مقدّمه ينبغى أن تعلم و هى أن أكثر الناس موتورون من الدنيا أما المستحقون فلا ريب فى أن أكثرهم محرومون نحو عالم يرى أنّه لا حظ له فى الدنيا و يرى جاهلا غيره مرزوقا و موسعا عليه و شجاع قد أبلى فى الحرب و انتفع بموضعه ليس له عطاء يكفيه و يقوم بضروراته و يرى غيره و هو جبان فشل يفرق من ظله مالكا لقطر عظيم من الدنيا و قطعه وافر من المال و الرزق و عاقل سديد التدبير صحيح العقل قد قدر (1) عليه رزقه و هو يرى غيره أحقق مائقا تدر عليه الخيرات و تتحلب عليه أخلاف الرزق و ذى دين قويم و عباده حسنه و إخلاص و توحيد و هو محروم ضيق الرزق و يرى غيره يهوديا أو نصرانيا أو زنديقا كثير المال حسن الحال حتّى إن هذه الطبقات المستحقه يحتاجون فى أكثر الوقت إلى الطبقات التى لا استحقاق

ص: ٢٢٣

(١-١) قدر عليه رزقه: ضيق.

لها و تدعوهم الضروره إلى الذل لهم و الخضوع بين أيديهم إنا لدفع ضرر أو لاستجلاب نفع و دون هذه الطبقات من ذوى الاستحقاق أيضا ما نشاهده عيانا من نجار حاذق أو بناء عالم أو نقاش بارع أو مصور لطيف على غايه ما يكون من ضيق رزقهم و قعود الوقت بهم و قله الحيله لهم و يرى غيرهم ممن ليس يجرى مجراهم و لا- يلحق طبقتهم مرزوقا مرغوبا فيه كثير المكسب طيب العيش واسع الرزق فهذا حال ذوى الاستحقاق و الاستعداد و أما الذين ليسوا من أهل الفضائل كحشو العامه فإنهم أيضا لا يخلون من الحقد على الدنيا و الذم لها و الحنق و الغيظ منها لما يلحقهم من حسد أمثالهم و جيرانهم و لا يرى أحد منهم قانعا بعيشه و لا راضيا بحاله بل يستزيد و يطلب حالا فوق حاله.

قال فإذا عرفت هذه المقدمه فمعلوم أن عليا ع كان مستحقا محروما بل هو أمير المستحقين المحرومين و سيدهم و كبيرهم و معلوم أن الذين ينالهم الضيم و تلحقهم المذله و الهضمه يتعصب بعضهم لبعض و يكونون إلبا و يدا واحده على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا و نالوا مآربهم منها لاشتراكهم فى الأمر الذى آلمهم و ساءهم و عضهم و مضهم و اشتراكهم فى الأنفه و الحميه و الغضب و المنافسه لمن علا- عليهم و قهرهم و بلغ من الدنيا ما لم يبلغوه فإذا كان هؤلاء أعنى المحرومين متساوين فى المنزله و المرتبه و تعصب بعضهم لبعض فما ظنك بما إذا كان منهم رجل عظيم القدر جليل الخطر كامل الشرف جامع للفضائل محتو على الخصائص و المناقب و هو مع ذلك محروم محدود و قد جرعتة الدنيا علاقمها و علتة علا بعد نهل من صابها و صبرها و لقى منها برحا بارحا و جهدا جهيدا و علا عليه من هو دونه و حكم فيه و فى بنيه و أهله و رهطه من لم يكن ما ناله من الإمرة و السلطان فى حسابه و لا دائرا فى خلدته و لا خاطرا بباله و لا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له و لا يراه له ثم كان فى آخر الأمر أن قتل هذا الرجل الجليل فى

محرابه و قتل بنوه بعده و سبى حريمه و نساؤه و تتبع أهله و بنو عمه بالقتل و الطرد و التشريد و السجن مع فضلهم و زهدهم و عبادتهم و سخائهم و انتفاع الخلق بهم فهل يمكن ألا يتعصب البشر كلهم مع هذا الشخص و هل تستطيع القلوب ألا تحبه و تهواه و تذوب فيه و تفنى فى عشقه انتصارا له و حميه من أجله و أنفه ممّا ناله و امتعاضا ممّا جرى عليه و هذا أمر مركوز فى الطبائع و مخلوق فى الغرائز كما يشاهد الناس على الجرف إنسانا قد وقع فى الماء العميق و هو لا يحسن السباحه فإنهم بالطبع البشرى يرقون عليه رقه شديده و قد يلقي قوم منهم أنفسهم فى الماء نحوه يطلبون تخليصه لا- يتوقعون على ذلك مجازاه منه بمال أو شكر و لا ثوبا فى الآخره فقد يكون منهم من لا يعتقد أمر الآخره و لكنها رقه بشريه و كان الواحد منهم يتخيل فى نفسه أنه ذلك الغريق فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذا الغريق كذلك يطلب تخليص من هو فى تلك الحال الصعبه للمشاركة الجنسيه و كذلك لو أن ملكا ظلم أهل بلد من بلاده ظلما عنيفا لكان أهل ذلك البلد يتعصب بعضهم لبعض فى الانتصار من ذلك الملك و الاستعداد عليه فلو كان من جملتهم رجل عظيم القدر جليل الشأن قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه إياهم و أخذ أمواله و ضياعه و قتل أولاده و أهله كان لياذهم به و انضواؤهم إليه و اجتماعهم و التفافهم به أعظم و أعظم لأن الطبيعه البشريه تدعو إلى ذلك على سبيل الإيجاب الاضطرارى و لا يستطيع الإنسان منه امتناعا.

و هذا محصول قول النقيب أبى جعفر رحمه الله قد حكيتة و الألفاظ لى و المعنى له لآتى لا أحفظ الآن ألفاظه بعينها إلا أن هذا هو كان معنى قوله و فحواه رحمه الله و كان لا يعتقد فى الصحابه ما يعتقدة أكثر الإماميه فيهم و يسفه رأى من يذهب فيهم إلى النفاق و التكفير و كان يقول حكمهم حكم مسلم مؤمن عصى فى بعض الأفعال و خالف الأمر فحكمه إلى الله إن شاء آخذه و إن شاء غفر له.

قلت له مره أفتقول أنهما من أهل الجنة فقال إى و الله أعتقد ذلك لأنهما إما أن يعفو الله تعالى عنهما ابتداء أو بشفاعه الرسول ص أو بشفاعه على ع أو يؤاخذهما بعقاب أو عتاب ثم ينقلهما إلى الجنة لا أستريب فى ذلك أصلا و لا أشك فى إيمانهما برسول الله ص و صحه عقيدتهما.

فقلت له فعثمان قال و كذلك عثمان ثم قال رحم الله عثمان و هل كان إلا واحدا منا و غصنا من شجره عبد مناف و لكن أهله كدروه علينا و أوقعوا العداوه و البغضاء بينه و بيننا.

قلت له فيلزمك (١) على ما تراه فى أمر هؤلاء أن تجوز دخول معاويه الجنة لأنه لم تكن منه إلا المخالفه و ترك امتثال أمر النبوى.

فقال كلا إن معاويه من أهل النار لا لمخالفته عليا و لا بمحاربه إياه و لكن عقيدته لم تكن صحيحه و لا إيمانه حقا و كان من رءوس المنافقين هو و أبوه و لم يسلم قلبه قط و إنما أسلم لسانه و كان يذكر من حديث معاويه و من فلتات قوله و ما حفظ عنه من كلام يقتضى فساد العقيدته شيئا كثيرا ليس هذا موضعه فأذكره.

و قال لى مره حاش لله أن يثبت معاويه فى جريده الشيخين الفاضلين أبى بكر و عمر و الله ما هما إلا كالذهب الإبريز و لا معاويه إلا كالدرهم الزائف أو قال كالدرهم القسى (٢) ثم قال لى فما يقول أصحابكم فيهما قلت أما الذى استقر عليه رأى المعتزله بعد اختلاف كثير بين قدمائهم فى التفضيل و غيره أن عليا أفضل الجماعه و أنهم تركوا الأفضل لمصلحه رأوها و أنه لم يكن هناك نص يقطع العذر و إنما كانت إشاره و إيماء لا يتضمن شىء منها صريح النص و إن عليا نازع ثم بايع

ص: ٢٢٤

١-١) ب: «فيلزم لك».

٢-٢) درهم قسى، و تخفف سينه، أى ردىء.

و جمع ثم استجاب و لو أقام على الامتناع لم نقل بصحة البيعه و لا بلزومها و لو جرد السيف كما جرده في آخر الأمر لقلنا بفسق كل من خالفه على الإطلاق كائنا من كان و لكنه رضى بالبيعه أخيرا و دخل في الطاعة.

و بالجمله أصحابنا يقولون إن الأمر كان له و كان هو المستحق و المتعين فإن شاء أخذه لنفسه و إن شاء ولاه غيره فلما رأيناه قد وافق على ولايه غيره اتبعناه و رضينا بما رضى فقال قد بقى بينى و بينكم قليل أنا أذهب إلى النصّ و أنتم لا تذهبون إليه.

فقلت له إنّه لم يثبت النصّ عندنا بطريق يوجب العلم و ما تذكرونه أنتم صريحا فأنتم تنفردون بنقله و ما عدا ذلك من الأخبار التي نشاركم فيها فلها تأويلات معلومه.

فقال لى و هو ضجر يا فلان لو فتحنا باب التأويلات لجاز أن يتناول قولنا لا إله إلا الله محمد رسول الله دعنى من التأويلات الباردة التي تعلم القلوب و النفوس أنّها غير مراده و أن المتكلمين تكلفوها و تعسفوها فإنما أنا و أنت في الدار و لا ثالث لنا فيستحيى أحدنا من صاحبه أو يخافه.

فلما بلغنا إلى هذا الموضوع دخل قوم ممن كان يخشاه فتركنا ذلك الأسلوب من الحديث و خضنا في غيره

### **سياسه على و معاويه و إيراد كلام للجاحظ في ذلك**

فأما القول في سياسه معاويه و أن شأنه على ع و مبغضيه زعموا أنّها خير من سياسه أمير المؤمنين فيكفينا في الكلام على ذلك ما قاله شيخنا أبو عثمان و نحن نحكيه بألفاظه.

قال أبو عثمان و ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل و التحصيل و الفهم و التمييز و هو من العاّمه و يظن أنه من الخاصّه يزعم أن معاويه كان أبعد غورا و أصح فكرا و أجود رويه و أبعد غايه و أدق مسلكا و ليس الأمر كذلك و سأرمي إليك بجمله تعرف بها موضع غلظه و المكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله.

كان على ع لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب و السنه و كان معاويه يستعمل خلاف الكتاب و السنه كما يستعمل الكتاب و السنه و يستعمل جميع المكاييد حلالها و حرامها و يسير في الحرب بسيره ملك الهند إذا لاقى كسرى و خاقان إذا لاقى رتبيل (١)

٢٤١٥

وَ عَلِيٌّ ع يَقُولُ

لَا تَبْدَءْهُمْ بِالْقِتَالِ حَتَّى يَبْدَءْكُمْ وَ لَا تَتَّبِعُوا مُدْبِرًا وَ لَا تُجْهَرُوا عَلَى جَرِيحٍ وَ لَا تَفْتَحُوا بَابًا مُغْلَقًا .

هذه سيرته في ذى الكلاع و في أبي الأعور السلمى و في عمرو بن العاص و حبيب بن مسلمه و في جميع الرؤساء كسيرته في الحاشيه و الحشو و الأتباع و السفله و أصحاب الحروب إن قدروا على البيات بيتوا و إن قدروا على رضخ الجميع بالجنديل و هم نيام فعلوا و إن أمكن ذلك في طرفه عين لم يؤخروه إلى ساعه و إن كان الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق و لم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق و إن أمكن الهدم لم يتكلفوا الحصار و لم يدعوا أن ينصبوا المجانيق (٢) و العرادات (٣) و النقب و التسريب و الدبابات (٤) و الكمين (٥) و لم يدعوا دس السموم و لا التضريب بين الناس بالكذب و طرح

ص: ٢٢٨

(١-١) رتبيل: صاحب الترك.

(٢-٢) المنجنيق: آله ترمى بها الحجاره.

(٣-٣) العرادات: جمع عراده؛ و هى من آلات الحرب؛ ترمى بالحجاره المرمى البعيد، إلا أنها أصغر من المنجنيق.

(٤-٤) الدبابه: آله تتخذ في الحصار، يدخل في جوفها الرجال ثم تدفع في أصل الحصن؛ فينقبونه و هم في جوفها؛ و جمعها دبابات.

(٥-٥) الكمين: القوم يكمنون في الحرب حيله؛ و هو أن يستخفوا في مكمن؛ بحيث لا يفتن لهم ثم ينتهزوا غره العدو فينقضوا عليهم.



الكتب فى عساكرهم بالسعائيات و توهيم الأمور و إيحاش بعض من بعض و قتلهم بكل آله و حيله كيف وقع القتل و كيف دارت بهم الحال فمن اقتصر حفظك الله من التدبير على ما فى الكتاب و السنه كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير و ما لا- يتناهى من المكاييد و الكذب حفظك الله أكثر من الصدق و الحرام أكثر عددا من الحلال و لو سمي إنسانا باسمه لكان قد صدق و ليس له اسم غيره و لو قال هو شيطان أو كلب أو حمار أو شاه أو بعير أو كل ما خطر على البال لكان كاذبا فى ذلك و كذلك الإيمان و الكفر و كذلك الطاعة و المعصية و كذلك الحق و الباطل و كذلك السقم و الصحة و كذلك الخطأ و الصواب فعلى ع كان ملجما بالورع عن جميع القول إلا ما هو لله عزّ و جلّ رضا و ممنوع اليدين من كل بطش إلا ما هو لله رضا و لا- يرى الرضا إلا فيما يرضاه الله و يحبه و لا يرى الرضا إلا فيما دل عليه الكتاب و السنه دون ما يعول عليه أصحاب الدهاء و النكراء (١) و المكاييد و الآراء فلما أبصرت العوام كثره نواذر معاويه فى المكاييد و كثره غرائبه فى الخداع و ما اتفق له و تهيأ على يده و لم يرو ذلك من على ع ظنوا بقصر عقولهم و قله علومهم أن ذاك من رجحان عند معاويه و نقصان عند على ع فانظر بعد هذا كله هل يعد له من الخدع إلا رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها إلا من عصى رأى على ع و خالف أمره.

فإن زعمت أنه قال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت و ليس فى هذا اختلافنا و لا- عن غراره أصحاب على ع و عجلتهم و تسرعهم و تنازعهم دفعنا و إنما كان قولنا فى التميز بينهما فى الدهاء و النكراء و صحه العقل و الرأى و البزلاء (٢) على أنا لا نصف الصالحين

ص: ٢٢٩

١- (١) النكراء: الدهاء و الفطنة.

٢- (٢) يقال: خطه بزلاء، أى تفصل بين الحق و الباطل.

بالدهاء و النكراء لا نقول ما كان أنكر أبا بكر بن أبي قحافه و ما كان أنكر عمر بن الخطاب و لا يقول أحد عنده شيء من الخير كان رسول الله ص أدهى العرب و العجم و أنكر قريش و أمكر كنانه لأن هذه الكلمه إنما وضعت في مديح أصحاب الأرب و من يتعمق في الرأى في توكيد الدنيا و زبرجها و تشديد أركانها فأما أصحاب الآخره الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر و إنما يصلحون على تدبير خالق البشر فإن هؤلاء لا يمدحون بالدهاء و النكراء و لم يمنعوا هذا إلا ليعطوا أفضل منه أ لا ترى أن المغيره بن شعبه و كان أحد الدهاه حين ردّ على عمرو بن العاص قوله في عمر بن الخطاب و عمرو بن العاص أحد الدهاه أيضا أنت كنت تفعل أو توهم عمر شيئا فيلقنه عنك ما رأيت عمر مستخليا بأحد إلا رحمته كائنا من كان ذلك الرجل كان عمر و الله أعقل من أن يخدع و أفضل من أن يخدع و لم يذكره بالدهاء و النكراء هذا مع عجبه بإضافه الناس ذلك إليه و لكنه قد علم أنه إذا أطلق على الأئمه الألفاظ التى لا تصلح فى أهل الطهاره كان ذلك غير مقبول منه فهذا هذا.

و كذلك كان حكم قول معاويه للجميع أخرجوا إلينا قتله عثمان و نحن لكم سلم فاجهد كل جهدك و استعن بمن شايحك إلى أن تتخلص إلى صواب رأى فى ذلك الوقت أضله على حتى تعلم أن معاويه خادع و أن عليا ع كان المخدوع.

فإن قلت فقد بلغ ما أراد و نال ما أحب فهل رأيت كتابنا وضع إلا على أن عليا كان قد امتحن فى أصحابه و فى دهره بما لم يمتحن إمام قبله من الاختلاف و المنازعه و التشاح من الرئاسه و التسرع و العجله و هل أتى ع إلا من هذا المكان أ و لسنا قد فرغنا من هذا الأمر و قد علمنا أن ثلاثه نفر تواطئوا على قتل ثلاثه نفر فانفرد ابن ملجم

بالتماس ذلك من على ع و انفرد البرك الصريمى بالتماس ذلك من عمرو بن العاص و انفرد الآخر و هو عمرو بن بكر التميمى بالتماس ذلك من معاويه فكان من الاتفاق أو من الامتحان أن كان على من بينهم هو المقتول.

و فى قياس مذهبكم أن تزعموا أن سلامه عمرو و معاويه إتما كانت بحزم منهما و أن قتل على ع إنما هو من تضييع منه فإذا قد تبين لكم أنه من الابتلاء و الامتحان فى نفسه بخلاف الذى قد شاهدتموه فى عدوه فكل شىء سوى ذلك فإنما هو تبع للنفس.

هذا آخر كلام أبى عثمان فى هذا الموضوع و من تأمله بعين الإنصاف و لم يتبع الهوى علم صحه جميع ما ذكره و أن أمير المؤمنين دفع من اختلاف أصحابه و سوء طاعتهم له و لزومه سنن الشريعة و منهج العدل و خروج معاويه و عمرو بن العاص عن قاعده الشرع فى استماله الناس إليهم بالرغبه و الرهبه إلى ما لم يدفع إليه غيره فلو لا أنه ع كان عارفاً بوجوه السياسه و تدبير أمر السلطان و الخلافه حاذقا فى ذلك لم يجتمع عليه إلا القليل من الناس و هم أهل الآخره خاصه الذين لا ميل لهم إلى الدنيا فلما وجدناه دبر الأمر حين وليه و اجتمع عليه من العساكر و الأتباع ما يتجاوز العد و الحصر و قاتل بهم أعداءه الذين حالهم حالهم فظفر فى أكثر حروبه و وقف الأمر بينه و بين معاويه على سواء و كان هو الأظهر و الأقرب إلى الانتصار علمنا أنه من معرفه تدبير الدول و السلطان بمكان مكين

و قد تعلق من طعن في سياسته بأمر منها قولهم لو كان حين بويح له بالخلافه في المدينه أقر معاويه على الشام إلى أن يستقر الأمر له و يتوطد و يبايعه معاويه و أهل الشام ثم يعزله بعد ذلك لكان قد كفى ما جرى بينهما من الحرب.

و الجواب أن قرائن الأحوال حينئذ قد كان علم أمير المؤمنين ع منها أن معاويه لا يبايع له و إن أقره على ولايه الشام بل كان إقراره له على أمره الشام أقوى لحال معاويه و أكد في الامتناع من البيعه لأنه لا يخلو صاحب السؤال إما أن يقول كان ينبغي أن يطالبه بالبيعه و يقرن إلى ذلك تقليده بالشام فيكون الأمران معا أو يتقدم منه ع المطالبه بالبيعه أو يتقدم منه إقراره على الشام و تتأخر المطالبه بالبيعه إلى وقت ثان فإن كان الأول فمن الممكن أن يقرأ معاويه على أهل الشام تقليده بالإمره فيؤكد حاله عندهم و يقرر في أنفسهم لو لا- أنه أهل لذلك لما اعتمده على ع معه ثم يماطله بالبيعه و يحاجزه عنها و إن كان الثاني فهو الذي فعله أمير المؤمنين ع و إن كان الثالث فهو كالقسم الأول بل هو أكد فيما يريده معاويه من الخلاف و العصيان و كيف يتوهم من يعرف السير أن معاويه كان يبايع له لو أقره على الشام و بينه و بينه ما لا تبرك الإبل عليه من الترات القديمه و الأحقاد و هو الذي قتل حنظله أخاه و الوليد خاله و عتبه جده في مقام واحد ثم ما جرى بينهما في أيام عثمان حتى أغلظ كل واحد منهما لصاحبه و حتى تهدده معاويه و قال له إنني شاخص إلى الشام و تارك عندك هذا الشيخ يعني عثمان و الله لئن

انحصت (١) منه شعره واحده لأضربنك بمائه ألف سيف و قد ذكرنا شيئاً مما جرى بينهما فيما تقدم.

و أمّا قول ابن عيّاس له ع وله شهرا و اعزله دهرا و ما أشار به المغيرة بن شعبه فإنهما ما توهماه و ما غلب على ظنونهما و خطر بقلوبهما و على ع كان أعلم بحاله مع معاوية و أنّها لا تقبل العلاج و التدبير و كيف يخطر ببال عارف بحال معاوية و نكره و دهائه و ما كان في نفسه من على ع من قتل عثمان و من قبل قتل عثمان أنه يقبل إقرار على ع له على الشام و ينخدع بذلك و يبايع و يعطى صفقه (٢) يمينه إن معاوية لأدهى من أن يكاد بذلك و إن عليا ع لأعرف بمعاوية ممن ظنّ أنّه لو استماله بإقراره لبايع له و لم يكن عند على ع دواء لهذا المرض إلاّ السيف لأنّ الحال إليه كانت تتول لا محاله فجعل الآخر أولا.

و أنا أذكر في هذا الموضوع خبرا رواه الزبير بن بكار في الموفقيات ليعلم من يقف عليه أن معاوية لم يكن لينجذب إلى طاعه على ع أبدا و لا- يعطيه البيعه و أن مضادته له و مبايئته إياه كمضاده السواد للبياض لا يجتمعان أبدا و كمباينه السلب للإيجاب فإنها مباينه لا يمكن زوالها أصلا

٢٤١٦

١- قَالَ الزُّبَيْرُ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا بْنُ بَشِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ أَبِي اللَّيْثِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى الْمَكِّيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَدِّهِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ عَنْ قَيْسِ بْنِ عَرْفَجَةَ قَالَ لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ أَبْرَدَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ بِخَبْرِهِ بَرِيدَيْنِ أَحَدَهُمَا إِلَى الشَّامِ وَ الْآخَرَ إِلَى الْيَمَنِ وَ بِهَا يَوْمَئِذٍ يَغْلَى بْنُ مُئِيَّةَ وَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كِتَابٌ فِيهِ أَنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ فِي النَّاسِ كَالشَّامِ

ص: ٢٣٣

(١-١) انحص الشعر: انجرد و تناثر.

(٢-٢) الصفقه هنا: المبايعه.

الْحَمْرَاءِ وَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ قَعَدُوا لَهُمْ بِرَأْسِ كُلِّ مَحَجَّةٍ وَ عَلَى كُلِّ طَرِيقٍ فَجَعَلُوهُمْ مَرْمَى الْعُرِّ وَ الْعَضَةِ بِهِ (١) وَ مَقْدَفَ الْقَسْبِ (٢) وَ  
الْمَأْفِيكِهِ وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا لَمْ تَأْتِ عُثْمَانَ إِلَّا كَرْهًا تَجْبِهُدُ مِنْ وَرَائِهَا وَ إِنِّي خَائِفٌ إِنْ قُتِلَ أَنْ تَكُونَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بِمَنَاطِ الثَّرِيَّا إِنْ لَمْ  
نَصِرْ: كَرَصَةِ يَفِ الْأَسَاسِ الْمُحَكَّمِ وَ لَيْزٌ وَهِيَ عَمُودُ الْبَيْتِ لَتَتِدَاعَيْنِ جُدْرَانُهُ وَ الَّذِي عَيْبَ عَلَيْهِ إِطْعَامُكُمَا الشَّامَ وَ الْيَمْنَ وَ لَا شَكَّ  
أَنَّكُمْ تَابِعَاهُ إِنْ لَمْ تَحْذَرَا وَ أَمَا أَنَا فَمُسَاعِفٌ كُلُّ مُسْتَشِيرٍ وَ مُعِينٌ كُلُّ مُسْتَصْرِخٍ وَ مُجِيبٌ كُلُّ دَاعٍ أَتَوَقَّعُ الْفُرْصَةَ فَآثِبٌ وَ ثَبَهُ الْفَهْدِ  
أُبْصِرُ غَفْلَهُ مُقْتَنِصَهُ وَ لَوْ لَا مَخَافَهُ عَطَبَ الْبَرِيدِ وَ ضِيَاعَ الْكُتُبِ لَشَرَحْتُ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا تَفْرَعَانِ مَعَهُ إِلَى أَنْ يَحْدُثَ الْأَمْرُ فَجِدًّا  
فِي طَلَبِ مَا أَنْتَمَا وَلِيَاهُ وَ عَلَى ذَلِكَ فَلْيَكُنِ الْعَمَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ كَتَبَ فِي آخِرِهِ وَ مَا بَلَغَتْ عُثْمَانَ حَتَّى تَخْطَمَتْ

فَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَدَّنَ فِي النَّاسِ الصَّلَاةَ جَامِعَةً ثُمَّ خَطَبَهُمُ خُطْبَةً الْمُسْتَنْصِرِ الْمُسْتَصْرِخِ.

وَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَرَدَ عَلَيْهِ قَبِيلٌ أَنْ يَكْتُبَ الْجَوَابَ كِتَابُ مَرْوَانَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ وَ كَانَتْ نُسَيْخَتُهُ وَهَبَ اللَّهُ لَكَ أَبَا عَبِيدٍ الرَّحْمَنِ قُوَّةَ  
الْعَزْمِ وَ صَلَاحَ النَّيِّهِ وَ مَنْ عَلَيْكَ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَ اتِّبَاعِهِ فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

ص: ٢٣٤

(١ - ١) العضية: الإفك و البهتان.

(٢ - ٢) القشب من الكلام: الفرى، و عن ابن الأعرابي: القاشب: الذى يعيب الناس بما فيه.

وَأَيُّ قِتْلَةٍ قُتِلَ نِحْرٌ كَمَا يُنْحَرُ الْبَعِيرُ الْكَبِيرُ عِنْدَ الْيَأْسِ مِنْ أَنْ يُنَوَّءَ بِالْحَمْلِ بَعْدَ أَنْ نُقِبَتْ صَيْفُحَتُهُ بِطَيِّ الْمَرَا حِلِّ وَ سَيْرِ الْهَجِيرِ وَ إِنِّي مُعْلِمُكَ مِنْ خَبْرِهِ غَيْرُ مُقْصِرٍ وَ لَا مُطِيلٍ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَيْطَلُوا مُدَّتَهُ وَ اسْتَيْقَلُوا نَاصِرَتَهُ وَ اسْتَضَعْفُوهُ فِي بَدَنِهِ وَ أَمَلُوا بِقِتْلِهِ بِسَطِّ أَيْدِيهِمْ فِيمَا كَانَ قَبْضَهُ عَنْهُمْ وَ اعْصَوْصِي بِنَا (١) عَلَيْهِ فَظَلَّ مُحَاصِرًا قَدْ مُنِعَ مِنْ صِيَالِهِ الْجَمَاعَةَ وَ رَدَّ الْمَظَالِمَ وَ النَّظَرَ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ حَتَّى كَانَتْهُ هُوَ فَاعْتَلَّ لِمَا فَعَلُوهُ فَلَمَّا دَامَ ذَلِكَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَخَوَّفَهُمُ اللَّهُ وَ نَاشَدَهُمْ وَ ذَكَرَهُمْ مَوَاعِيدَ رَسُولِ اللَّهِ ص لَهُ وَ قَوْلَهُ فِيهِ فَلَمْ يَجْحَدُوا فَضْلَهُ وَ لَمْ يُنْكِرُوهُ ثُمَّ رَمَوْهُ بِأَبَاطِيلٍ اخْتَلَقُوهَا لِيَجْعَلُوا ذَلِكَ ذَرِيَعَةً إِلَى قِتْلِهِ فَوَعَدَهُمُ التَّوْبَةَ مِمَّا كَرِهُوا وَ وَعَدَهُمُ الرَّجْعَةَ إِلَى مَا أَحَبُّوا فَلَمْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ وَ نَهَبُوا دَارَهُ وَ انْتَهَكُوا حُرْمَتَهُ وَ شَبَّوْا عَلَيْهِ فَسَفَكُوا دَمَهُ وَ انْقَشَعُوا عَنْهُ انْقِشَاعَ سَحَابِهِ قَدْ أَفْرَعَتْ مَاءَهَا مُنْكَفِيئِينَ قَبْلَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْكَفَاءَ الْجَرَادِ إِذَا أَبْصَرَ الرَّمْعَى فَأَخْلَقَ بَيْنِي أُمَّيَّةً أَنْ يَكُونُوا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِمَجْرَى الْعَيْوُقِ إِنْ لَمْ يَنَارَهُ تَائِرٌ فَإِنْ شِئْتَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ تَكُونَهُ فَكُنْهُ وَ السَّلَامُ.

فَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَمَرَ بِجَمْعِ النَّاسِ ثُمَّ خَطَبَهُمْ خُطْبَةً أَبْكَى مِنْهَا الْعُيُونَ وَ قَلَقَلِ الْقُلُوبَ حَتَّى عَلَتِ الرَّئَةُ وَ ارْتَفَعَ الصَّجِيحُ وَ هَمَّ النِّسَاءُ أَنْ يَتَسَلَّلْنَ ثُمَّ كَتَبَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَرِيزٍ وَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَ يَعْلَى بْنِ مُتِيَةَ وَ هُوَ اسْمُ أُمِّهِ وَ إِنَّمَا اسْمُ أَبِيهِ أُمَّيَّةً. فَكَانَ كِتَابُ طَلْحَةَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ أَقْلُ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشٍ وَ تَرَأَى مَعَ صِيَابِحِهِ وَ جِهَكَ وَ سَمَاحِهِ كَفِّكَ وَ فَصَاحِهِ لِسَانِكَ فَأَنْتَ يَا زَاءٍ مَنْ تَقَدَّمَكَ فِي السَّابِقَةِ وَ خَامِسُ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ وَ لَكَ يَوْمَ أُحُدٍ وَ شَرَفُهُ وَ فَضْلُهُ فَسَارِعْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى مَا تَقَلَّدَكَ الرَّعِيَّةُ مِنْ أَمْرٍهَا مِمَّا لَا يَسْعُكَ التَّخْلُفُ عَنْهُ وَ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكَ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِهِ فَقَدْ أَحْكَمْتُ لَكَ الْأَمْرَ

ص: ٢٣٥

قَبْلِي وَ الزُّبَيْرُ فَغَيْرُ مُتَقَدِّمٍ عَلَيْكَ بِفَضْلِ وَ أَيْكَمًا قَدَّمَ صَاحِبُهُ فَالْمُقَدِّمُ الْإِمَامُ وَ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ لِلْمُقَدِّمِ لَهُ سَيْلَكَ اللَّهُ بِكَ قَضِيْدَ الْمُهْتَدِينَ وَ وَهَبَ لَكَ رُشْدَ الْمُؤَفِّقِينَ وَ السَّلَامُ.

وَ كَتَبَ إِلَى الزُّبَيْرِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ أَبِي خَدِيجَةَ وَ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ حَوَارِيُّهُ وَ سَيْلُهُ وَ صِهْرُ أَبِي بَكْرٍ وَ فَارِسُ الْمُسْلِمِينَ وَ أَنْتَ الْبِإِذْلُ فِي اللَّهِ مُهَجَّتَهُ بِمَكَهَ عِنْدَ صِيْحَةِ الشَّيْطَانِ بَعَثَكَ الْمُتَّبِعُ فَخَرَجْتَ كَالثُّعْبَانِ الْمُسَيْلِخِ بِالسَّيْفِ الْمُنْصَلِتِ تَخْبِطُ حَبْطَ الْجَمَلِ الرَّدِيعِ (١) كُلُّ ذِيكَ قُوَّةُ إِيْمَانٍ وَ صِدْقُ يَقِينٍ وَ سَبَقَتْ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص الْبِشَارَةُ بِالْجَنَّةِ وَ جَعَلَكَ عُمَرُ أَحَدَ الْمُسْتَحْلِفِينَ عَلَى الْأُمَّةِ وَ اعْلَمْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ الرَّعِيَّةَ أَصْبَحَتْ كَالْعَنَمِ الْمُتَفَرِّقَةِ لِغَيْبِهِ الرَّاعِي فَسَارِعَ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى حَقْنِ الدَّمَاءِ وَ لَمْ الشَّعْثِ وَ جَمَعَ الْكَلِمَةَ وَ صِيْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ قَبْلَ تَفَاقُمِ الْأَمْرِ وَ انْتِشَارِ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَصِيْبَحَ النَّاسُ عَلَيَّ شِفَا جُرُفٍ هَارٍ عَمَّا قَلِيلٍ يَنْهَارُ إِنْ لَمْ يَزَأْبَ فَشَمْرُ لِنَأْلِيْفِ الْأُمَّةِ وَ ابْتِغَى إِلَى رَبِّكَ سَبِيلًا فَقَدْ أَحْكَمْتَ الْأَمْرَ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِي لَكَ وَ لِصَاحِبِكَ عَلَيَّ أَنَّ الْأَمْرَ لِلْمُقَدِّمِ ثُمَّ لِصَاحِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ أَيْمَةِ الْهُدَى وَ بَعَاهِ الْخَيْرِ وَ التَّقْوَى وَ السَّلَامُ.

وَ كَتَبَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَمِيًّا بَعْدُ فَقَدْ وَصِيْلَ إِلَى كِتَابِيكَ بِشَرْحِ خَبَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مِيَا رَكْبُوهُ بِهِ وَ نَالُوهُ مِنْهُ جَهْلًا بِاللَّهِ وَ جُزْأَهُ عَلَيْهِ وَ اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِ وَ لِأَمَانِي لَوْحِ الشَّيْطَانِ بِهَا فِي شَرِكِ الْبَاطِلِ لِيُدْهِدِيْهِمْ (٢) فِي أَهْوِيَاتِ الْفِتَنِ وَ وَهِيْدَاتِ الضَّلَالِ وَ لَعَمْرِي لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّهُ وَ لَقَدْ اقْتَنَصَهُمْ بِأَنْشُوْطِهِ فَخَّهِ فَعَلَى رَسْلِكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يُمَشِي الْهُوِيْنِي وَ يَكُوْنُ أَوْلَا فَاِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَكُنْ كَالْفَهْدِ لَا يَضْطَاذُ إِلَّا غِيْلَهُ وَ لَا يَتَشَاوَرُ (٣) إِلَّا عَنِ حِيْلِهِ

ص: ٢٣٦

١- (١) الرديع، أي المردوع؛ من ردعه؛ إذا كفه.

٢- (٢) أي «ليرد بهم».

٣- (٣) تشارر: نظر بمؤخر العين.



وَكَالْتَّغَلْبِ لَا يُفْلِتُ إِلَّا رَوْعَانًا وَ أَخْفِ نَفْسَكَ مِنْهُمْ إِخْفَاءَ الْقُنْفُذِ رَأْسَهُ عِنْدَ لَمْسِ الْأَكْفِ وَ امْتَنِهُنْ نَفْسَكَ امْتِنَاهَانَ مَنْ يِنَاسُ الْقَوْمَ مِنْ نَصِيرِهِ وَ انْتَصِيَارِهِ وَ ابْحَثْ عَنْ أُمُورِهِمْ بَحْثَ الدَّجَاجِهِ عَنْ حَبِّ الدُّخَنِ عِنْدَ فُقَاسَتِهَا وَ أَنْغِلِ (١) الْحِجَازَ فَإِنِّي مُنْغِلُ الشَّامِ وَ السَّلَامُ.

وَ كَتَبَ إِلَى سَيِّدِ بْنِ الْعِاصِ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ كِتَابَ مَرْوَانَ وَرَدَّ عَلَيَّ مِنْ سَاعِهِ وَقَعَتِ النَّازِلَةُ تُقْبَلُ بِهِ الْبُرْدُ بِسَيِّرِ الْمَطِيِّ الْوَجِيفِ (٢) تَوَجَّسْ تَوَجَّسَ الْحَيِّهِ الذِّكْرَ خَوْفَ ضَرْبِهِ الْفَأْسِ وَ قَبْضِهِ الْحَاوِي (٣) وَ مَرْوَانَ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلُهُ فَعَلَامَ الْإِفْكَاكِ يَا ابْنَ الْعَاصِ وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصِ ذَلِكَ أَنْتُمْ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ تَسْأَلُونَ أَدْنَى الْعَيْشِ مِنْ أْبَعِيدِ الْمَسَافَةِ فَيُنْكَرُكُمْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ عَارِفًا وَ يَصُدُّ عَنْكُمْ مَنْ كَانَ لَكُمْ وَاصِلًا مُتَّفَرِّقِينَ فِي الشُّعَابِ تَتَمَنُونَ لِمُظَلِّهِ (٤) الْمَعِاشِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَتَبَ عَلَيْهِ فِيكُمْ وَ قَتَلَ فِي سَبِيلِكُمْ فَفِيمَ الْقُعُودِ عَنْ نُصَيْرَتِهِ وَ الطَّلَبِ بِدَمِهِ وَ أَنْتُمْ بَنُو أَبِيهِ ذُوو رَحِمِهِ وَ أَقْرَبُوهُ وَ طُلَّابُ تَأْرِهِ أَصِيبُكُمْ مَتَمَسِّكِينَ بِشَظْفِ مِعَاشِ زَهِيدِ عَمَّا قَلِيلٍ يَنْزِعُ مِنْكُمْ عِنْدَ التَّخَاذُلِ وَ ضَعْفِ الْقَوَى فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فُدْبٌ دَبِيبُ الْبُرْءِ فِي الْجَسَدِ النَّحِيفِ وَ سِرٌّ سَيِّرِ النُّجُومِ تَحْتَ الْعَمَامِ وَ احْشُدْ حَشْدَ الذَّرَّةِ (٥) فِي الصَّيْفِ لِانْجِحَارِهَا فِي الصَّرْدِ فَقَدْ أَيْدَتْكُمْ بِأَسَدٍ وَ تَيْمٍ وَ كَتَبَ فِي الْكِتَابِ تَاللَّهُ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلًا حَتَّى أُبِيرَ مَالِكًا وَ كَاهِلًا (٦)

ص: ٢٣٧

١-١) أنغلهم، أي أحملهم على الضغن.

٢-٢) الوجيف: السير السريع.

٣-٣) الحاوي: الذي يرقى الحيه.

٤-٤) اللمظه في الأصل: اليسير من السمن؛ تأخذه بإصبعك؛ يقال: عنده لمظه من سمن، ثم أطلق على كل شيء قليل.

٥-٥) الذر: صغار النمل.

٦-٦) لا مرئ القيس، ديوانه ١٣٤. أبير: أهلك. و مالك و كاهل من بنى أسد.

خَيْرٍ مَعَدَّ حَسْبًا وَ نَائِلًا (٢).

وَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَامِرٍ أَمَّا بَعِيدُ فَإِنَّ الْمُنْبَرِ مَرَكَبٌ ذُلُولٌ سَهْلُ الرِّيَاضِ لَا يَنَازِعُكَ اللَّجَامُ وَ هَيْهَاتَ ذَلِكَ إِلَّا بَعِيدَ رُكُوبِ  
أَثِيَابِ الْمَهَالِكِ وَ أَفْتِحَامِ أَمْوَاجِ الْمَعَاطِبِ وَ كَأَنِّي بِكُمْ يَا بَنِي أُمِّيَّةَ شِعَارِي (٣) كَالْأَوَارِكِ تَقُودُهَا الْخِدَادَةُ أَوْ كَرَحِمِ الْخَنْدَمَةِ (٤)  
تَذْرُقُ (٥) خَوْفَ الْعُقَابِ فَثِبِ الْآنَ رَحِمَكَ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَشْرِيَ الْفَسَادُ وَ نَدْبُ (٦) السَّوْطِ جَدِيدٌ وَ الْجُرُوحُ لَمَّا يَنْدَمِلُ وَ مِنْ قَبْلِ  
اسْتِضْرَاءِ الْأَسَدِ وَ التَّقَاءِ لِحَيِّهِ عَلَى فَرِيستِهِ وَ سَاوَرَ الْأَمْرُ مُسَاوَرَةَ الذُّبِّ الْأَطْلَسِ كُسَيْرَةَ الْقَطِيعِ وَ نَازَلَ الرَّأْيِ وَ انْصَبَ الشَّرَكِ وَ ازْمَ  
عَنْ تَمَكَّنِ وَ ضَعِ الْهِنَاءِ مَوَاضِعَ النَّقْبِ (٧) وَ اجْعَلْ أَكْبَرَ عِدَّتِكَ الْجِدْرَ وَ أَحَدَ سَبَاحِكَ التَّحْرِيضَ وَ اغْضُ عَنِ الْعُورَاءِ وَ سَامِحِ  
اللُّجُوجِ وَ اسْتَعْطِفِ الشَّارِدَ وَ لَا يَنْ الْأَشْوَسَ وَ قَوِّ عَزْمَ الْمُرِيدِ وَ بَادِرِ الْعَقَبَةَ وَ ازْحَفْ زَحْفَ الْحَيِّهِ وَ اسْبِقْ قَبْلَ أَنْ تُسْبِقَ وَ قُمْ قَبْلَ أَنْ  
يُقَامَ لَكَ وَ اعْلَمْ أَنَّكَ غَيْرُ مَثْرُوكٍ وَ لَا مُهْمَلٍ فَإِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ وَ السَّلَامُ.

وَ كَتَبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ

ص: ٢٣٨

١- (١) الحلاحل: السيد الشريف؛ يعني أباه.

٢- (٢) قال شارح ديوانه: قوله: «خير معد»؛ هو راجع إلى قوله: «مالكاً و كاهلاً»؛ لأن بنى أسد من معد؛ و إنما يريد: حتى أهلك  
أشرف معد و خيرهم؛ انتصاراً لأبي. النائل: العطاء.

٣- (٣) شعاري: متفرقون. و الأوراك: جمع أركه، و هي الناقه التي تلزم الأراك و ترعاه، و شأنها التفرق لتتبع الأراك.

٤- (٤) الخندمه: موضع.

٥- (٥) ذرق الطائر: سلاح.

٦- (٦) ندب السوط: أثره.

٧- (٧) هنا البعير: طلاه بالهناء؛ و هو القطران، و النقب جمع نقبه؛ و هي أول ما يبدو من الجرب، و أصله قول دريد بن الصمه: متبذلاً  
تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب و انظر اللسان (نقب).

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنِ عَاصِمٍ

وَ كَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ يَا ابْنَ عُقْبَةَ كُنِ الْجَيْشَ وَ طَيْبِ الْعَيْشَ أَطِيبَ مِنْ سَيْفِ سَيْمُومِ الْجَوْزَاءِ عِنْدَ اعْتِدَالِ الشَّمْسِ فِي أَفْقِهَا  
إِنَّ عُنْمَانَ أَخَاكَ أَصْبَحَ بَعِيداً مِنْكَ فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ ظِلًّا تَسْتَكِنُ بِهِ إِنِّي أَرَاكَ عَلَى التُّرَابِ رَقُوداً وَ كَيْفَ بِالرُّقَادِ بِكَ لَا رُقَادَ لَكَ  
فَلَوْ قَدِ اسْتَبَّ هَذَا الْأَمْرُ لِمُرِيدِهِ أَلْفَيْتُ كَشْرِيْدِ النَّعَامِ يَفْرُغُ مِنْ ظِلِّ الطَّائِرِ وَ عَنْ قَلِيلٍ تَشْرَبُ الرَّنَقَ وَ تَسْتَشْعِرُ الْخَوْفَ أَرَاكَ فَسِيحَ  
الصَّدْرِ مُسْتَرْحِي اللَّبِّ رَحْوِ الْحِزَامِ قَلِيلَ الْإِكْتِرَاثِ وَ عَنْ قَلِيلٍ يُجْتَثُّ أَصْلُكَ وَ السَّلَامُ.

وَ كَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ إِخْتَرْتَ نَوْمَكَ أَنْ هَبَّتْ شَأْمِيَّةُ

وَ كَتَبَ إِلَى يَغْلَى بْنِ أُمِّيَّةَ حَاطَكَ اللَّهُ بِكَلَامَتِهِ وَ أَيْدَكَ بِتَوْفِيقِهِ كَتَبْتُ إِلَيْكَ صَبِيحَةَ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُ مَرْوَانَ بِخَبَرِ قَتْلِ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ وَ شَرَحَ الْحِجَالَ فِيهِ وَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَالَ بِهِ الْعُمُرُ حَتَّى نَقَصَتْ قُوَاهُ وَ ثَقَلَتْ نَهْضَتُهُ وَ ظَهَرَتْ الرُّعْشَةُ فِي أَعْضَائِهِ فَلَمَّا  
رَأَى ذَلِكَ أَقْوَامٌ لَمْ يَكُونُوا عِنْدَهُ مَوْضِعاً لِلْإِمَامَةِ وَ الْأَمَانَةِ وَ تَقْلِيدِ الْوَلَايَةِ وَ ثَبَّوْا بِهِ وَ أَلْبَوْا عَلَيْهِ فَكَانَ أَعْظَمُ مَا نَقَمُوا عَلَيْهِ وَ عَابَوْهُ بِهِ  
وَلَايَتِكَ الْيَمَنَ وَ طُولَ مُدَّتِكَ عَلَيْهَا ثُمَّ تَرَامَى بِهِمُ الْأَمْرُ حَالاً بَعْدَ حَالٍ

ص: ٢٣٩

حَتَّى ذَبَحُوهُ ذَبْحَ النَّطِيحَةِ (١) مُبَادِرًا بِهَا الْفُوتَ وَ هُوَ مَعَ ذَلِكَ صَائِمٌ مُعَانِقٌ الْمُضِيحِ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِيهِ عَظُمَتْ مُصَيَّبَةُ الْإِسْلَامِ بِصَهْرِ الرَّسُولِ وَالْإِمَامِ الْمَقْتُولِ عَلَى غَيْرِ جُزْمٍ سَفَكُوا دَمَهُ وَ انْتَهَكُوا حُرْمَتَهُ وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ بَيْعَتَهُ فِي أَعْنَاقِنَا وَ طَلَبُ تَأْرِهِ لَأَزِمٌ لَنَا فَلَا خَيْرَ فِي دُنْيَا تَعْدِلُ بِنَا عَنِ الْحَقِّ وَ لَا فِي إِمْرِهِ تَوْرِدُنَا النَّارَ وَ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَرْضَى بِالْتَّعْذِيرِ فِي دِينِهِ فَشَمَّرَ لِدُخُولِ الْعِرَاقِ. فَأَمَّا الشَّامُ فَقَدْ كَفَيْتُكَ أَهْلَهَا وَ أَحْكَمْتُ أَمْرَهَا وَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَنْ يَلْقَاكَ بِمَكَّةَ حَتَّى يَجْتَمِعَ رَأْيُكُمَا عَلَى إِظْهَارِ الدَّعْوَةِ وَ الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَظْلُومِ وَ كَتَبْتُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ يُمَهِّدُ لَكُمْ الْعِرَاقَ وَ يُسَيِّئُ لَكُمْ حُزُونَهُ عُقَابَهَا . (٢)

وَ اعْلَمْ يَا ابْنَ أُمِّيهِ أَنَّ الْقَوْمَ قَاصِدُونَكَ بَادِيٍّ بَدِيٍّ لِاسْتِطَافِ مَا حَوَتْهُ يَدَاكَ مِنَ الْمَالِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَ اعْمَلْ عَلَى حَسْبِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَ كَتَبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ ظُلُّ الْخَلِيفَةِ مَحْضُورًا يُنَاشِدُهُمْ

قَالَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرْوَانَ جَوَابًا عَنْ كِتَابِهِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ فَنِعْمَ كِتَابُ زَعِيمِ الْعَشِيرَةِ وَ حَامِي الدَّمَارِ وَ أُخْبِرُكَ

ص: ٢٤٠

١- (١) النطيحة: الشاه المنطوحه.

٢- (٢) العقاب، بالكسر: جمع عقبه، وهي في الأصل: المرقى الصعب من الجبال.

أَنَّ الْقَوْمَ عَلَى سَيْنِ اسْتِقَامِهِ إِلَّا شَطَابًا شَعِبَ شَتَّتَ بَيْنَهُمْ مَقُولِي عَلَى غَيْرِ مَحَابَبِهِ حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِكَ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ رَسِيسَ (١) الْعَصَاهِ وَرَمَى أَخْدَرَ مِنْ أَعْصَانِ الدَّوْحَةِ وَ لَقَدْ طَوَيْتُ أَدِيمَهُمْ عَلَى نَغْلٍ يَحْلُمُ (٢) مِنْهُ الْجِلْدُ كَذَبَتْ نَفْسُ الظَّانِّ بِنَا تَزُكَّ الْمَظْلَمَةِ وَ حُبُّ الْهَجُوعِ إِلَّا تَهْوِيَمَهُ الرَّاكِبِ الْعَجَلِ حَتَّى تَجِدَّ جَمَاجِمُ وَ جَمَاجِمُ حَيْذُ الْعَرَاجِينِ الْمُهْدَلِّهِ حِينَ إِيْنَاعِهَا وَ أَنَا عَلَى صِحَّةٍ نَبْتِي وَ قُوَّةٍ عَزِيمَتِي وَ تَحْرِيكَ الرَّحِمِ لِي وَ غَلِيَانِ الدَّمِ مِنِّي غَيْرُ سَابِقِكَ بِقَوْلٍ وَ لَا مُتَقَدِّمَكَ بِفِعْلٍ وَ أَنْتَ ابْنُ حَرْبٍ طَلَّابِ التَّرَاتِ وَ أَبِي الضَّمِيمِ.

وَ كِتَابِي إِلَيْكَ وَ أَنَا كَحَرْبِيَاءِ السَّبَسِيبِ فِي الْهَجْرِ تَزُقُّ عَيْنَ الْغَزَالِ (٣) وَ كَالسَّبْعِ الْمُفْلِتِ مِنَ الشَّرْكِ يَفْرُقُ مِنْ صَوْتِ نَفْسِهِ مُنْتَظِرًا لِمَا تَصْحُحُ بِهِ عَزِيمَتُكَ وَ يَرُدُّ بِهِ أَمْرُكَ فَيَكُونُ الْعَمَلُ بِهِ وَ الْمُحْتَدَى عَلَيْهِ.

وَ كَتَبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ أُيُقْتَلُ عُثْمَانُ وَ تَزُقَا دُمُوعَنَا

وَ كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ

ص: ٢٤١

١-١) الرسيس: الشيء الثابت، يريد أن ذلك دأبهم و عاداتهم.

٢-٢) حلم الجلد، إذا فسد.

٣-٣) السبب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة. و الهجير: شدة الحر، و الغزاليه: الشمس.

أَمَّا بَعِيدُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ لَنَا الْجَنَاحَ الْحَاضِرَةَ تَأْوِي إِلَيْهَا فِرَاحَهَا تَحْتَهَا فَلَمَّا أَقْصَدَهُ (١) السَّهْمُ صَرَفْنَا كَالنَّعَامِ الشَّارِدِ وَ لَقَدْ كُنْتُ مُشْتَرِكَ الْفِكْرِ ضَالَّ الْفَهْمِ أَلْتَمِسُ دَرِيئَهُ أَسْتَجِنُّ بِهَا مِنْ خَطَا الْحَوَادِثِ حَتَّى وَقَعَ (٢) إِلَيَّ كِتَابُكَ فَانْتَبَهْتُ مِنْ غَفْلَةٍ طَالَ فِيهَا رُقَادِي فَأَنَا كَوَاجِدِ الْمَحَجَّةِ كَانَ إِلَيَّ جَانِبَهَا حَائِرًا وَ كَأَنِّي أَعَايِنُ مَا وَصَفْتَ مِنْ تَصَرُّفِ الْأَحْوَالِ.

وَ الَّذِي أُخْبِرُكَ بِهِ أَنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الْأَمْرِ تَسْبِيحُهُ لَكَ وَ وَاحِدٌ عَلَيْكَ وَ وَاللَّهِ لِلْمَوْتِ فِي طَلَبِ الْعِزِّ أَحْسَنُ مِنَ الْحَيَاةِ فِي الدَّلَّةِ وَ أَنْتَ ابْنُ حَزْبٍ فَتَى الْحُرُوبِ وَ نَصَارُ (٣) بَيْنِي عِنْدَ شَمْسٍ وَ الْهَمِّ بِكَ مَنُوطَةٌ وَ أَنْتَ مُنْهَضَةٌ هَا فَإِذَا نَهَضَتْ فَلَيْسَ حِينَ قُعودٍ وَ أَنَا الْيَوْمَ عَلَى خِلَافٍ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ عَزِيمَتِي مِنْ طَلَبِ الْعَافِيَةِ وَ حُبِّ السَّلَامَةِ قَبْلَ قَرْعِكَ سُورِيَدَاءَ الْقَلْبِ بِسُوطِ الْمَلَامِ وَ لِنِعْمِ مُؤَدِّبِ الْعَشِيرَةِ أَنْتَ وَ إِنَّا لَنَرُجُوكَ بَعْدَ عُمَانَ وَ هَا أَنَا مُتَوَقِّعٌ مَا يَكُونُ مِنْكَ لِأَمَثَلِهِ وَ أَعْمَلُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَ كَتَبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ فِي ذُلٍّ وَ مَنْقَصَةٍ

وَ كَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ أَسَدٌ قَرِيصٌ عَقْلًا وَ أَحْسَنُهُمْ فَهْمًا وَ أَصُوبُهُمْ رَأْيًا مَعَكَ حُسْنُ

ص: ٢٤٢

١- (١) أقصده: أصابه.

٢- (٢) د: «دفع».

٣- (٣) ب: «نصار».

السِّيَاسَهُ وَ أَنْتَ مَوْضِعُ الرَّئَاسَةِ تُورِدُ بِمَعْرِفِهِ وَ تَصِيدُ عَنْ مَنَهْلِ رَوِيٍّ مَنَاوِئِكَ كَالْمُنْقَلَبِ مِنَ الْعِيُوقِ (١) يَهْوِي بِهِ عَاصِفُ الشَّمَالِ إِلَى لُجَّةِ الْبَحْرِ.

كَتَبْتَ إِلَيَّ تَذَكُّرَ طَيْبِ الْخَيْشِ وَ لِينِ الْعَيْشِ فَمَلَأْتُ بَطْنِي عَلَى حَرَامٍ إِلَّا مُسِيكَةَ الرَّمَقِ (٢) حَتَّى أَفْرَى (٣) أَوْ دَاحَ قَتْلَهُ عُثْمَانَ فَرَوَى الْأُهْبِ (٤) بِشَبَابِهِ الشُّفَارِ وَ أَمَّا اللَّيْنُ فَهَيْهَاتَ إِلَّا خَيْفَهُ الْمُزْتَقِبِ يَزْتَقِبُ غَفْلَةَ الطَّالِبِ إِنَّا عَلَى مُدَاجَاهِ وَ لَمَّا تَبَدُّ صَفَحَاتِنَا بَعْدَ وَ لَيْسَ دُونَ الدَّمِ بِالدَّمِ مَرْحِلٌ إِنَّ الْعِيَارَ مَنْقَصَهُ وَ الضَّعْفَ ذُلٌّ أَيْخِيطُ قَتْلَهُ عُثْمَانَ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يُسَيِّمُونَ بَرْدَ الْمَعِينِ وَ لَمَّا يَمْتَطُوا الْخَوْفَ وَ يَسْتَحْلِسُوا الْحَذَرَ بَعْدَ مَسَافِهِ الطَّرْدِ وَ امْتِطَاءِ الْعَقَبَةِ الْكُتُودِ فِي الرَّحْلِهِ لَا دُعِيَتْ لِعَقَبِهِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ حَتَّى أَنْصَبَ لَهُمْ حَرْبًا تَضَعُ الْحَوَامِلُ لَهَا أَطْفَالَهَا قَدْ أَلَوْتُ بِنَا الْمَسَافَةَ وَ وَرَدْنَا حِيَاضَ الْمَنَايَا وَ قَدْ عَقَلْتُ نَفْسِي عَلَى الْمَوْتِ عَقْلَ الْبُعِيرِ وَ اخْتَسَيْتُ أَنْتَى ثَنَائِي عُثْمَانَ أَوْ أَقْتَلَ قَاتِلَهُ فَعَجَّلَ عَلَيَّ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِكَ فَإِنَّا مُنَوِّطُونَ بِكَ مُتَّبِعُونَ عَقَبَكَ وَ لَمْ أَحْسَبِ الْحَالَ تَتْرَاحِي بِكَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ لَمَّا أَخَافُهُ مِنْ إِحْكَامِ الْقَوْمِ أَمْرَهُمْ وَ كَتَبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ نَوْمِي عَلَيَّ مُحَرَّمٌ إِنْ لَمْ أَقْمِ

وَ كَتَبَ إِلَيْهِ يَعْلى بْنُ أُمَيَّةَ

ص: ٢٤٣

١- (١) العيوق: نجم أحمر مضى في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا، لا يتقدمها، يضرب مثلا للبعد.

٢- (٢) الرمق: بقيه الروح.

٣- (٣) فرى الجلد: شقه.

٤- (٤) الأهب: جمع إهاب، وهو الجلد ما لم يدبغ.

إِنَّا وَ أَنْتُمْ يَا بِنِي أُمِّيَّه كَالْحَجَرِ لَا يُبْنِي بغيرِ مَدْرٍ وَ كَالسَّيْفِ لَا يُقَطِّعُ إِلَّا بِضَارِبِهِ.

وَ صَدَلَ كِتَابِيكَ بِخَبْرِ الْقَوْمِ وَ حَالِهِمْ فَلَمَّا كَانُوا ذَبْحُوهُ ذَبِحَ النَّطِيحَةَ بُودَرَ بِهَا الْمَوْتُ لِيُنْحَرَنَّ ذَابِحُهُ نَحَرَ الْيَدَنِه وَ أَفَى بِهَا الْهَدْيُ الْأَجَلَ تَكَلَّتْنِي مَنْ أَنَا ابْنُهَا إِن نِمْتُ عَنْ طَلَبِ وَ تَرِ عُمَيَّانَ أَوْ يُقَالُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ رَمَقٌ إِنِّي أَرَى الْعَيْشَ بَعِيدَ قَتِيلِ عُمَانَ مَرًّا إِن أَدْلَجَ الْقَوْمُ فَإِنِّي مُدْلِجٌ وَ أَمَا قَصْدُهُمْ مَا حَوْتَهُ يَدِي مِنَ الْمَالِ فَالْمَالُ أَيَسْرُ مَفْقُودٍ إِن دَفَعُوا إِلَيْنَا قَتْلَهُ عُمَانَ وَ إِن أَبَوْا ذَلِكَ أَنْفَقْنَا الْمَالَ عَلَى قِتَالِهِمْ وَ إِن لَنَا وَ لَهُمْ لَمَعْرَكَةٌ نَتَنَاخَرُ فِيهَا نَحَرَ الْقَدَارِ النَّقَائِعِ (١) عَنْ قَلِيلٍ تَصِلُ لِحُومِهَا.

وَ كَتَبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ أَوْصَى النَّاسُ لَا تُعْطِ ضَيْمًا أَوْ يَحْرُ الرَّاسُ.

قَالَ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ كَتَبُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ يُحَرِّضُونَهُ وَ يُغْرَوْنَهُ وَ يُحَرِّكُونَهُ وَ يُهَيِّجُونَهُ إِلَّا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فَإِنَّهُ كَتَبَ بِخِلَافِ مَا كَتَبَ بِهِ هَؤُلَاءِ كَانَ كِتَابُهُ أَمَا بَعِيدَ فَإِنَّ الْحَزْمَ فِي التَّثْبِتِ وَ الْخَطَأَ فِي الْعَجَلِ وَ الشُّؤْمَ فِي الْبِدَارِ وَ السَّهْمَ سِيْهِمْكَ مَا لَمْ يُبْضُ بِهِ الْوَتْرُ وَ لَنْ يَزِدَّ الْحَالِبُ فِي الضَّرْعِ اللَّبَنَ ذَكَرْتَ حَقَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْنَا وَ قَرَابَتَنَا مِنْهُ وَ أَنَّهُ قُتِلَ فِيْنَا فَخْصِيْلَتَانِ ذِكْرُهُمَا نَقْصٌ وَ الثَّالِثَةُ تَكْذُوبٌ وَ أَمَرْتَنَا بِطَلَبِ دَمِ عُمَانَ فَأَيَّ جِهَةٍ تَسْلُكُ فِيهَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ رُدِمَتِ الْفِجَاجُ وَ أُحْكِمَ الْأَمْرُ عَلَيْكَ وَ وَلِيَّ زِمَامَهُ غَيْرِكَ فَدَعُ مَنْوَاهُ مَنْ لَوْ كَانَ أَفْتَرَشَ فِرَاشَهُ صَدْرُ الْأَمْرِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ غَيْرَهُ وَ قُلْتَ كَأَنَّا عَنْ قَلِيلٍ لَا نَتَعَارَفُ فَهَلْ نَحْنُ إِلَّا حَتَّى مِنْ قُرَيْشٍ إِن لَمْ تَتَلْنَا الْوَلَايَةَ لَمْ يَضِقْ عَنَّا الْحَقُّ إِنَّهَا خِلَافُهُ مُنَافِيَةٌ وَ بِاللَّهِ أَقْسَمُ قَسَمًا مَبْرُورًا لِيُنَّ صَحَّتْ عَزِيْمَتُكَ عَلَى

ص: ٢٤٤

١-١) القدار:الجزار،و النقائع:جمع نقيعه؛و هي ما نحر من إبل النهب.



مِا وَرَدَ بِهِ كِتَابِيكَ لِمَا لَفَيْتَنِيكَ بَيْنَ الْحَيِّينِ طَلِيحاً وَ هَيْبِي إِخَالَكَ بَعِيدَ خَوْضِ الدِّمَاءِ تَنَالُ الظَّفَرَ هَلْ فِي ذَلِكَ عَوْضٌ مِنْ رُكُوبِ  
الْمَأْتَمِ وَ نَقْصِ الدِّينِ.

أَمَّا أَنَا فَلَا عَلَى بَنِي أُمِّيهِ وَلَا لَهُمْ أَجْعَلُ الْحَزْمَ دَارِي وَ النَّبِيَّتَ سَجْنِي وَ أَتَوَسَّدُ الْإِسِيْلَامَ وَ أَسْتَشْعِرُ الْعَافِيَةَ فَاعْرِدْ أَبَا عَدِيْدِ الرَّحْمَنِ  
زِمَامَ رَاحِلَتِكَ إِلَى مَحَجَّةِ الْحَقِّ وَ اسْتَوْهَبِ الْعَافِيَةَ لِأَهْلِكَ وَ اسْتَعْطِفِ النَّاسَ عَلَى قَوْمِكَ وَ هَيْهَاتَ مِنْ قَبُولِكَ مَا أَقُولُ حَتَّى يَفْجُرَ  
مَرْوَانَ يَنَابِيعَ الْفِتَنِ تَأْجَجُ فِي الْبِلَادِ وَ كَأَنِّي بِكَمَا عِنْدَ مُلَاقَاهِ الْأَبْطَالِ تَعْتَذِرَانِ بِالْقَدْرِ وَ لِبَسِّ الْعَاقِبَةِ النَّدَامَةَ وَ عَمَّا قَلِيلٍ يَضْحُ لَكَ  
الْأَمْرُ وَ السَّلَامُ.

هَذَا آخِرُ مَا تَكَاتَبَ الْقَوْمُ بِهِ وَ مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ عَلِمَ أَنَّ الْحَالَ لَمْ يَكُنْ حَالًا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ وَ التَّدْبِيرَ وَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ السَّيْفِ وَ أَنَّ  
عَلِيًّا عَ كَانَ أَعْرَفَ بِمَا عَمِلَ

و قد أجاب ابن سنان في كتابه الذي سماه العادل عن هذا السؤال فقال قد علم الناس كافة أنه ع في قصة الشورى عرض عليه  
عبد الرحمن بن عوف أن يعقد له الخلافة على أن يعمل بكتاب الله و سنه رسوله و سيره أبي بكر و عمر فلم يستجب إلى ذلك  
و قال بل على أن أعمل بكتاب الله و سنه رسوله و أجتهد رأيي.

و قد اختلف الناس في ذلك فقالت الشيعة إنما لم يدخل تحت الشرط لأنه لم يستصوب سيرتهما و قال غيرهم إنما امتنع لأنه  
مجتهد و المجتهد لا يقلد المجتهد فأيهما أقرب على القولين جميعاً إنما و أيسر وزرا أن يقر معاوية على ولاية الشام مده إلى أن  
تتوطد خلافته مع ما ظهر من جور معاوية و عداوته و مديده إلى الأموال و الدماء أيام سلطانه أو أن يعاهد عبد الرحمن على  
العمل بسيره أبي بكر و عمر ثم يخالف بعض أحكامها إذا استقر الأمر له و وقع العقد و لا ريب أن أحدا لا يخفى عليه فضل ما  
بين

الموضوعين و فضل ما بين الإثمين فمن لا يجيب إلى الخلافه و الاستيلاء على جميع بلاد الإسلام إذا تسمع بلفظه يتلفظ بها يجوز أن يتأولها أو يورى فيها كيف يستجيب إلى إقرار الجائر و تقويه يده مع تمكينه فى سلطانه لتحصل له طاعه أهل الشام و استضافه طرف من الأطراف و كأنّ معنى قول القائل هلا- أقر معاويه على الشام هو هلا كان ع متهاونا بأمر الدين راغبا فى تشديد أمر الدنيا.

و الجواب عن هذا ظاهر و جهل السائل عنه واضح.

و اعلم أن حقيقه الجواب هو أن عليا ع كان لا يرى مخالفه الشرع لأجل السياسه سواء أ كانت تلك السياسه دينيه أو دنيويه أما الدنيويه فنحو أن يتوهم الإمام فى إنسان أنه يروم فساد خلافته من غير أن يثبت ذلك عليه يقينا فإن عليا ع لم يكن يستحل قتله و لا حبسه و لا يعمل بالتوهم و بالقول غير المحقق و أما الدينيه فنحو ضرب المتهم بالسرقة فإنه أيضا لم يكن يعمل به بل يقول إن يثبت عليه بإقرار أو بينه أقمت عليه الحدّ و إلا لم أعترضه و غير علي ع قد كان منهم من يرى خلاف هذا الرأى و مذهب مالك بن أنس العمل على المصالح المرسله و أنه يجوز للإمام أن يقتل ثلث الأممه لإصلاح الثلثين و مذهب أكثر الناس أنه يجوز العمل بالرأى و بغالب الظنّ و إذا كان مذهبه ع ما قلناه و كان معاويه عنده فاسقا و قد سبق عنده مقدّمه أخرى يقينيه هى أن استعمال الفاسق لا- يجوز و لم يكن ممن يرى تمهيد قاعده الخلافه بمخالفه الشريعه فقد تعين مجاهرته بالعزل و إن أفضى ذلك إلى الحرب.

فهذا هو الجواب الحقيقى و لو لم يكن هذا هو الجواب الحقيقى لكان لقائل أن

يقول لابن سنان القول فى عدوله عن الدخول تحت شرط عبد الرحمن كالقول فى عدوله عن إقرار معاويه على الشام فإن من ذهب إلى تغليظه فى أحد الموضوعين له أن يذهب إلى تغليظه فى الموضوع الآخر.

قال ابن سنان و جواب آخر و هو أنا قد علمنا أن أحد الأحداث التى نقتت على عثمان و أفقت بالمسلمين إلى حصاره و قتله توليه معاويه الشام مع ما ظهر من جوره و عدوانه و مخالفه أحكام الدين فى سلطانه و قد خوطب عثمان فى ذلك فاعتذر بأن عمر و لاه قبله فلم يقبل المسلمون عذره و لاقنوا منه إلا بعزله حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى و كان على ع من أكثر المسلمين لذلك كراهيه و أعرفهم بما فيه من الفساد فى الدين.

فلو أنه ع افتتح عقد الخلافه له بتوليته معاويه الشام و إقراره فيه أ ليس كان يتدئ فى أول أمره بما انتهى إليه عثمان فى آخره فأفضى إلى خلعه و قتله و لو كان ذلك فى حكم الشريعة سائغا و الوزر فيه مأمونا لكان غلطا قبيحا فى السياسه و سببا قويا للعصيان و المخالفه و لم يكن يمكنه ع أن يقول للمسلمين إن حقيقه رأبى عزل معاويه عند استقرار الأمر و طاعه الجمهور لى و إن قصدى بإقراره على الولايه مخادعته و تعجيل طاعته و مبايعه الأجناد الذين قبله ثم أستأنف بعد ذلك فيه ما يستحقه من العزل و أعمل فيه بموجب العدل لأن إظهاره ع لهذا العزم كان يتصل خبره بمعاويه فيفسد التدبير الذى شرع فيه و ينتقض الرأى الذى عول عليه.

و منها قولهم إنه ترك طلحه و الزبير حتى خرجا إلى مكّه و أذن لهما فى العمره و ذهب عنه الرأى فى ارتباطهما قبله و منعهما من البعد عنه.

و الجواب عنه أنه قد اختلف الرواه فى خروج طلحه و الزبير من المدينه هل كان ياذن على ع أم لا فمن قال إنهما خرجا عن غير  
إذنه و لا علمه فسؤاله ساقط و من قال إنهما استأذناه فى العمرة و أذن لهما

٢٤١٧

فَقَدْ رُؤِيَ أَنَّهُ قَالَ

وَ اللَّهُ مَا تُرِيدَانِ الْعُمْرَةَ وَ إِنَّمَا تُرِيدَانِ الْغُدْرَةَ .

و خوفهما بالله من التسرع إلى الفتنة و ما كان يجوز له فى الشرع أن يحبسهما و لا فى السياسه أما فى الشرع فلاّنه محظور أن  
يعاقب الإنسان بما لم يفعل و على ما يظن منه و يجوز ألا- يقع و أمّا فى السياسه فلاّنه لو أظهر التهمه لهما و هما من أفاضل  
السابقين و جله المهاجرين لكان فى ذلك من التنفير عنه ما لا يخفى و من الطعن عليه ما هو معلوم بأن يقال إنه ليس من إمامته  
على ثقه فلذلك يتهم الرؤساء و لا يأمن الفضلاء لا سيما و طلحه كان أول من بايعه و الزبير لم يزل مشتهرا بنصرتة فلو حبسهما و  
أظهر الشك فيهما لم يسكن أحد إلى جهته و لنفر الناس كلهم عن طاعته.

فإن قالوا فهلا استصلحهما و ولاهما و ارتبطهما بالإجابة إلى أغراضهما.

قيل لهم فحوى هذا أنكم تطلبون من أمير المؤمنين ع أن يكون فى الإمامه مغلوبا على رأيه مفتاتا عليه فى تدبيره فيقر معاويه  
على ولايه الشام غصبا و يولى طلحه و الزبير مصر و العراق كرها و هذا شىء ما دخل تحته أحد ممن قبله و لا رضوا أن يكون  
لهم من الإمامه الاسم و من الخلافه اللفظ و لقد حورب عثمان و حصر على أن يعزل بعض ولاته فلم يجب إلى ذلك فكيف  
تسومون عليا ع أن يفتح أمره بهذه الدنيه و يرضى بالدخول تحت هذه الخطه و هذا ظاهر.

و منها تعلقهم بتوليه أمير المؤمنين ع محمّد بن أبى بكر مصر و عزله قيس بن سعد عنها حتى قتل محمد بها و استولى معاويه  
عليها .

ص : ٢٤٨

و الجواب أنه ليس يمكن أن يقال إن محمدا رحمه الله لم يكن بأهل لولايه مصر لأنه كان شجاعا زاهدا فاضلا صحيح العقل و  
الرأى و كان مع ذلك من المخلصين فى محبه أمير المؤمنين ع و المجتهدين فى طاعته و ممن لا يتهم عليه و لا يرتاب بنصحه و  
هو ريبه و خريجه و يجرى مجرى أحد أولاده ع لتربيته له و إشفاقه عليه.

ثم كان المصريون على غايه المحبه له و الإيثار لولايته و لما حاصروا عثمان و طالبوه بعزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح عنهم  
اقترحوا تأمير محمّد بن أبى بكر عليهم فكتب له عثمان بالعهد على مصر و صار مع المصريين حتى تعقبه كتاب عثمان إلى عبد  
الله بن سعد فى أمره و أمر المصريين بما هو معروف فعادوا جميعا و كان من قتل عثمان ما كان فلم يكن ظاهر الرأى و وجه  
التدبير إلا توليه محمّد بن أبى بكر على مصر لما ظهر من ميل المصريين إليه و إيثارهم له و استحقاقه لذلك بتكامل خصال  
الفضل فيه فكان الظنّ قويا باتفاق الرعيه على طاعته و انقيادهم إلى نصرته و اجتماعهم على محبته فكان من فساد الأمر و  
اضطرابه عليه حتى كان ما كان و ليس ذلك يعيب على أمير المؤمنين ع فإن الأمور إنما يعتمدها الإمام على حسب ما يظن فيها  
من المصلحه و لا يعلم الغيب إلا الله تعالى.

و قد ولى رسول الله ص فى مؤته جعفرًا فقتل و ولى زيدا فقتل و ولى عبد الله بن رواحه فقتل و هزم الجيش و عاد من عاد منهم  
إلى المدينه بأسوأ حال فهل لأحد أن يعيب رسول الله ص بهذا و يطعن فى تدبيره.

و منها قولهم إن جماعه من أصحابه ع فارقوه و صاروا إلى معاويه كعقيل بن أبى طالب أخيه و النجاشى شاعره و رقبه بن مصقله  
أحد الوجوه من أصحابه و لو لا أنه

كان يوحشهم ولا يستميلهم لم يفارقوه و يصيروا إلى عدوه و هذا يخالف حكم السياسة و ما يجب من تألف قلوب الأصحاب و الرعيه.

و الجواب أنا أولاً لا ننكر أن يكون كل من رغب في حطام الدنيا و زخرفها و أحبّ العاجل من ملاذها و زيتها يميل إلى معاويه الذى يبذل منها كل مطلوب و يسمح بكل مأمول و يطعم خراج مصر عمرو بن العاص و يضمن لذى الكلاع و حبيب بن مسلمه ما يوفى على الرجاء و الاقتراح و على ع لا يعدل فيما هو أمين عليه من مال المسلمين عن قضيه الشريعه و حكم المله-

٢٤١٨

١،٢،٣- حَتَّى يَقُولُ خَالِدُ بْنُ مَعْمَرِ السُّدُوسِيِّ لِعَلِيٍّ بْنِ الْهَيْثَمِ وَ هُوَ يَحْمِلُهُ عَلَى مُفَارَقَةِ عَلِيٍّ ع وَ اللَّحَاقِ بِمُعَاوِيَةَ اتَّقِ اللَّهَ يَا عَلِيُّ فِي عَيْشِ يَرْتِكَ وَ أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ وَ لِرَجْمِكَ مَاذَا تُوْمَلُ عِنْدَ رَجُلٍ أَرَدْتَهُ عَلَى أَنْ يَزِيدَ فِي عَطَاءِ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ دُرِّيهِمَاتٍ يَسِيرِهِ رَيْثَمَا يَزْأَبَانِ بِهَا ظَلْفَ عَيْشِهِمَا فَأَبَى وَ غَضِبَ فَلَمْ يَفْعَلْ

٢٤١٩

١- فَأَمَّا عَقِيلٌ فَالصَّحِيحُ الَّذِي اجْتَمَعَ ثِقَاتُ الرُّوَاهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَّا بَعْدَ وَفَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ لَكِنَّهُ لَأَزَمَ الْمَدِينَةَ وَ لَمْ يَحْضُرْ حَرْبَ الْجَمَلِ وَ صِفِّينَ وَ كَانَ ذَلِكَ بِإِذْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ قَدْ كَتَبَ عَقِيلٌ إِلَيْهِ بَعْدَ الْحَكَمَيْنِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ الْكُوفَةَ بِوَلَدِهِ وَ بَقِيَّتِهِ أَهْلِهِ فَأَمَرَهُ ع بِالْمُقَامِ وَ قَدْ رُوِيَ فِي خَبَرِ مَشْهُورٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَبَّخَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ عَلَى تَأْخِيرِهِ عَنْهُ فِي صِفِّينَ فَقَالَ سَعِيدٌ لَوْ دَعَوْتَنِي لَوَجَدْتَنِي قَرِيباً وَ لَكِنِّي جَلَسْتُ مَجْلِسَ عَقِيلٍ وَ غَيْرِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَ لَوْ أَوْعَبْنَا لَأَوْعَبُوا (١)

٢٤٢٠

١- وَ أَمَّا النَّجَاشِيُّ فَإِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَأَقَامَ عَلِيٌّ ع الْحَدَّ عَلَيْهِ

ص: ٢٥٠

(١-١) أوعب القوم؛ إذا خرجوا جميعهم للغزو.

وَزَادَهُ عِشْرِينَ جَلْدَةً فَقَالَ النَّجَاشِيُّ مَا هَذِهِ الْعِلَاوَةُ (١) قَالَ لِحُزْنِكِ عَلَيَّ اللَّهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَهَرَبَ النَّجَاشِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ

٢٤٢١

١- وَ أَمَّا رَقَبَةُ بْنُ مَضَيْقَلَةَ فَإِنَّهُ ابْتِغَى سَبِيَّ بِنِي نَاجِيَةَ وَ أَعْتَقَهُمْ وَ أَلَطَّ بِالْمَالِ (٢) وَ هَرَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ عَ فَعَلَ السَّادَةَ وَ أَبَقَ  
إِبَاقَ الْعَبِيدِ

. و ليس تعطيل الحدود و إباحه حكم الدين و إضاعه مال المسلمين من التآلف و السياسه لمن يريد وجه الله تعالى و التلزم بالدين و لا يظن بعلى ع التساهل و التسامح فى صغير من ذلك و لا كبير.

و منها شبهه الخوارج و هى التحكيم و قد يحتج به على أنه اعتمد ما لا يجوز فى الشرع و قد يحتج به على أنه اعتمد ما ليس بصواب فى تدبير الأمر أما الأول فقولهم إنه حكم الرجال فى دين الله و الله سبحانه يقول إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ (٣) و أمّا الثانى فقولهم إنه كان قد لاح له النصر و ظهرت أمارات الظفر بمعاويه و لم يبق إلا أن يأخذ برقبته فترك التصميم على ذلك و أخلد إلى التحكيم و ربما قالوا إن تحكيمه يدل على شك منه فى أمره و ربما قالوا كيف رضى بحكومته أبى موسى و هو فاسق عنده بتشيطه أهل الكوفة عنه فى حرب البصره و كيف رضى بتحكيم عمرو بن العاص و هو أفسق الفاسقين.

و الجواب أما تحكيم الرجال فى الدين فليس بمحذور فقد أمر الله تعالى بالتحكيم بين المرأة و زوجها فقال وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا

ص: ٢٥١

١- ١) العلاوه، بالكسر: ما زاد على الشىء.

٢- ٢) أَلَطَّ بِالْمَالِ، أى أَخَذَهُ وَ جَعَلَهُ.

٣- ٣) سوره الأنعام ٥٧.

مِنْ أَهْلِهَا (١) و قَالَ فِي جَزَاءِ الصَّيْدِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ (٢) .

و أما قولهم كيف ترك التصميم بعد ظهور أمارات النصر

٢٤٢٢

١- فَصَدَّ تَوَاتُرَ الْخَبَرِ بِأَنْ أَصِيحَابَهُ لَمَّا رَفَعَ أَهْلُ الشَّامِ الْمَصَاحِفَ عِنْدَ ظُهُورِ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَيْهِمْ وَ مُشَارَفِهِ هَلَاكِ مُعَاوِيَةَ وَ أَصِيحَابِهِ  
انْخَدَعُوا بِرَفْعِ الْمَصِيحِ احِفِ وَ قَالُوا لَا- يَحْدِلُ لَنَا التَّصِيْمِيُّ عَلَى حَرْبِهِمْ وَ لَا يَجُوزُ لَنَا إِلَّا وَضْعُ السَّلَاحِ وَ رَفْعُ الْحَرْبِ وَ الرَّجُوعُ إِلَى  
الْمَصِيحِ احِفِ وَ حُكْمِهَا فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهَا خَدِيْعَةٌ وَ إِنَّهَا كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ وَ أَمْرُهُمْ بِالصَّبْرِ وَ لَوْ سَاعَهُ وَاجِدَهُ فَأَبَوْا ذَلِكَ وَ قَالُوا  
أَرْسِلْ إِلَى الْأَشْتَرِ فَلْيُعِدْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ كَيْفَ أَعُوذُ وَ قَدْ لَاحَتْ أَمَارَاتُ النَّصِيرِ وَ الظَّفَرِ فَقَالُوا لَهُ ابْعَثْ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى فَبَعَثَ إِلَيْهِ  
فَاعَادَ الْجَوَابَ بِنَحْوِ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ وَ سَأَلَ أَنْ يُمَهَّلَ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ فَقَالُوا إِنَّ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ وَصِيَّةٌ إِلَّا يَقْبَلُ فَإِنْ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ مِنْ يُعِيدُهُ  
وَ إِلَّا قَتَلْنَاكَ بِسُيُوفِنَا كَمَا قَتَلْنَا عُثْمَانَ أَوْ قَبَضْنَا عَلَيْكَ وَ أَسْلَمْنَاكَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَعَادَ الرَّسُولُ إِلَى الْأَشْتَرِ فَقَالَ أَ تُحِبُّ أَنْ تَظْفَرَ أَنْتَ  
هَاهُنَا وَ تَكْسِرَ جُنُودَ الشَّامِ وَ يُقْتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي مَضْرِبِهِ قَالَ أ وَ قَدْ فَعَلُوهَا لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ أَبْعِدْ أَنْ أَخَذْتُ بِمِخْنَقِ (٣)  
مُعَاوِيَةَ وَ رَأَى الْمَوْتَ عَيْنَانًا أَرْجِعْ ثُمَّ عَادَ فَشَتَمَ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَ سَبَّهُمْ وَ قَالَ لَهُمْ وَ قَالُوا لَهُ مَا هُوَ مَنْقُولٌ مَشْهُورٌ

. و قد ذكرنا الكثير منه فيما تقدم.

فإذا كانت الحال وقعت هكذا فأى تقصير وقع من أمير المؤمنين ع و هل ينسب المغلوب على أمره المقهور على رأيه إلى تقصير  
أو فساد تدبير.

و بهذا نجيب عن قولهم إن التحكيم يدل على الشك في أمره لأنه إنما يدل على ذلك لو ابتداء هو به فأما إذا دعاه إلى ذلك  
غيره و استجاب إليه أصحابه فمنعهم و أمرهم

ص: ٢٥٢

١- (١) سورة النساء ٣٥.

٢- (٢) سورة المائدة ٩٥.

٣- (٣) المخنق: موضع الخنق من العنق.



أن يَمروا على وتيرتهم و شأنهم فلم يفعلوا و بين لهم أنها مكيدة فلم يتبينوا و خاف أن يقتل أو يسلم إلى عدوه فإنه لا يدلّ تحكيمة على شكه بل يدلّ على أنه قد دفع بذلك ضررا عظيما عن نفسه و رجا أن يحكم الحكمان بالكتاب فتزول الشبهة عن طلب التحكيم من أصحابه.

و أمّا تحكيمة عمرا مع ظهور فسقه فإنه لم يرض به و إنما رضى به مخالفه و كرهه هو فلم يقبل منه و قد قيل إنه أجاب ابن عباس رحمه الله عن هذا فقال للخوارج أليس قد قال الله تعالى فابعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها (١) أ رأيتم لو كانت المرأة يهودية فبعثت حكما من أهلها أ كنا نسخط ذلك.

٢٤٢٣

١- و أمّا أبو موسى فقد كرهه أمير المؤمنين ع و أراد أن يجعل بدله عبد الله بن عباس فقال أصحابه لا يكون الحكمان من مضر فقال فالأشتر فقالوا و هيل أضرم النار إلا الأشتر و هل جزأ ما ترى إلا حكومه الأشتر و لكن أبا موسى فأباه فلم يقبلوا منه و أثنوا عليه و قالوا لا نرضى إلا به فحكّمه على ماضٍ

و منها قولهم

٢٤٢٤

١- ترك الرأى لما دعاه العباس وقت وفاه الرسول ص إلى البيعة و قال له اميد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله ص بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان فلم يفعل و قال و هل يطمع فيها طامع غيري فما راعه إلا الصوّضاء و اللعظ في باب الدار يقولون قد بويع أبو بكر بن أبي قحافة

. الجواب أن صواب الرأى و فساده فيما يرجع إلى مثل هذه الواقعة يستندان إلى

ص: ٢٥٣

ما قد كان غلب على الظنّ و لا ريب أنّه ع لم يغلب على ظنه أن أحدا يستأثر عليه بالخلافه لأحوال قد كان مهدها له رسول الله ص و ما توهم إلا أنّه ينتظر و يرتقب خروجه من البيت و حضوره و لعله قد كان يخطر له أنّه إمّا أن يكون هو الخليفة أو يشاور في الخلافه إلى من يفوض و ما كان يتوهم أنّه يجرى الأمر على ما جرى من الفلته عند ثوران تلك الفتنة و لا يشاور هو و لا العبّاس و لا أحد من بنى هاشم و إنّما كان يكون تدبيره فاسدا لو كان يحاذر خروج الأمر عنه و يتوهم ذلك و يغلب على ظنه إن لم يبادر تحصيله بالبيعه المعجله في الدار من وراء الأبواب و الأغلاق و إلا فاته ثم يهمل ذلك و لا يفعله و قد صرّح هو بما عنده فقال و هل يطمع فيها طامع غيري ثم قال إني أكره البيعه هاهنا و أحبّ أن أصحر (١) بها فبين أنّه يستهجن أن يبايع سرا خلف الحجب و الجدران و يحب أن يبايع جهره بمحضر من الناس كما

٢٤٢٥

١- قَالَ حَيْثُ طَلَبُوا مِنْهُ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ أَنْ يُبَايِعَهُمْ فِي دَارِهِ فَقَالَ لَا بَلْ فِي الْمَسْجِدِ . و لا يعلم و لا خطر له ما في ضمير الأيّام و ما يحدث الوقت من وقوع ما لا يتوهم العقلاء و أرباب الأفكار وقوعه.

و منها قولهم إنّهم قصر في طلب الخلافه عند بيعه أبي بكر و قد كان اجتمع له من بنى هاشم و بنى أميّة و غيرهم من أفناء الناس من يتمكن بهم من المنازعه و طلب الخلافه فقصر عن ذلك لا جبا لأنه كان أشجع البشر و لكن قصور تدبير و ضعف رأى و لهذا أكفرته الكامليه (٢) و أكفرت الصحابه فقالوا كفرت الصحابه لتركهم بيعته و كفر هو بترك المنازعه لهم.

ص: ٢٥٤

١-١) أصحر بالأمر: أظهره.

٢-٢) الكامليه: أتباع رجل من الرافضه كان يعرف بأبى كامل؛ و كان يزعم أن الصحابه كفروا بتركهم بيعه على، و كفر على بتركه قتالهم؛ و كان يلزمه قتالهم كما لزم قتال أصحاب صفين الفرق بين الفرق ٣٩.

و الجواب أما على مذهبنا فإنه لم يكن ع منصوصا عليه و إنما كان يدعيها بالأفضليه و القرابه و السابقه و الجهاد و نحو ذلك من الخصائص فلما وقعت بيعه أبى بكر رأى هو على ع أن الأصلح للإسلام ترك النزاع و أنه يخاف من النزاع حدوث فتنه تحل معاهد المله و تززع أركانها فحضر و بايع طوعا و وجب علينا بعد مبايعته و رضاه أن نرضى بمن رضى هو ع و نطيع من أطاعه لأنه القدوه و أفضل من تركه ص بعده.

و أما الإماميه فلهم عن ذلك جواب آخر معروف من قواعدهم.

و منها قولهم إنه قصر فى رأى حيث دخل فى الشورى لأنه جعل نفسه بدخوله فيها نظيرا لعثمان و غيره من الخمسه و قد كان الله تعالى رفعه عنهم و على من كان قبلهم فوهن بذلك قدره و طأطأ من جلالته ألا ترى أنه يستهجن و يقبح من أبى حنيفه و الشافعى رحمهما الله أن يجعلنا أنفسهما نظراء لبعض من بدأ طرفا من الفقه و يستهجن و يقبح من سيويه و الأخفش أن يوازي أنفسهما بمن يعلم أبوابا يسيره من النحو .

الجواب أنه ع و إن كان أفضل من أصحاب الشورى فإنه كان يظن أن ولى الأمر أحدهم بعد عمر لا يسير سيره صالحه و أن تضطرب بعض أمور الإسلام و قد كان يثنى على سيره عمر و يحمدها فواجب عليه بمقتضى ظنه أن يدخل معهم فيما أدخله عمر فيه توقعا لأن يفضى الأمر إليه فيعمل بالكتاب و السنه و يحيى معالم رسول الله ص و ليس اعتماد ما يقتضيه الشرع ممّا يوجب نقصا فى رأى فلا تدبير أصح و لا أسد من تدبير الشرع.

و منها قولهم إنه ما أصاب حيث أقام بالمدينه و عثمان محصور و قد كان يجب فى الرأى أن يخرج عنها بحيث لا تنوط بنو أميّه به دم عثمان فإنه لو كان بعيدا عن المدينه لكان من قذفهم إياه بذلك أبعد و عنه أنزه.

و الجواب أنه لم يكن يخطر له مع براءته من دم عثمان أن أهل الفساد من بنى أميّه يرمونه بأمره و الغيب لا يعلمه إلا الله و كان يرى مقامه بالمدينه أدعى إلى انتصار عثمان على المحاصرين له فقد حضر هو بنفسه مرارا و طرد الناس عنه و أنفذ إليه ولديه و ابن أخيه عبد الله و لو لا حضور على ع بالمدينه لقتل عثمان قبل أن يقتل بمدّه و ما تراخى أمره و تأخر قتله إلا لمراقبه الناس له حيث شاهدوه ينتصر له و يحامى عنه.

و منها قولهم كان يجب فى مقتضى الرأى حيث قتل عثمان أن يغلق بابه و يمنع الناس من الدخول إليه فإن العرب كانت تضطرب اضطرابه ثم تثول إليه لأنه تعين للأمر بحكم الحال الحاضره فلم يفعل و فتح بابه و ترشح للأمر و بسط له يده فلذلك انتقضت عليه العرب من أقطارها.

و الجواب أنه ع كان يرى أن القيام بالأمر يومئذ فرض عليه لا يجوز له الإخلال به لعدم من يصلح فى ظنه للخلافه فما كان يجوز له أن يغلق بابه و يمتنع و ما الذى كان يومئذ أن يبايع الناس طلحه أو الزبير أو غيرهما ممن لا يراه أهلا للأمر فقد كان عبد الله بن الزبير يومئذ يزعم أن عثمان عهد إليه بالخلافه و هو محصور و كان مروان يطمع أن ينحاز إلى طرف من الأطراف فيخطب لنفسه بالخلافه و له من بنى أميّه شيعه و أصحاب بشبهه أنه ابن عم عثمان و أنه كان يدبر أمر الخلافه على عهده و كان معاويه يرجو أن ينال الخلافه لأنه من بنى أميّه و ابن عم عثمان و أمير الشام عشرين سنه و قد كان قوم من بنى أميّه يتعصبون لأولاد عثمان المقتول و يرومون إعادته الخلافه فيهم

و ما كان يسوغ لعلی ع فی الدین إذا طلبه المسلمون للخلافه أن یمتنع عنها و یعلم أنها ستصیر إذا امتنع إلى هؤلاء فلذلك فتح بابہ و امتنع امتناع من یحاول أن یعلم ما فی قلوب الناس هل لرغبتهم إليه حقیقه أم لا- فلما رأى منهم التصمیم وافق لوجوب الموافقه علیه و

٢٤٢٦

قَدْ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ

لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ وُجُوبُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ.

..لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِيهَا

(١)

و هذا تصریح بما قلناه.

و منها قولهم هلا إذ ملك شریعه الفرات علی معاويه بعد أن كان معاويه ملكها علیه و منعه و أهل العراق منها منع معاويه و أهل الشام منها فكان يأخذهم قبضا بالأیدی فإنه لم یصبر علی منعهم عن الماء بل فسح لهم فی الورود و هذا یخالف ما یقتضیه تدبیر الحرب.

الجواب أنه ع لم یکن یستحل ما استحله معاويه من تعذیب البشر بالعطش فإن الله تعالی ما أمر فی أحد من العصاه الذین أباح دمائمهم بذلك و لا- فسح فیة فی نحو القصاص أو حدّ الزانی المحصن أو قتل قاطع الطریق أو قتال البغاه و الخوارج و ما كان أمير المؤمنین ممن یتترك حکم الله و شریعته و یعتمد ما هو محرم فیها لأجل الغلبه و القهر و الظفر بالعدو و لذلك لم یکن یستحل البیات (٢) و لا- الغدر و لا- النکث و ایضا فمن الجائز أن یكون ع غلب علی ظنه أن أهل الشام إن منعوا من الماء كان ذلك أذعی لهم إلى الحملات الشدیدة المنکره علی عسکره و أن یضعوا فیهم السیوف فیأتوا علیهم و یکسروهم بشده حنقهم و قوه داعیهم إلى ورود الماء فإن ذلك من أشدّ الدواعی إلى أن یستमित القوم و یستقتلوا و من الذی یقف بین یدی جيش عظیم عرمرم قد اشتد بهم العطش و هم یرون الماء کبطون الحیات لا یحول بینهم و بینه

ص: ٢٥٧

١- ١) من الخطبه الشقشقیه؛ و قد تقدمت فی الجزء الأول ص ١٥١-٢٠٣.

٢- ٢) یقال: بیت العدو؛ إذا أوقع به لیلا.

١- لَمَّا حَالَ مُعَاوِيَةَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ بَيْنَ الْمَاءِ وَ قَالَ لَأَمْنَعَنَّهُمْ وَرُودَهُ فَأَقْتَلَهُمْ بِشِفَارِ الظَّمَا قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حَلِّ بَيْنَ الْقَوْمِ وَ بَيْنَ الْمَاءِ فَلَيْسُوا بِمَنْ يَرَى الْمَاءَ وَ يَصْبِرُ عَنْهُ فَصَالَ لَا- وَ اللَّهُ لَا- أُحْلَى لَهُمْ عَنْهُ فَسَيَّفَهُ رَأْيُهُ وَ قَالَ أَ تَظُنُّ أَنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ وَ أَهْلَ الْعِرَاقِ يَمُوتُونَ بِإِزَائِكَ عَطْشًا وَ الْمَاءُ بِمَعْقَدِ الْأُزْرِ وَ سَيُوفُهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ فَلَجَّ مُعَاوِيَةَ وَ قَالَ لَا أَشْقِيهِمْ قَطْرَةً كَمَا قَتَلُوا عُثْمَانَ عَطْشًا فَلَمَّا مَسَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ الْعَطْشَ أَشَارَ عَلِيُّ ع إِلَى الْأَشْعَثِ أَنْ أَحْمِلْ وَ إِلَى الْأَشْتَرِ أَنْ أَحْمِلْ فَحَمَلَا بِمَنْ مَعَهُمَا فَضَرَبَا أَهْلَ الشَّامِ ضَرْبًا أَشَابَ الْوَلِيدَ وَ قَرَّ مُعَاوِيَةَ وَ مَنْ رَأَى رَأْيَهُ وَ تَابَعَهُ عَلَى قَوْلِهِ عَنِ الْمَاءِ كَمَا تَفَرَّ الْغَنَمُ خَالَطَتْهَا السَّبَاعُ وَ كَانَ قُضَارَى أَمْرِهِ وَ مُنْتَهَى هِمَّتِهِ أَنْ يَحْفَظَ رَأْسَهُ وَ يَنْجُو بِنَفْسِهِ وَ مَلَكَ أَهْلَ الْعِرَاقِ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ وَ دَفَعُوهُمْ عَنْهُ فَصَارُوا فِي الْبَرِّ الْقَفْرِ وَ صَارَ عَلِيُّ ع وَ أَصْحَابُهُ عَلَى شَرِيعَةِ الْفَرَاتِ مَا لِكِنَّ لَهَا

فما الذى كان يؤمن عليا لو أعطش القوم أن يذوق هو و أصحابه منهم مثل ما أذاقهم و هل بعد الموت بالعطش أمر يخافه الإنسان و هل يبقى له ملجأ إلا السيف يحمل به فيضرب خصمه إلى أن يقتل أحدهما.

و منها قولهم أخطأ حيث محا اسمه بالخلافه من صحيفه الحكومه فإن ذلك ممّا وهنه عند أهل العراق و قوى الشبهه فى نفوس أهل الشام. و الجواب أنه ع احتذى فى ذلك لما دعى إليه و اقترحه الخصم عليه

١٤,١- فِعْلَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي صَحِيفِهِ الْخَدَائِيَّةِ حَيْثُ مَحَا اسْمُهُ مِنَ التُّبُوِّهِ لَمَّا قَالَ لَهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا حَارَبْنَاكَ وَ لَا مَنَعْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَ قَدْ قَالَ لَهُ ص وَ هُوَ يَوْمئِذٍ كَاتِبٌ تِلْكَ الصَّحِيفَةَ سَتُدْعَى إِلَى مِثْلِهَا فَتَجِيبُ

و هذا من أعلام نبوته ص و من دلائل صدقه و مثله جرى له حذو القذة بالقذة.

و منها قولهم إنه كان غير مصيب في ترك الاحتراس فقد كان يعلم كثره أعدائه و لم يكن يحترس منهم و كان يخرج ليلا في قميص و رداء وحده حتى كمن له ابن ملجم في المسجد فقتله و لو كان احترس و حفظ نفسه و لم يخرج إلا في جماعه و لو خرج ليلا كانت معه أضواء و شرطه لم يوصل إليه.

و الجواب أن هذا إن كان قادحا في السياسة و التدبير فليكن قادحا في تدبير عمر و سياسته و هو عند الناس في الطبقة العليا في السياسة و صحة التدبير و ليكن قادحا في تدبير معاوية فقد ضربه الخارجي بالسيف ليله ضرب أمير المؤمنين ع فجرحه و لم يأت على نفسه و معاوية عند هؤلاء سديد التدبير و ليكن قادحا في صحة تدبير رسول الله ص

٢٤٢٩

١٤- فَقَدْ كَانَ يَخْرُجُ وَحِيدَهُ فِي الْمَدِينَةِ لَيْلًا- وَ نَهَارًا مَعَ كَثْرَةِ أَعْدَائِهِ وَ قَدْ كَانَ يَأْكُلُ مَا دُعِيَ إِلَيْهِ وَ لَا يَحْتَرِسُ حَتَّى أَكَلَ مِنْ يَهُودِيَّةٍ شَاهٍ مَشُوبَةٍ قَدْ سَمَّيْتُهُ فِيهَا فَمَرِضٌ وَ خِيفَ عَلَيْهِ التَّلْفُ وَ لَمَّا بَرَأَ لَمْ تَزَلْ تَنْتَقِضُ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ مِنْهَا وَ قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ إِنِّي مَيِّتٌ مِنْ تِلْكَ الْأَكْلَةِ .

و لم تكن العرب في ذلك الزمان تحترس و لا تعرف الغيلة و الفتك و كان ذلك عندهم قبيحا يعير به فاعله لأن الشجاعه غير ذلك و الغيلة فعل العجزه من الرجال و لأن عليا ع كانت هيئته قد تمكنت في صدور الناس فلم يكن يظن أن أحدا يقدم عليه غيلة أو مبارزه في حرب فقد كان بلغ من الذكر بالشجاعه مبلغا عظيما لم يبلغه أحد من الناس لا من تقدم و لا من تأخر حتى كانت أبطال العرب تفرع باسمه أ لا ترى إلى

٢٤٣٠

١- عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ وَ هُوَ شُجَاعُ الْعَرَبِ الَّذِي تُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ كَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي أَمْرٍ أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ وَ غَدَرَ تَخَوَّفَهُ مِنْهُ أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ أَقَمْتَ عَلَيَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ لَمَّا بَعَثْتَنِي إِلَيْكَ رَجُلًا- تَسْتَضِيءُ غُرْمَهُ نَفْسِيكَ يَضَعُ سَيْفَهُ عَلَى هَامِيَتِكَ فَيُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ فَحْدَيْكَ فَقَالَ عُمَرُ وَ لَمَّا وَقَفَ عَلَى الْكِتَابِ هَدَّ دَنِي بَعْلِيَّ وَاللَّهِ

و لهذا

٢٤٣١

١- قَالَ شَيْبَةُ بْنُ بَجْرَةَ لَابْنِ مُلْجَمٍ لَمَّا رَأَاهُ يَشُدُّ الْحَرِيرَ عَلَى بَطْنِهِ وَ صَدْرِهِ وَيَلْكَ مَا تُرِيدُ

ص: ٢٥٩

أَنْ تَصْنَعَ قَالَ أَقْتُلْ عَلِيًّا قَالَ هَبْلَثُكَ الْهُبُولُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِذَا كَيْفَ تَقْدِرُ عَلَيَّ ذَلِكَ

. فاستبعد أن يتم لابن ملجم ما عزم عليه و رآه مراما وعرا و الأمر فى هذا و أمثاله مسند إلى غلبات الظنون فمن غلبت على ظنه السلامه مع الاسترسال لم يجب عليه الاحتراس و إنما يجب الاحتراس على من يغلب على ظنه العطب إن لم يحترس.

فقد بان بما أوضحناه فساد قول من قال إن تدبيره ع و سياسته لم تكن صالحه و بان أنه أصح الناس تدبيراً و أحسنهم سياسه و إنما الهوى و العصبية لا حيله فيهما

ص: ٢٦٠



أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسِيءُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلْبِهِ أَهْلُهُ فَإِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَى مَا بَدَأَ شَبَّعُهَا قَصِيرٌ وَ جُوعُهَا طَوِيلٌ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَ السُّخْطُ وَ إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَهُ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا نَادِمِينَ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفِ فَهِيَ خَوَارِ السَّكَّةِ الْمُحْمَاهِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَارِ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ وَ مَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي النَّارِ .

الاستيحاش ضد الاستئناس و كثيرا ما يحدثه التوحد و عدم الرفيق فنهى ع عن الاستيحاش في طريق الهدى لأجل قله أهله فإن المهتدي ينبغي أن يأنس بالهدايه فلا وحشه مع الحق.

و عنى بالمائده الدنيا لذتها قليله و نغصتها كثيره و الوجود فيها زمان قصير جدا و العدم عنها زمان طويل جدا .

ثم قال ليست العقوبه لمن اجترم ذلك الجرم بعينه بل لمن اجترمه و من رضى به و إن لم يباشره بنفسه فإن عاقر ناقة صالح إنما كان إنسانا واحدا فعم الله ثمود بالسخط

لما كانوا راضين بذلك الفعل كلهم و اسم كان مضمراً فيها أى ما كان الانتقام منهم إلا كذا.

و خارت أرضهم بالخسفة صوتت كما يخور الثور و شبه ع ذلك بصوت السكه المحماه فى الأرض الخواره و هى اللينه و إنما جعلها محماه لتكون أبلغ فى ذهابها فى الأرض و

٢٤٣٢

١٤١- مِنْ كَلَامِهِ ع يَوْمَ خَيْبَرَ يَقُولُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَدْ بَعَثَهُ بِالرَّايَةِ أَكُونُ فِي أَمْرِكَ كَمَا السَّكَّةُ الْمُحْمَاةُ فِي الْمَأْرُضِ أَمْ الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ فَقَالَ لَهُ بَلْ يَرَى الشَّاهِدُ مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ .

و قال له أيضا هذه اللفظه لما بعثه فى شأن ماريه القبطيه و ما كانت اتهمت به من أمر الأسود القبطى و لهذا عله فى العلم الطبيعى و ذلك أن السكه المحماه تخرق الأرض بشيئين أحدهما تحدد رأسها و الثانى حرارته فإن الجسم المحدد الحار إذا اعتمد عليه فى الأرض اقتضت الحرارة إعانه ذلك الطرف المحدد على النفوذ بتحليلها ما تلاقى من صلابه الأرض لأن شأن الحرارة التحليل فيكون غوص ذلك الجسم المحدد فى الأرض أوحى و أسهل .

و التيه المفازه يتحير سالكها

### قصه صالح و ثمود

٢٤٣٣

قَالَ الْمَفْسُورُونَ إِنَّ عَادًا لَمَّا أَهْلَكَتْ عَمَّارَتٌ ثَمُودٌ بِأَدَاةِهَا وَ خَلْفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ كَثُرُوا وَ عَمَّارًا طَوَالًا حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَبْنِي الْمَسِيكَنَ الْمُحْكَمَ فَيَنْهَدُهُمْ فِي حَيَاتِهِ فَنَحَتُوا الثُّبُوتَ فِي الْجِبَالِ وَ كَانُوا فِي سَعَةٍ وَ رَخَاءٍ مِنَ الْعَيْشِ فَعَتَوْا عَلَى اللَّهِ وَ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ وَ عَبَدُوا الْأَوْثَانَ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ صَالِحًا وَ كَانُوا قَوْمًا عُرْبًا وَ صَالِحٌ مِنْ أَوْسَطِهِمْ

ص: ٢٤٢

نَسَبًا فَمَا آمَنَ بِهِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ مُسْتَضْعَفُونَ فَحَدَّرَهُمْ وَ أَنْذَرَهُمْ فَسَأَلُوهُ آيَةً فَقَالَ آيَةٌ آيَةٌ تُرِيدُونَ قَالُوا تَخْرُجْ مَعَنَا إِلَى عِيدِنَا فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ لَهُمْ مِنَ السَّنَةِ فَتَدْعُوا إِلَهُكَ وَ نَدْعُوا إِلَهَنَا فَإِنِ اسْتَجِيبَ لَكَ اتَّبَعْنَاكَ وَ إِنِ اسْتَجِيبَ لَنَا اتَّبَعْنَا.

قَالَ نَعَمْ فَخَرَجَ مَعَهُمْ وَ دَعَوْا أَوْلِيَانَهُمْ وَ سَأَلُوهَا الْإِسْتِجَابَةَ فَلَمْ تُجِبْ فَقَالَ سَيِّدُهُمْ جُنْدَعُ بْنُ عَمْرٍو وَ أَشَارَ إِلَى صَيْحْرِهِ مُنْفَرِدِهِ فِي نَاحِيَةِ الْجَبَلِ يُسَيِّرُ مَوْنَهَا الْكَاثِبَةَ أَخْرَجَ لَنَا فِي هَذِهِ الصَّخْرَةِ نَاقَةً مُخْتَرَجَةً جَوْفَاءَ وَبَرَاءَ وَ الْمُخْتَرَجَةُ الَّتِي شَاكَلَتِ الْبُخْتِ (١) فَإِنِ فَعَلْتَ صَدَقْنَاكَ وَ أَجَبْنَاكَ.

فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمَوَاقِبَ لَئِنِ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَتُؤْمِنَنَّ وَ لَتَصِيءَنَّ قَالُوا نَعَمْ فَصَلَّى وَ دَعَا رَبَّهُ فَتَمَخَّضَتِ الصَّخْرَةُ تَمَخُّضَ النَّتُوجِ بَوْلِدِهَا فَانْصَدَعَتْ عَنْ نَاقِهِ عَشْرَاءَ (٢) جَوْفَاءَ وَبَرَاءَ كَمَا وَصَفُوا لَا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ جَنَبَيْهَا إِلَّا اللَّهُ وَ عَظَمًا وَهُمْ يَنْظُرُونَ ثُمَّ نَتَجَتْ وَ لَدَا مِثْلَهَا فِي الْعِظَمِ فَأَمَنَ بِهِ جُنْدَعُ وَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ وَ مَنَعَ أَعْقَابَهُمْ نَاسٌ مِنْ رُءُوسِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا فَامْكَنَتِ النَّاقَةُ مَعَ وَ لَدِهَا تَزَعَى الشَّجَرِ وَ تَشْرَبُ الْمِيَاءَ وَ كَانَتْ تَرُدُّ غَبِيًّا فَإِذَا كَانَ يَوْمُهَا وَضَعَتْ رَأْسَهَا فِي الْبُئْرِ فَمَا تَزَفَعُهُ حَتَّى تَشْرَبَ كُلَّ مَاءٍ فِيهَا ثُمَّ تَتَفَجَّحُ فَيَحْتَلِبُونَ مَا شَاءُوا حَتَّى تَمْتَلِي أَوْلِيَانَهُمْ فَيَشْرَبُونَ وَ يَدْخِرُونَ فَإِذَا وَقَعَ الْحَرُّ تَصِيءُ بِظَهْرِ الْوَادِي فَتَهْرَبُ مِنْهَا أَنْعَامُهُمْ فَتَهْبِطُ إِلَى بَطْنِهِ وَ إِذَا وَقَعَ الْبَرْدُ تَشْتَتُ بِبَطْنِ الْوَادِي فَتَهْرَبُ مَوَاشِيَهُمْ إِلَى ظَهْرِهِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَ زَيَّنَتْ عَقْرَهَا لَهُمْ امْرَأَتَانِ عَنِيزَةُ أُمُّ عَنَمٍ وَ صِي دَفَةُ بِنْتُ الْمُخْتَارِ لَمَّا أَضْرَّتْ بِهِ مِنْ مَوَاشِيهِمَا وَ كَانَتَا كَثِيرَتِي الْمَوَاشِي فَعَقَرُوها عَقْرَهَا قُدَارُ الْأَحْمَرِ وَ اقْتَسَمُوا لَحْمَهَا وَ طَبَخُوه.

ص: ٢٦٣

١- (١) البخت: الإبل الخراسانية.

٢- (٢) العشراء من النوق: التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية، وجمعها عشراء، بكسر العين.

فَانطَلَقَ سَقَبَهَا (١) حَتَّى رَفِيَ جَبَلًا اسْمُهُ قَارَةٌ فَرَعَا ثَلَاثًا وَ كَانَ صَالِحٌ قَالَ لَهُمْ أَدْرِكُوا الْفَصِيلَ عَسَى أَنْ يُرْفَعَ عَنْكُمْ الْعَذَابُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَ انْفَجَّتِ الصَّخْرَةُ بَعْدَ رُغَائِهِ فَدَخَلَهَا فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ تَصْبِحُونَ عَدَاً وَ وُجُوهُكُمْ مُصْفَرَّةٌ وَ بَعْدَ غَدٍ وُجُوهُكُمْ مُحْمَرَّةٌ وَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ وَ وُجُوهُكُمْ مُسْوَدَّةٌ ثُمَّ يَغْشَاكُمْ الْعَذَابُ.

فَلَمَّا رَأَوْا الْعَلَامَاتِ طَلَبُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى أَرْضِ فَلَسْطِينَ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ وَ ارْتَفَعَتِ الصَّخْرَةُ تَحَنُّطًا بِالصَّبْرِ وَ تَكْفَنُوا بِالْأَنْطَاعِ فَأَتَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وَ حَسَفٌ شَدِيدٌ وَ زَلْزَالٌ فَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ فَهَلَكُوا.

و

٢٤٣٤

١٤- قَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص مَرَّ بِالْحَجْرِ فِي غَزْوِهِ تَبَوَّكَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ لَا يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْقَرْيَةَ وَلَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا وَلَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَمُرُّوا بِأَكِينٍ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ .

و

٢٤٣٥

رَوَى الْمُحَدِّثُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ لِعَلِيٍّ ع أَ تَدْرِي مَنْ أَشَقَى الْأُولِينَ قَالَ نَعَمْ عَاقِرٌ نَافِهِ صَالِحٍ قَالَ أَ تَدْرِي مَنْ أَشَقَى الْآخِرِينَ قَالَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ مَنْ يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ حَتَّى تُخْضَبَ هَذِهِ.

ص: ٢٤٤

(١- ١) السقب: ولد الناقه؛ خاص بالذكر.

روى عنه: أَنَّهُ قَالَهُ عِنْدَ دَفْنِ سَيِّدِهِ النَّسَاءِ فَطَاطَمَهُ عَ كَالْمُنَاجِي بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ص عِنْدَ قَبْرِهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنْ  
 ابْنَيْكَ النَّازِلِي فِي جَوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَبْرِي وَرَقَّ عَنِّي تَجَلُّدِي إِلَّا أَنَّ فِي النَّاسِ لِي  
 بِعَظِيمٍ فُوقَتِكَ وَفَادِحٍ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعٌ تَعَزُّ فَلَقَمْتُ وَسَدَّتْكَ فِي مَلْحُودِهِ قَبْرِكَ وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ فَا إِنَّا لِلَّهِ وَ  
 إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَلَقَمْتُ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَهُ وَأَخَذَتِ الرَّهِيْنَةَ أَمَا حَزْنِي فَسَيَّرَمَدٌ وَأَمَا لَيْلِي فَمُسَيَّهَةٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي  
 أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ وَسَيَسْتَبُكُكَ ابْنُكَ بِتَضَافِرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا فَأَحْفَهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبَرَهَا الْحَالَ هَذَا وَ لَمْ يَطْلُ الْعَهْدُ وَ لَمْ يَخُلْ  
 مِنْكَ الذِّكْرُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا سَيِّدَ الْأَمَمِ مَوْدِعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَيِّمٍ فَإِنْ أَنْصَرَفَ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ وَإِنْ أُقِمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ  
 الصَّابِرِينَ .

أما قول الرضى رحمه الله عند دفن سيده النساء فلأنه

٢٤٣٦

قَدْ تَوَاتَرَ الْخَبَرُ عَنْهُ ص أَنَّهُ قَالَ

فَاطِمَةُ

سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ .

إما هذا اللفظ بعينه أو لفظ يؤدى هذا

ص: ٢٦٥

١٤،١٥- رَوَى أَنَّهُ قَالَ وَقَدْ رَأَاهَا تَبْكِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَلَّا تَرْضَيْنَ أَنْ تُكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ .

و

رَوَى أَنَّهُ قَالَ سَادَاتُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُرَاحِمٍ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ .

قوله ع و سريعه اللحاق بك

١٤،١٥- جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ رَأَاهَا تَبْكِي عِنْدَ مَوْتِهِ فَأَسْرَّ إِلَيْهَا أَنَّتِ أَسْرَعُ أَهْلِي لِحَوْقًا بِي فَضَحِكَتْ .

قوله عن صفيتك أجله ص عن أن يقول عن ابنتك فقال صفيتك و هذا من لطيف عبارته و محاسن كنيته يقول ع ضعف جلدى و صبرى عن فراقها لكنى أتأسى بفراقى لك فأقول كل عظيم بعد فراقك جلل و كل خطب بعد موتك يسير .

ثم ذكر حاله معه وقت انتقاله ص إلى جوار ربّه فقال لقد وسدتك فى ملحوده قبرك أى فى الجبهه المشقوقه من قبرك و اللحد الشق فى جانب القبر و جاء بضم اللام فى لغه غير مشهوره.

قال و فاضت بين نحرى و صدرى نفسك

١٤- يُرَوَى أَنَّهُ ص قَدَفَ دَمًا يَسِيرًا وَقَتَ مَوْتِهِ . و من قال بهذا القول زعم أن مرضه كان ذات الجنب و أن القرحة التى كانت فى الغشاء المستبطن للأضلاع انفجرت فى تلك الحال و كانت فيها نفسه ص و ذهب قوم إلى

١٤- أَنَّ مَرَضَهُ إِنَّمَا كَانَ الْحُمَّى وَ السَّرْسَامُ الْحَارُّ وَ أَنَّ أَهْلَ دَارِهِ ظَنُّوا أَنَّ بِهِ ذَاتَ الْجَنْبِ فَلَحْدُوهُ وَ هُوَ مُغْمَى عَلَيْهِ وَ كَانَتِ الْعَرَبُ تُدَاوِي بِاللُّدُودِ (١) مَنْ بِهِ ذَاتَ الْجَنْبِ فَلَمَّا أَفَاقَ عَلِمَ أَنَّهُمْ قَدَ لَحْدُوهُ فَقَالَ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَسَيِّئَ لَهَا عَلَيَّ لَدُّوا كُلُّ مَنْ فِي الدَّارِ فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَلْدُ بَعْضًا .

١-١) فى اللسان عن الفراء:«اللد أن يؤخذ بلسان الصبى فىمد إلى أحد شقيه،و يوجر فى الآخر الدواء فى الصدف.بين اللسان و بين الشدق؛و فى الحديث أنه لد فى مرضه».

و احتج الذهابون إلى أن مرضه كان ذات الجنب بما روى من انتصابه و تعذر الاضطجاع و النوم عليه

٢٤٤٢

١٤,١- قَالَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ صَبِيحَهُ يَوْمَ قَبْلَ الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ لِي يَا سَلْمَانُ أَلَا تَسْأَلُ عَمَّا كَايَدَتْهُ اللَّيْلَةُ مِنَ الْأَلَمِ وَالسَّهْرِ أَنَا وَعَلِيٌّ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُشْهِرُ اللَّيْلَةَ مَعَكَ بَدَلَهُ فَقَالَ لَا هُوَ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ .

و زعم آخرون أن مرضه كان أثرا لأكله السم التي أكلها ع و احتجوا

٢٤٤٣

بِقَوْلِهِ ص مَا زَالَتْ أَكُلُهُ خَيْبَرٌ تُعَاوِدُنِي فَهَذَا أَوْ أَنْ قُطِعَتْ أَبْهَرِي (١) .

و من لم يذهب إلى ذات الجنب فأولوا قول علي ع فاضت بين نحري و صدرى نفسك فقالوا أراد بذلك آخر الأنفاس التي يخرجها الميت و لا يستطيع إدخال الهواء إلى الرئة عوضا عنها و لا بد لكل ميت من نفخه تكون آخر حر كاته.

و يقول قوم إنها الروح و عبر علي ع عنها بالنفس لما كانت العرب لا ترى بين الروح و النفس فرقا.

و اعلم أن الأخبار مختلفه في هذا المعنى فقد

٢٤٤٤

١٤- رَوَى كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ص بَيْنَ سَحْرِي (٢) وَ نَحْرِي .

و روى كثير منهم هذا اللفظ عن علي ع أنه قال عن نفسه و

٢٤٤٥

١٤,١- قَالَ فِي رِوَايِهِ أُخْرَى فَفَاضَتْ نَفْسُهُ فِي يَدِي فَأَمْرُزْتُهَا عَلَيَّ وَجْهِي .

ص: ٢٦٧

١- (١) الأبهري: عرق إذا انقطع مات صاحبه، و هما أبهران يخرجان من القلب، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين.

٢- (٢) السحر هنا: الرئة.



و الله أعلم بحقيقه هذه الحال و لا يبعد عندى أن يصدق الخبران معا بأن يكون رسول الله ص وقت الوفاه مستندا إلى على و عائشه جميعا فقد وقع الاتفاق على أنه مات و هو حاضر لموته و هو الذى كان يقلبه بعد موته و هو الذى كان يعلله ليالى مرضه فيجوز أن يكون مستندا إلى زوجته و ابن عمه و مثل هذا لا يبعد وقوعه فى زماننا هذا فكيف فى ذلك الزمان الذى كان النساء فيه و الرجال مختلطين لا يستتر البعض عن البعض.

فإن قلت فكيف تعمل بآيه الحجاب و ما صح من استتار أزواج رسول الله ص عن الناس بعد نزولها.

قلت قد وقع اتفاق المحدثين كلهم على أن العباس كان ملازما للرسول ص أيام مرضه فى بيت عائشه و هذا لا ينكره أحد فعلى القاعده التى كان العباس ملازمه ص كان على ع ملازمه و ذلك يكون بأحد الأمرين إما بأن نساءه لا يستترن من العباس و على لكونهما أهل الرجل و جزءا منه أو لعل النساء كن يخرمن بأخمرتهن و يخالطن الرجال فلا يرون وجوههن و ما كانت عائشه وحدها فى البيت عند موته بل كان نساؤه كلهن فى البيت و كانت ابنته فاطمه عند رأسه ص.

فأما حديث مرضه ص و وفاته فقد ذكرناه فيما تقدم.

□ □  
قوله إنا لله إلى آخره أى عبيده كما تقول هذا الشئ لزيد أى يملكه .

ثم عقب الاعتراف بالملكيه بالإقرار بالرجعه و البعث و هذه الكلمه تقال عند المصيبه كما أدب الله تعالى خلقه و عباده.

و الوديعه و الرهينه عباره عن فاطمه و من هذا الموضع أخذ ابن ثوابه الكاتب قوله عن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما حملت من مصر إلى المعتضد أحمد بن

طلحه بن المتوكل و قد وصلت الوديعه سالمه و الله المحمود و كيف يوصى الناظر بنوره أم كيف يحض القلب على حفظ سروره.

و أخذ الصابى هذه اللفظه أيضا فكتب عن عز الدوله بختيار بن بويه إلى عدّه الدوله أبى تغلب بن حمدان و قد نقل إليه ابنته قد وجهت الوديعه يا سيدى و إنما تطلب من وطن إلى سكن و من مغرس إلى مغرس و من مأوى بر و انعطاف إلى مثوى كرامه و الطاف.

فأما الرهينه فهى المرتنهه يقال للمذكر هذا رهين عندى على كذا و للأُنثى هذه رهينه عندى على كذا كأنها ع كانت عنده عوضا من رؤيه رسول الله ص كما تكون الرهينه عوضا عن الأمر الذى أخذت رهينه عليه.

ثم ذكر ع أن حزنه دائم و أنه يسهر ليله و لا ينام إلى أن يلتحق برسول الله ص و يجاوره فى الدار الآخره و هذا من باب المبالغه كما يبالغ الخطباء و الكتاب و الشعراء فى المعانى لأنه ع ما سهر منذ ماتت فاطمه و دام سهره إلى أن قتل ع و إنما سهر ليله أو شهرا أو سنه ثم استمر مريه و ارعوى رسنه فأما الحزن

٢٤٤٤

١٥، ١- فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ حَزِينًا إِذَا ذُكِرَتْ فَاطِمَةُ . هكذا وردت الروايه عنه .

قوله ع و ستنبئك ابنتك أى ستعلمك.

فأحفظها السؤال

أى استقص فى مسألتها و استخبرها الحال أحفيت إحقاء فى السؤال استقصيت و كذلك فى الحجاج و المنازعه قال الحارث بن حلزه إن إخواننا الأراقم يغلون علينا فى قبيلهم إحقاء (١).

و رجل حفى أى مستقص فى السؤال.

ص: ٢٤٩

١-١) المعلقات بشرح التبريزى ٢٤٥. يغلون؛ أى يرتفعون. و الإحقاء: الاستقصاء.

أى عن الحال فحذف الجار كقولك اخترت الرجال زيدا أى من الرجال أى سلها عما جرى بعدك من الاستبداد بعقد الأمر دون مشاورتنا ولا يدل هذا على وجود النص لأنه يجوز أن تكون الشكوى والتألم من إطراحهم وترك إدخالهم فى المشاوره فإن ذلك مما تكرهه النفوس وتتألم منه و هجا الشاعر قوما فقال و يقضى الأمر حين تغيب تيم و لا يستأذنون و هم شهود (1).

قوله هذا و لم يطل العهد و لم يخلق الذكر أى لم ينس.

فإن قلت فما هذا الأمر الذى لم ينس و لم يخلق إن لم يكن هناك نص.

قلت

٢٤٤٧

قَوْلُهُ صَ إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ التَّالِيَيْنِ.

و

٢٤٤٨

قَوْلُهُ اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ.

و أمثال ذلك من النصوص الداله على تعظيمه و تبجيله و منزلته فى الإسلام فهو ع كان يريد أن يؤخر عقد البيعه إلى أن يحضر و يستشار و يقع الوفاق بينه و بينهم على أن يكون العقد لواحد من المسلمين بموجه إما له أو لأبى بكر أو لغيرهما و لم يكن ليليق أن يبرم الأمر و هو غير حاضر له مع جلالته فى الإسلام و عظيم أثره و ما ورد فى حقه من وجوب موالاته و الرجوع إلى قوله و فعله فهذا هو الذى كان ينقم ع و منه كان يتألم و يطيل الشكوى و كان ذلك فى موضعه و ما أنكر إلا منكرا فأما النص فإنه لم يذكره ع و لا احتج به و لما طال الزمان صفح عن ذلك الاستبداد الذى وقع منهم و حضر عندهم فبايعهم و زال ما كان فى نفسه.

ص : ٢٧٠

(١-١) لجرير، من قصيده له فى ديوانه ١٦٠-١٦٦، يهجو فيها التيم، قبيل عمر بن لجا. و شهود، أى حاضررون.

فإن قلت فهل كان يسوغ لأبي بكر وقد رأى وثوب الأنصار على الأمر أن يؤخره إلى أن يخرج ع و يحضر المشوره.

قلت إنه لم يلم أبا بكر بعينه و إنما تألم من استبداد الصحابه بالأمر دون حضوره و مشاورته و يجوز أن يكون أكثر تألمه و عتابه مصروفاً إلى الأنصار الذين فتحوا باب الاستبداد و التغلب

### ما رواه أبو حيان في حديث السقيفه

٢٤٤٩

١٥، ١٤، ١١- وَ رَوَى الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ بَشِيرٍ الْمَرْوَزِيُّ الْعَامِرِيُّ فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ قَالَ أَبُو حَيَّانَ سَمَرْنَا عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي حَامِدٍ لَيْلَةً بَبْغَدَادَ بِدَارِ ابْنِ جَيْشَانَ فِي شَارِعِ الْمَادِيَانِ فَتَصَيَّرَفَ الْحَدِيثُ بِنَا كُلِّ مُتَّصِرٍ وَ كَانَ وَاللَّهِ مَعَنَا (١) مَزِيلاً مِخْلَطاً (٢) عَزِيرَ (٣) الرَّوَايَةِ لَطِيفَ الدَّرَايَةِ لَهُ فِي كُلِّ جَوْ مُتَنَفِّسٍ وَ فِي كُلِّ نَارٍ مُقْتَبَسٍ فَجَرَى حَدِيثُ السَّقِيفَةِ وَ تَنَازَعَ الْقَوْمُ الْخِلَافَةَ فَزَكَبَ كُلُّ مَنَا فَنَّا وَ قَالَ قَوْلًا وَ عَرَضَ بِشَيْءٍ وَ نَزَعَ إِلَى مِيذَهَبٍ فَقَالَ أَبُو حَامِدٍ هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْفَظُ رِسَالَةَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى عَلِيٍّ وَ جَوَابَ عَلِيٍّ لَهُ وَ مِيَّابِعَتَهُ إِيَّاهُ عَقِيبَ تَلَمَّكَ الرَّسِيَّالَةِ فَقَالَتِ الْجَمَاعَةُ لَا وَاللَّهِ فَقَالَ هِيَ وَاللَّهِ مِنْ دُرَرِ الْحَقَائِقِ الْمَصُونَةِ (٤) وَ مُخْبِيَّاتِ الصَّنَادِيقِ فِي الْخَزَائِنِ الْمُحَوَّطَةِ وَ مُنْذُ حَفِظْتُهَا مَا رَوَيْتُهَا إِلَّا لِلْمَهْلَبِيِّ (٥) فِي وَزَارَتِهِ فَكَتَبْتُهَا عَنِّي فِي خَلْوِهِ بِيَدِهِ وَ قَالَ لَا أَعْرِفُ فِي الْأَرْضِ رِسَالَةَ

ص: ٢٧١

١- ١) المعن: الخطيب المتصرف.

٢- ٢) يقال: رجل مزيل مخلط: أي فائق رائق.

٣- ٣) في صبح الأعشى: «عزير».

٤- ٤) صبح الأعشى: «من بنات الحقائق». و الحقائق: جمع حق، بالضم؛ و هو الوعاء.

٥- ٥) صبح الأعشى: «لأبي محمد المهلبى».

أَعْقَلَ مِنْهَا وَلَا أُبَيِّنُ وَإِنَّهَا لَتُدَلَّ عَلَى عِلْمٍ وَحُكْمٍ وَفَصَاحَةٍ وَفَقَاهَةٍ فِي دِينٍ وَدَهَاءٍ وَبُعْدِ غُورٍ وَشِدَّةِ غَوْصٍ.

فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ أَيُّهَا الْقَاضِي فَلَوْ أَتَمَمْتَ الْمِنَّةَ عَلَيْنَا بِرَوَائِئِهَا سَمِعْنَاهَا وَرَوَيْنَاهَا عَنْكَ فَخُنُّنٌ أَوْعَى لَهَا مِنَ الْمُهَلَّبِيِّ وَأَوْجِبُ ذِمَامًا عَلَيْكَ.

فَقَالَ (١) هَذِهِ الرِّسَالَةُ رَوَاهَا عَيْسَى بْنُ دَأْبٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ (٢) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لَمَّا اسْتَقَامَتِ الْخِلَافَةُ لِأَبِي بَكْرٍ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلَحَظَ بَعَيْنِ الْوَقَارِ وَالْهَيْبَةِ بَعْدَ هُنَيْهِ (٣) كَادَ الشَّيْطَانُ بِهَا يَسِيرُ فَدَفَعَ اللَّهُ شَرَّهَا وَأَذْحَضَ عُشْرَهَا فَرَكَّدَ كَيْدَهَا وَتَيْسَّرَ خَيْرَهَا وَقَصَمَ ظَهَرَ النِّفَاقِ وَالْفِسْقِ بَيْنَ أَهْلِهَا بَلَّغَ أَبَا بَكْرٍ عَنْ عَلِيٍّ عَ تَلَكُؤُ وَشِمَاسٍ وَتَهْمُهُمْ (٤) وَنِفَاسٌ فَكَّرَهُ أَنْ يَتِمَّادَى الْحَالُ وَتَبْدُوَ لَهُ الْعُورَةُ وَتَنْفَرِحَ (٥) ذَاتِ الْبَيْنِ وَيَصِيرَ ذَلِكَ دَرِيئَةً لِجَاهِلٍ مَعْرُورٍ أَوْ عَاقِلٍ ذِي دَهَاءٍ أَوْ صَاحِبِ سِيْلَامَةٍ ضَعِيفِ الْقَلْبِ خَوَّارِ الْعِنَانِ دَعَانِي فِي حُلُوهِ فَحَضْرَتُهُ وَعِنْدَهُ عُمَرُ وَخَدَهُ وَكَانَ عُمَرُ قَبْسًا لَهُ وَظَهِيرًا مَعَهُ يَسْتَضِيءُ بِنَارِهِ وَيَسْتَمْلِي مِنْ لِسَانِهِ فَقَالَ لِي يَا أَبَا عُبَيْدَةَ مَا أَيْمَنَ نَاصِيَتِكَ وَأَيْمَنَ الْخَيْرِ بَيْنَ عَارِضِيكَ لَقَدْ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْمَكَانِ الْمَحُوطِ وَالْمَحَلِّ الْمَغْبُوطِ وَ لَقَدْ قَالَ فِيكَ فِي يَوْمِ مَشْهُودِ أَبِي عُبَيْدَةَ أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَطَالَ مَيَا أَعَزَّ اللَّهُ الْأَشِيْلَامَ بِحُكِّكَ وَأَضِيْلَحَ ثُلْمَةَ عَلِيٍّ يَدِيْكَ وَ لَمْ تَزَلْ لِلدِّينِ نَاصِرًا وَاللِّمُؤْمِنِيْنَ رُوحًا وَ لِأَهْلِكَ رُكْنًا وَ لِإِخْوَانِكَ مَرَدًّا قَدْ أَرَدْتُكَ

ص: ٢٧٢

١ - ١ - ١) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى: «حَدَّثَنَا الْخَزَاعِيُّ بِمَكَّةَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي فُلَيْحٍ، عَنْ عَيْسَى بْنِ دَأْبِ الْمَتَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ مَوْلَى أَبَا عُبَيْدٍ يَقُولُ:».

٢ - ١ - ١) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى: «حَدَّثَنَا الْخَزَاعِيُّ بِمَكَّةَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي فُلَيْحٍ، عَنْ عَيْسَى بْنِ دَأْبِ الْمَتَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ مَوْلَى أَبَا عُبَيْدٍ يَقُولُ:».

٣ - ٣) هَمَّهُمُ الرَّجُلُ: تَكَلَّمَ كَلَامًا خَفِيًّا، وَالنَّفَاسُ: مَصْدَرُ نَافَسَ؛ أَي رَغَبَ فِي الشَّيْءِ وَ فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ وَ صَبْحِ الْأَعْشَى: «تَهْمَمُ».

٤ - ٤) نَهَايَةِ الْأَرْبِ: «و تَفَرَّقُ».

لِأَمْرِ لَهُ مَا بَعِيدُهُ خَطَرُهُ (١) مَخُوفٌ وَصَيْلَاخُهُ مَعْرُوفٌ وَ لَيْتَن لَمْ يَنْدَمِلْ جُرْحُهُ بِمَسِّ بَارِكِ (٢) وَ رِفْقَتِكَ وَ لَمْ تُحِبِّ حَيْثَهُ (٣) بِرَفِيقَتِكَ لَقَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ وَ أُغْضِلَ الْبَأْسُ وَ اِحْتِجَجَ بَعِيدَكَ إِلَى مَا هُوَ أَمْرٌ مِنْ ذَلِكَ وَ أَعْلَقَ وَ أَعْسِرَ مِنْهُ وَ أَعْلَقَ وَ اللَّهُ أَسْأَلُ تَمَامَهُ بِكَ وَ نِظَامَهُ عَلَى يَدِكَ (٤) فَتَأْتِ (٥) لَهُ يَا أَبَا عَبِيدَةَ وَ تَلَطَّفَ فِيهِ وَ انْصَحَ لَلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِهَيْدِهِ الْعِصَابِهِ غَيْرَ آلِ جُهْدًا وَ لَا قَالِ حَمْدًا وَ اللَّهُ كَالْتِيكَ وَ نَاصِرُكَ وَ هَادِيكَ وَ مُبْصِرُكَ.

امْضِ إِلَى عَلِيٍّ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لَهُ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ عِنْدَهُ وَ اعْلَمْ أَنَّهُ سَلَالَةُ أَبِي طَالِبٍ وَ مَكَانُهُ مِمَّنْ فَقَدْنَاهُ بِالْأَمْسِ مَكَانُهُ وَ قُلْ لَهُ الْبَحْرُ مُعْرِقُهُ وَ الْبُرُّ مُفْرِقُهُ وَ الْجَوُّ أَكْلَفُ وَ اللَّيْلُ أَغْلَفُ وَ السَّمَاءُ جَلَوَاءُ وَ الْأَرْضُ صَلْعَاءُ وَ الصُّعُودُ مُتَعَذِّرٌ وَ الْهُبُوطُ مُتَعَسِّرٌ وَ الْحَقُّ عَطُوفٌ رَعُوفٌ وَ الْبَاطِلُ نَسُوفٌ عَصُوفٌ وَ الْعُجْبُ مُقْمِدِحُهُ الشَّرُّ وَ الضُّعْنُ رَائِدُ الْبَوَارِ وَ التَّعْرِيزُ شَجَارُ (٦) الْفِتْنَةُ وَ الْقِحَةُ مِفْتَاحُ الْعِدَاوَةِ وَ الشَّيْطَانُ مُتَّكِيٌّ عَلَى شِمَالِهِ بَاسِطٌ لِيَمِينِهِ نَافِجٌ (٧) حِضْنِيهِ لِأَهْلِهِ يَنْتَظِرُ الشَّتَاتِ وَ الْفُرْقَةَ وَ يَدْبُ بَيْنَ الْأُمَّةِ بِالشَّحْنَاءِ وَ الْعِدَاوَةِ (٨) عِنَادًا لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِدِينِهِ يَوْسُوسٌ بِالْفُجُورِ (٩) وَ يُدْلِي بِالْغُرُورِ وَ يَمْنَى أَهْلَ الشُّرُورِ وَ يُوحِي إِلَى أَوْلِيَانِهِ بِالْبَاطِلِ دَابًّا لَهُ مُنْذُ كَانَ عَلَى عَهْدِ أَبِيْنَا

ص: ٢٧٣

١- ١) د: «خطر مخوف». صبح الأعشى: «لأمر خطر مخوف».

٢- ٢) المسبار: الميل الذي يسبر به الجرح. و في صبح الأعشى: «بيسارك».

٣- ٣) الجب: القطع عامه.

٤- ٤) صبح الأعشى: «يديك».

٥- ٥) تأت: تهيأ للأمر برفق و حسن حيله. و في ب: «تأن».

٦- ٦) الشجار: مركب أصغر من الهودج، ضربه مثلا.

٧- ٧) في اللسان: «كل ما ارتفع فقد نفع و انتفج و تنفج، و نفجه هو... و نفجت الشيء فانتفج، أى رفعته و عظمته... و في حديث

على: «نافجا حضيته» كنى به عن التعاضم و التكبر و الخيلاء. و الحضن: الجنب؛ و هما حضنان.

٨- ٨- ٨) صبح الأعشى: «عنادا لله عز و جل أولا، و لآدم ثانيا، و لنبه صلى الله عليه و سلم و لدينه ثالثا؛ يوسوس بالفجور».

٩- ٨- ٨) صبح الأعشى: «عنادا لله عز و جل أولا، و لآدم ثانيا، و لنبه صلى الله عليه و سلم و لدينه ثالثا؛ يوسوس بالفجور».

آدَمَ وَ عِيَادَهُ مِنْهُ مُنذُ أَهَانَهُ اللَّهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ لَا يُنَجِّي (١) مِنْهُ إِلَّا بَعْضُ النَّاجِدِ عَلَى الْحَقِّ وَ غَضُّ الطَّرْفِ عَنِ الْبَاطِلِ وَ وَطْءِ هَامِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ الدِّينِ بِالْأَشَدِّ فَالْأَشَدُّ وَ الْأَجْدُّ فَالْأَجْدُّ وَ إِسْلَامِ النَّفْسِ لِلَّهِ فِيمَا حَازَ رِضَاهُ وَ جُنِبَ سَخَطُهُ.

وَ لَا بُدَّ مِنْ قَوْلٍ يَنْفَعُ إِذْ قَدْ أَضَرَ السُّكُوتُ وَ خِيفَ عُنْبُهُ وَ لَقَدْ أَرْشَدَكَ مِنْ أَفَاءِ ضَالَّتِكَ وَ صَافَاكَ مِنْ أَحْيَا مَوَدَّتَهُ لَكَ بِعِتَابِكَ وَ أَرَادَ الْخَيْرَ بِكَ مِنْ آثَرِ الْبُقْيَا مَعَكَ.

مَا هَذَا الَّذِي تُسَوَّلُ لَكَ نَفْسُكَ وَ يَدْوَى (٢) بِهِ قَلْبُكَ وَ يَلْتَوِي عَلَيْهِ رَأْيُكَ وَ يَتَخَاوَصُ (٣) دُونَهُ طَرْفُكَ وَ يَسْتَشْرِي بِهِ ضِعْنُكَ وَ يَتَرَادُ مَعَهُ نَفْسُكَ وَ تَكْثُرُ لِأَجْلِهِ ضِعْمَاؤُكَ وَ لَا يَفِيضُ بِهِ لِسَانُكَ أَعْجَمَهُ بَعْدَ إِفْصَاحِ أَلْبَسَا بَعْدَ إِفْصَاحِ أَدِينَا غَيْرِ دِينِ اللَّهِ أَخْلُقًا غَيْرِ خُلُقِ الْقُرْآنِ أَهْدِيَا غَيْرِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ أَمْثَلِي يُمَشِي لَهُ الضَّرَاءُ وَ يُدْبُ لَهُ الْخَمْرُ (٤) أَمْ مِثْلُكَ يُعْصُ عَلَيْهِ الْفَضَاءُ وَ يُكْسِفُ فِي عَيْنِهِ الْقَمْرُ مَا هَذِهِ الْقَعْقَعَةُ بِالشَّنَانِ (٥) وَ الْوَعْوَعَةُ بِاللِّسَانِ إِنَّكَ لِحَدُّ عَارِفٍ (٦) بِأَسْمَاءِ تَجَابَتْنَا لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ خُرُوجِنَا مِنْ أَوْطَانِنَا وَ أَوْلَادِنَا وَ أَحْبَبَتْنَا هَجْرَةَ إِلَى اللَّهِ وَ نُصْرَةَ لِدِينِهِ فِي زَمَانٍ أَنْتَ مِنْهُ فِي كِنِّ الصَّبَا وَ خِدْرِ الْغِرَارِ غَافِلٌ تَشَبُّبٌ وَ تَرْبُّبٌ لَا تَعِي مَا يُشَادُ وَ يُرَادُ وَ لَا تَحْصُلُ مَا يُسَاقُ وَ يُفَادُ سِوَى مَا أَنْتَ جَارٍ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِ الصَّبِيَانِ أَمْثَالِكَ وَ سَجَايَا الْفِتْيَانِ أَشْكَالِكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِلَى غَايَتِكَ هَذِهِ الَّتِي إِلَيْهَا أُجْرِيَتْ (٧) وَ عِنْدَهَا حُطَّ رَحْلُكَ غَيْرَ مَجْهُولِ الْقَدْرِ

ص: ٢٧٤

١-١ (١) صبح الأعشى: «لا منجى».

٢-٢ (٢) دوى الصدر يدوى؛ من باب علم: ضغن.

٣-٣ (٣) تخاوص: غرض بصره عن الأمر شيئا.

٤-٤ (٤) مثل يضرب للرجل يختل صاحبه و يمكر به. و يقال: ما واراك من أرض فهو الضراء، و ما واراك من شجر فهو الخمر.

٥-٥ (٥) يقال فلان لا يققع له بالشنان، أى لا يخدع و لا يروع، و أصله من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع.

٦-٦ (٦) صبح الأعشى: «إنك و الله».

٧-٧ (٧) صبح الأعشى: «التي إليها عدل بك».

وَلَا مَجْجُودِ الْفُضْلِ وَ نَحْنُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ نُعَانِي أحوَالاً تُزِيلُ الرِّوَايَةَ وَ نَقَاسِي أَهْوَالاً تُشَيِّبُ النَّوَاصِي خَائِضِينَ غَمَارَهَا رَاكِبِينَ  
تَيَّارَهَا تَنْجِرُوعَ صَيْلِبِهَا وَ نُشْرِجُ (١) عِيَابَهَا وَ نَحْكُمُ آسَاسِيهَا وَ نُبْرِمُ أَمْرَاسِيهَا وَ الْعُمُونَ تَحْدِجُ (٢) بِالْحَسِيدِ وَ الْأُنُوفُ تَعْطُسُ بِالْكَبِيرِ وَ  
الْصُّدُورُ تَسْتَعْرِزُ بِالْغَيْظِ وَ الْأَعْنَاقُ تَتَطَاوَلُ بِالْفَخْرِ وَ الْأَسِنَّةُ (٣) تَشْحَدُ بِالْمَكْرِ وَ الْأَرْضُ تَمِيدُ بِالْخَوْفِ لَا نَنْتَظِرُ عِنْدَ الْمَسَاءِ صَبَاحاً وَ  
لَا عِنْدَ الصَّبَاحِ مَسَاءً وَ لَا نَدْفَعُ فِي نَحْرِ أَمْرٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَحْسُوَ الْمَوْتَ دُونَهُ وَ لَا نَبْلُغُ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ تَجَرُّعِ الْعَذَابِ قَبْلَهُ وَ لَا نَقُومُ  
مُنَاداً إِلَّا بَعْدَ الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ عِنْدَهُ فَأَدِينُ فِي كُلِّ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ص بِالْأَبِ وَ الْأُمِّ وَ الْخَالِ وَ الْعَمِّ وَ الْمَالِ وَ النَّسَبِ وَ السَّيِّدِ (٤)  
وَ اللَّبْدِ وَ الْهَلَّةِ وَ الْبِلَّةِ (٥) بِطَيْبِ أَنْفُسٍ وَ قُرْهِ أَعْيُنٍ وَ رَحْبِ أَعْطَانٍ وَ ثَبَاتِ عَزَائِمٍ وَ صِحَّةِ عُقُولٍ وَ طَلَافِهِ أَوْجِهِ وَ ذَلَاقِهِ أَلْسِنِهِ هَذَا  
إِلَى خِيَّيَاتِ أَسِيرَارٍ وَ مَكْنُونَاتِ أَخْبَارٍ كُنْتُ عَنْهَا غَافِلاً وَ لَوْ لَا سِتْرُكَ لَمْ تَكُنْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا نَاكِلاً كَيْفَ وَ فَوَؤُذَكَ مَشْهُومٌ (٦) وَ  
عَوْدَكَ مَعْجُومٌ وَ غَيْبِكَ مَخْبُورٌ وَ الْخَيْرُ مِنْكَ كَثِيرٌ فَالآنَ قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِكَ وَ أَرْهَصَ (٧) الْخَيْرَ لَكَ [وَ جَعَلَ مُرَادَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ]

(٨) فَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ (٩) وَ اقْبَلْ مَا يَعُودُ قَبُولُهُ عَلَيْكَ (١٠) وَ دَعِ التَّحَبُّسَ وَ التَّعَبُّسَ (١١)

ص: ٢٧٥

- ١-١) أشرح العيبه: شد عراها.  
٢-٢) تحدج: تحديق.  
٣-٣) صبح الأعشى: «و الشفار».  
٤-٤) فى اللسان: «السبد الوبر، وقيل: الشعر؛ و العرب تقول: «ما له سبد و لا لبد»، أى ما له ذو و بر و لا صوف متلبد؛ يكنى بهما عن الإبل و الغنم، و قيل: يكنى به عن المعز و الضأن... و قال الأصمعى: ما له سبد و لا لبد، أى ما له قليل و لا كثير».  
٥-٥) فى اللسان: «ما جاء بهله و لا بله؛ الهله من الفرح و الاستهلال، و البله: أذى بلل من الخير، و حكاها كراع جميعا بالفتح. و يقال: ما أصاب عنده هله و لا بله، أى شيئا».  
٦-٦) مشهوم، أى ذكى متوقد.  
٧-٧) أرهص الخير لك: هياها، و جعله دانيا منك.  
٨-٨) من صبح الأعشى.  
٩-٩) فى صبح الأعشى: «و عن علم أقول ما تسمع».  
١٠-١٠) فى صبح الأعشى: «فارتقب زمانك، و قلص أردانك».  
١١-١١) نهايه الأرب: «التقاعس».



لِمَنْ لَا يَضْلِعُ (١) لِمَكَ إِذَا خَطَا وَلَا يَتْرَخُزُحُ عَنْكَ إِذَا عَطَا فَالْأَمْرُ غَضٌّ وَفِي النُّفُوسِ مَضٌّ وَأَنْتَ أَدِيمٌ هَيْدِهِ الْأَمَّةُ فَلَا تَحْلَمُ (٢)  
لِحَاجًا وَسَيِّفُهَا الْعَضْبُ فَلَا تَنْبُ اعْوِجَاجًا وَمَاؤُهَا الْعَيْدُ فَلَا تَحُلُّ أُجَاجًا وَاللَّهُ لَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص عَنْ هَذَا لِمَنْ هُوَ فَقَالَ  
هُوَ لِمَنْ يَزْعُبُ عَنْهُ لَا لِمَنْ يُجَاحِشُ (٣) عَلَيْهِ وَ لِمَنْ يَتَضَاءَلُ لَهُ لَا لِمَنْ يَشْمُخُ إِلَيْهِ وَ هُوَ لِمَنْ يُقَالُ لَهُ هُوَ لَكَ لَا لِمَنْ يَقُولُ هُوَ لِي.

وَلَقَدْ شَاوَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ص فِي الصُّهْرِ فَذَكَرَ فِتْيَانًا مِنْ قُرَيْشٍ فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلِيٍّ فَقَالَ إِنِّي لَأَكْرَهُ لِفَاطِمَةَ مَيْعَةَ شَبَابِهِ (٤)  
وَ حِدَهُ سِتْنَةً فَقُلْتُ مَتَى كَفَفْتَهُ يَدُكَ وَ رَعْتَهُ عَيْنَكَ حُفَّتْ بِهِمَا الْبُرْكَهُ وَ أُسْبِعْتَ عَلَيْهِمَا النِّعْمَةَ مَعَ كَلَامٍ كَثِيرٍ خَطَبْتُ بِهِ رَغْبَتَهُ فِيكَ  
وَ مَا كُنْتُ عَرَفْتُ مِنْكَ فِي ذَلِكَ حَوْجَاءَ وَ لَا لَوْجَاءَ (٥) وَ لَكِنِّي قُلْتُ مَا قُلْتُ وَ أَنَا أَرَى مَكَانَ غَيْرِكَ وَ أَجِدُ رَائِحَةَ سِوَاكَ وَ  
كُنْتُ لِمَكَ إِذْ ذَاكَ خَيْرًا مِنْكَ الْآنَ لِي وَ لَئِنْ كَانَ عَرَضَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي هَذَا الْأَمْرِ فَقَدْ كُنْتُ عَنْ غَيْرِكَ (٦) وَ إِنْ قَالَ  
فِيكَ فَمَا سَكَتَ عَنْ سِوَاكَ وَ إِنْ اخْتَلَجَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَلِّمْ فَالْحُكْمَ مَرْضِيٍّ وَ الصَّوَابُ مَسْمُوعٌ وَ الْحَقُّ مُطَاعٌ.

وَ لَقَدْ نَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَيَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ (٧) وَ هُوَ عَنْ هَيْدِهِ الْعِصَابَةِ رَاضٍ وَ عَلَيْهَا حَيْدُ بَيْسِرُهُ مَا سِيرَهَا وَ يَكِيدُهُ مَا كَادَهَا وَ  
يُزْضِيهِ مَا أَرْضَاهَا وَ يُسَخِّطُهُ

ص: ٢٧٤

١-١) الضلع: الاعوجاج، و في صبح الأعشى و نهايه الأرب: «يطلع».

٢-٢) لا تحلم، لا تفسد، و أصله في الجلد.

٣-٣) يجاحش، أى يدفع الناس عنه ليختص به لنفسه.

٤-٤) ميعه الشباب: أوله.

٥-٥) في اللسان: «الحوجاء: الحاحه، و يقال: ما في صدرى به حوجاء و لا لوجاء، و لا شك و لا مريه بمعنى واحد».

٦-٦) صبح الأعشى و نهايه الأرب: «فلم يكن معرضا عن غيرك».

٧-٧) صبح الأعشى: «إلى الله عزّ و جلّ».

مَا أَسِيخَطَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ (١) أَنَّهُ لَمْ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَصِيحَابِهِ وَخُلَطَائِهِ وَأَقَارِبِهِ وَسِيَجَرَائِهِ (٢) إِلَّا أَبَانَهُ بِفَضِيلِهِ وَخَصَّهُ بِمَزِيَّتِهِ وَأَفْرَدَهُ بِحَالِهِ لَوْ أَصْفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ لِأَجْلِهَا لَكَانَ عِنْدَهُ إِيَّاكْتُهَا وَكَفَالَتُهَا.

أَتَظُنُّ أَنَّهُ عَ تَرَكَ الْأُمَّةَ سِيَدِي (٣) بَدَدًا عَدَا (٤) مَبَاهِلَ عَبَاهِلَ (٥) طَلَاحِي (٦) مَفْتُونَهُ بِالْبَاطِلِ مَلُويَةً (٧) عَنِ الْحَقِّ لَا ذَائِدَ وَلَا رَائِدَ وَلَا ضَابِطَ وَلَا خَابِطَ وَلَا رَابِطَ وَلَا سَافِيَّ وَلَا وَاقِيَّ وَلَا هَادِيَّ وَلَا هَادِيَّ كَلَّا وَاللَّهِ مَا اشْتَقَّ إِلَى رَبِّهِ وَلَا سَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَى رِضْوَانِهِ إِلَّا بَعِيدَ أَنْ أَقَامَ الصُّوَى وَأَوْضَحَ الْهُدَى وَأَمِنَ الْمَهَالِكَ (٨) وَحَمَى الْمَطَارِحَ وَالْمَبَارِكَ وَالْأَبْعَدَ أَنْ شَدَّخَ يَأْفُوحَ الشُّرُوكَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَشَرَمَ وَجَهَ النَّفَاقِ لَوْجِهِ اللَّهُ وَجَدَّعَ أَنْفَ الْفِتْنَةِ فِي دِينِ اللَّهِ وَتَفَلَّ فِي عَيْنِ الشَّيْطَانِ بِعَوْنِ اللَّهِ وَصَدَّعَ بِمَلَأٍ فِيهِ وَيَدِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ.

وَ بَعِيدُ فَهَوُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عِنْدَكَ وَمَعَكَ فِي بُقْعِهِ جَامِعِهِ وَدَارٍ وَاحِدِهِ إِنْ اشْتَقَادُوا (٩) لَكَ وَأَشَارُوا بِكَ فَأَنَا وَاضِعُ يَدِي فِي يَدِكَ وَصَائِرٌ إِلَى رَأْيِهِمْ فِيكَ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَادْخُلْ فِي صَالِحٍ مَا دَخَلَ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ وَكُنِ الْعَوْنَ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَالْفَاتِحَ لِمَعَالِقِهِمْ وَالْمُرْشِدَ لِضَالِّهِمْ وَالرَّادِعَ لِعَاوِيهِمْ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَأَهَابَ إِلَى التَّنَاصِيرِ عَلَى الْحَقِّ وَدَعْنَا نَقْضِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِصُدُورِ بَرِيئَةٍ مِنَ الْغُلِّ وَنَلْقَى اللَّهَ بِقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ مِنَ الضُّغْنِ.

ص: ٢٧٧

١-١) صبح الأعشى: «أ ما تعلم».

٢-٢) السجاء: جمع سجير، وهو الصديق.

٣-٣) سدى: مهملون.

٤-٤) بددا: متفرقون، و عدا: متباعدون.

٥-٥) عباهل مباحل: مهملون أيضا.

٦-٦) الطلاحي: الإبل التي تشكو بطونا من أكل الطلح؛ أراد به هاهنا القوم الذين لا راعى لهم يصددهم عما يضرهم.

٧-٧) صبح الأعشى: «مغبونه».

٨-٨) صبح الأعشى: «و أمن المسالك».

٩-٩) صبح الأعشى: «إن استقالوني لك، و أشاروا عندي بك».

وَ إِنَّمَا النَّاسُ (١) ثَمَامَةٌ (٢) فَارْتُقُ بِهِمْ وَ اِحْنُ عَلَيْهِمْ وَ لَنْ لَهُمْ وَ لَا- تُسْأَلُ لَكَ نَفْسُكَ فُرْقَتَهُمْ وَ اخْتِلَافَ كَلِمَتِهِمْ وَ اَثْرُكَ نَاجِمِ الشَّرِّ حَصِيْدًا وَ طَائِرِ الْحِقْدِ وَاقِعًا وَ بَابِ الْفِتْنَةِ مُغْلَقًا لَا قَالَ وَ لَا قِيلَ وَ لَا لَوْمْ وَ لَا تَعْنِيفَ وَ لَا عِتَابَ وَ لَا تَثْرِيْبَ وَ اللَّهُ عَلَيَّ مَا أَقُولُ وَ كَيْلَ وَ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ بَصِيْرٌ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَلَمَّا تَهَيَّأْتُ لِلنُّهُوضِ قَالَ لِي عَمْرُ كُنْ عَلَيَّ الْبَابِ هُنَيْهَةً فَلَئِي مَعَكَ ذَرُو (٣) مِنَ الْكَلَامِ فَوَقَفْتُ وَ مَا أَدْرِي مَا كَانَ بَعِيْدِي إِلَّا أَنَّهُ لِحِقْنِي بُوْجِهِي يَنْدِي تَهْلُلًا وَ قَالَ لِي قُلْ لِعَلِّي الرُّقَادُ مَحْلَمَةٌ وَ اللَّجَاجُ مَلْحَمَةٌ وَ الْهَوَى مَفْحَمَةٌ وَ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَ حَقٌّ مُشَاعٌ أَوْ مَقْسُومٌ وَ بِنَاءٌ ظَاهِرٌ أَوْ مَكْتُومٌ وَ إِنَّ أَكْبَسَ الْكَيْسَى مَنْ مَنَحَ الشَّارِدَ تَأْلُفًا وَ قَارَبَ الْبَعِيْدَ تَلْطُفًا وَ وَزَنَ كُلَّ أَمْرٍ بِمِيزَانِهِ وَ لَمْ يَجْعَلْ خَبْرَهُ كَعِيَانِهِ وَ لَا- قَاسَ فِتْرَةَ بِشَبْرِهِ دِينَارًا كَانَ أَوْ ذُنْيَا وَ ضَلَالًا كَانَ أَوْ هَيْدَى وَ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ مُعْتَمَلٍ (٤) فِي جَهْلٍ وَ لَا فِي مَعْرِفَةٍ مَشُوبَةٍ بِنُكْرٍ وَ لَسْنَا كَجِلْدِهِ رُفْعُ الْبَعِيْرِ بَيْنَ الْعِجَانِ وَ بَيْنَ الذَّنْبِ (٥).

وَ كُلُّ صَالٍ فَبِنَارِهِ يَضِيْلِي وَ كُلُّ سَيِّئٍ فِإِلَى قَرَارِهِ يُجْرِي وَ مَا كَانَ سِيْكُوتُ هَيْدِهِ الْعِصَابَةِ إِلَيَّ هَذِهِ الْغَايَةِ لِعِيٍّ وَ حَضِيْرٍ وَ لَا كَلَامُهَا الْيَوْمَ لِفَرْقٍ أَوْ حِيْدَرٍ فَصَدَّ حِيْدَعُ اللَّهِ بِمُحَمَّدٍ عَ أَنْفٍ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ وَ قَصَمَ بِهِ ظَهْرَ كُلِّ جَبَّارٍ وَ سَلَّ لِسَانَ كُلِّ كَاذِبٍ فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ.

مَا هَيْدِهِ الْخُنْزَوَانَةُ (٦) الَّتِي فِي فِرَاشِ رَأْسِكَ وَ مَا هَيْدَا الشَّجَا الْمُعْتَرِضُ فِي مِيْدَارِجِ أَنْفَاسِكَ وَ مَا هَيْدِهِ الْوَحْرَةُ (٧) الَّتِي أَكَلَتْ شِرَاسِيْفَكَ (٨) وَ الْقَدَاهُ الَّتِي أَعَشَتْ نَاطِرَكَ وَ مَا هَذَا الدَّحْسُ (٩).

ص: ٢٧٨

١-١ (١) صبح الأعشى: «و بعد فإنما الناس».

٢-٢ (٢) الثمامة: واحد الثمام، نبت ضعيف، يضرب به المثل لما هو هين.

٣-٣ (٣) ذرو من الكلام: طرف منه، و في صبح الأعشى: «دور» تحريف.

٤-٤ (٤) صبح الأعشى و نهايه الأرب: «مستعمل».

٥-٥ (٥) الرفع: أصول الفخذين من باطن.

٦-٦ (٦) الخنزوانه: الكبر.

٧-٧ (٧) الوحرة: العداوه؛ و أصلها دويبه يشبه بها.

٨-٨ (٨) الشراسيف في الأصل: جمع شرسوف، و هو غضروف معلق بكل ضلع، مثل غضروف الكتف.

٩-٩ (٩) الدحس: التدسيس في الأمر.

وَالدَّسُّ اللَّذَانِ يَدُلَّانِ عَلَى ضَيْقِ الْبَاعِ وَخَوْرِ الطَّبَاعِ وَمَا هَذَا الَّذِي لَيْسَتْ بِسَبِيهِ جِلْدُ النَّمْرِ وَاسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ بِالشَّخْنَاءِ وَالنُّكْرِ لَشَدِّ مَا اسْتَسَعَيْتَ لَهَا وَسَرِيَتْ سُرَى ابْنِ أَنْقَدَ (١) إِلَيْهَا إِنْ الْعَوَانَ لَا تَعْلَمُ (٢) الْخَمْرَةَ مَا أَحْوَجَ الْفَرْعَاءَ إِلَى فَالِيهِ وَمَا أَفْقَرَ الصَّلْعَاءَ إِلَى حَالِيهِ وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَالْأَمْرُ مُعَبَّدٌ (٣) مُخَيِّسٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ مَلَمَسٌ لَمْ يُسَيِّرْ فِيكَ قَوْلًا وَ لَمْ يَسْتَنْزِلْ لَكَ قُرْآنًا وَ لَمْ يَجْزِمَ فِي شَأْنِكَ حُكْمًا لَسْنَا فِي كَسْرِيهِ كَسْرِي وَ لَا قَيْصَرِيهِ قَيْصَرٌ [تَأْمَلْ إِخْوَانَ فَارِسَ وَ أَبْنَاءَ الْأَصْفَرِ قَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ جُزْرًا لِسُيُوفِنَا وَ دَرِيئَةً لِرِمَاحِنَا وَ مَرَمَى لِبَطْعَانِنَا بَل]

(٤) نَحْنُ فِي نُورِ نُبُوِّهِ وَ ضِيَاءِ رِسَالِهِ وَ ثَمَرِهِ حِكْمِهِ وَ أَثَرِ رَحْمَتِهِ وَ عُنْوَانِ نِعْمَتِهِ وَ ظِلِّ عِصْمَتِهِ بَيْنَ أُمَّهُ مَهْدِيهِ بِالْحَقِّ وَ الصِّدْقِ مُأْمُونِهِ عَلَى الرِّثْقِ وَ الْفَتْحِ لَهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى قَلْبُ أَبِي وَ سَاعِدُ قَوِي وَ يَدُ نَاصِرِهِ وَ عَيْنُ نَاطِرِهِ.

أَ تَظُنُّ ظَنًّا أَنْ أَبَا بَكْرٍ وَثَبَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُفْتَاتًا عَلَى الْأُمِّهِ خَادِعًا لَهَا وَ مُتَسَلِّطًا عَلَيْهَا أ تَرَاهُ امْتَلَحَ أَحْلَامَهَا (٥) وَ أَرَاغَ أَبْصَارَهَا وَ حَلَّ عُقُودَهَا وَ أَحَالَ عُقُولَهَا وَ اسْتَلَّ مِنْ صُدُورِهَا حَمِيَّتَهَا وَ انْتَكَتْ رِشَاءَهَا وَ انْتَضَبَ مَاءَهَا وَ أَضَلَّهَا عَنْ هُدَاهَا وَ سَاقَهَا إِلَى رَدَاهَا وَ جَعَلَ نَهَارَهَا لَيْلًا وَ وَزَنَهَا كَيْلًا وَ يَقَطَّتْهَا رُقَادًا وَ صَيَّلَ لَهَا فَسَادًا إِنْ كَانَ هَكَذَا إِنْ سَيَّحَرَهُ لَمْ يَبِينْ وَ إِنْ كَيْدَهُ لَمْ يَتِينْ كَلًّا وَ اللَّهُ بِأَيِّ حَيْلٍ وَ رَجَلٍ وَ بِأَيِّ سِنَانٍ وَ نَضِلِّ وَ بِأَيِّ مَنِّهِ وَ قُوِّهِ وَ بِأَيِّ مَالٍ وَ عُدَّةٍ وَ بِأَيِّ أَيْدٍ وَ شِدَّةٍ وَ بِأَيِّ عَشِيَّةٍ يَرِيهِ وَ أُسْرِهِ وَ بِأَيِّ قُدْرَةٍ وَ مُكْنِيهِ وَ بِأَيِّ تَدْرُوعٍ وَ بَسِيْطِهِ لَقَدْ أَضْبَحَ بِمَا وَسَمَّتَهُ مَنِيْعَ الرَّقْبَةِ رَفِيْعَ الْعَتْبَةِ لَا وَ اللَّهُ لَكِنْ سَلَا عَنْهَا فَوَلَّهَتْ نَحْوَهُ وَ تَطَامَنَ لَهَا فَالْتَفَتْ بِهِ وَ مَالَ عَنْهَا فَمَالَتْ إِلَيْهِ وَ اشْمَأَزَّ (٦) دُونَهَا فَاسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ حَبْوَةٌ حَبَاهُ اللَّهُ بِهَا وَ غَايَهُ بَلَّغَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا وَ نِعْمَتَهُ سَيَّرَبَلَّهُ جَمَالَهَا وَ يَدَّ لِلَّهِ أَوْجَبَ عَلَيْهِ شُكْرَهَا وَ أُمَّهُ نَظَرَ اللَّهُ بِهِ

ص: ٢٧٩

١-١) ابن أنقذ: القنفذ.

٢-٢) إن العوان لا تعلم الخمره، مثل، و العوان: المرأه التي أسنت و المتهرم.

٣-٣) المعبد: المذلل؛ و مثله المخيس.

٤-٤) تكلمه من صبح الأعشى.

٥-٥) امتلح أحلامها: اجتذبتها؛ يريد أمال عقولها نحوه.

٦-٦) اشماز: انقبض.

لَهَا (١) وَ طَالَ مَا حَلَقْتُ فُوقَهُ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ ص وَ هُوَ لَا يَلْتَفِتُ لِفَتْهَا وَلَا يَرْتَصِدُ وَفَتْهَا وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ وَ أَرْأَفُ بِعِبَادِهِ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرُ وَ إِنَّكَ بِحَيْثُ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُكَ مِنْ بَيْتِ النَّبِيِّ وَ مَعْدِنِ الرَّسَالَةِ وَ كَهْفِ الْحِكْمَةِ وَ لَا يُجْحَدُ حَقُّكَ فِيَمَا آتَاكَ رَبُّكَ مِنَ الْعِلْمِ وَ مَنَحَكَ مِنَ الْفَقْهِ فِي الدِّينِ هَذَا إِلَى مَرَايَا خُصِّصَتْ بِهَا وَ فَضَائِلَ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا وَ لَكِنْ لَكَ (٢) مِنْ يُزَاحِمُكَ بِمَنْكِبٍ أَضْحَمَ مِنْ مَنْكِبِكَ وَ قُرْبَى أَمَسَ مِنْ قُرْبَاكَ وَ سَنُّ أَعْلَى مِنْ سَنِّكَ وَ شَيْبَهُ أَرْوَعَ مِنْ شَيْبَتِكَ وَ (٣) سِيَادَهُ مَعْرُوفَهُ فِي الْإِسْلَامِ وَ الْجَاهِلِيَّةِ (٤) وَ مَوَاقِفَ لَيْسَ لَكَ فِيهَا جَمَلٌ وَ لَا نَاقَةٌ وَ لَا تُذَكَّرُ فِيهَا فِي مُقَدِّمِهِ وَ لَا سَاقِهِ وَ لَا تُضْرَبُ فِيهَا بِإِذْرَاعٍ وَ لَا إِصْبَعٍ وَ لَا تُعَدُّ (٥) مِنْهَا بِنَازِلٍ وَ لَا هَبِيعٍ (٦) .

إِنَّ أَرِيَّا بَكَرٍ كَمَا نَحَبَهُ قَلْبُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ عِلَاقَهُ (٧) هَمَّهُ وَ عَيْنِيهِ سِرِّهِ وَ مَتَوَى حُزْنِهِ وَ رَاحَهُ يَأَلِهِ وَ مَرَمَقَ طَرْفِهِ (٨) شُهْرَتُهُ مُعْنِيَهُ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ (٩) .

وَ لَعَمْرِي إِنَّكَ لَمَأْفُوبٌ مِنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قَرَابَةٌ وَ لَكِنَّهُ أَقْرَبُ مِنْكَ قُرْبَةً وَ الْقَرَابَةُ لَحْمٌ وَ دَمٌ وَ الْقُرْبَةُ رُوحٌ وَ نَفْسٌ وَ هَذَا فَرْقٌ يَعْرِفُهُ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِدَلِيلِكَ صَارُوا إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ .

وَ مَهْمَا شَكَّكَ فَلَا تُشَكِّكَ فِي أَنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَ رِضْوَانَهُ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ فَادْخُلْ فِيَمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ الْيَوْمَ وَ أَنْفَعُ غَدًا وَ الْفُظُّ مِنْ فَيْكَ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ (١٠) بِلَهَاتِكَ وَ أَنْفُثْ

ص : ٢٨٠

١-١) صبح الأعشى: «إليها».

٢-٢) في الأصول: «كل»، و أثبت ما في صبح الأعشى.

٣-٣-٣) صبح الأعشى: «و سياده لها أصل في الجاهلية و فرع في الإسلام».

٤-٣-٣) صبح الأعشى: «و سياده لها أصل في الجاهلية و فرع في الإسلام».

٥-٥) البازل من الإبل: ما دخل في التاسعة. و الهبع: البعير ينتج في الصيف؛ يريد: ليس لك فيها شيء.

٦-٦) صبح الأعشى: «علاقه نفسه».

٧-٧) بعدها في صبح الأعشى: «و ذلك كله بمحضر الصادر و الوارد من المهاجرين و الأنصار».

٨-٨) صبح الأعشى: «الدليل».

٩-٩) صبح الأعشى: «يعلق».

-١٠

سَخِيْمَه صَدْرِكَ فَإِنْ يَكُنْ فِي الْأَمَدِ طَوْلٌ وَ فِي الْأَجْلِ فَسِيْحَه فَسَيَتَأْكُلُه مَرِيئًا أَوْ غَيْرَ مَرِيءٍ وَ سَتَشْرِبُه هَنِيئًا أَوْ غَيْرَ هَنِيءٍ حِينَ لَا رَادَّ لِقَوْلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ آيسًا مِنْكَ وَ لَا تَابِعَ لَكَ إِلَّا مَنْ كَانَ طَامِعًا فِيكَ حِينَ يَمْضُ إِهَابَكَ وَ يَفْرِي أَدِيمَكَ وَ يُزْرِي عَلَيَّ هَيْدِيكَ هُنَاكَ تَقْرَعُ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ وَ تَشْرَبُ الْمَاءَ مَمْرُوجًا بِعَدَمٍ حِينَ (١) تَأْسِي عَلَيَّ مَا مَضَى مِنْ عُمْرِكَ وَ انْقَضَى وَ انْقَرَضَ مِنْ دَارِجٍ قَوْمِكَ وَ تَوُدُّ أَنْ لَوْ سِيْقِيَتْ بِالْكَأْسِ الَّتِي سَيَقِيْتَهَا غَيْرُكَ وَ رُدِدْتَ إِلَى الْحَالِ الَّتِي كُنْتَ تَكْرَهُهَا فِي أَمْسِكَ وَ لِلَّهِ فِيْنَا وَ فِيكَ أَمْرٌ هُوَ بِالْعُهُ وَ عَاقِبُهُ هُوَ الْمَرْجُو لِسَرَائِهَا وَ ضَرَائِهَا وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْغَفُورُ الْوَدُودُ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَمَشَيْتُ إِلَى عَلِيٍّ مُنْبِطًا مُبْطِئًا كَأَنَّمَا أَحْطُو عَلَيَّ أُمَّ رَأْسِي فَرَقَا مِنَ الْفِتْنَةِ وَ إِشْفَاقًا عَلَيَّ الْأُمَّه وَ حَذَرًا مِنَ الْفِرْقَةِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهِ فِي خَلَاءٍ فَأَبْتَثْتُهُ بَنِي كَلَّةٍ وَ بَرَنْتُ إِلَيْهِ مِنْهُ وَ دَفَعْتُهُ لَهُ فَلَمَّا سَمِعَهَا وَ وَعَاها وَ سَرَتْ فِي أَوْصَالِهِ حُمَيَّاها قَالَ حَلَّتْ مَعْلُوطَهُ وَ وَلَّتْ مَحْزُوطَهُ (٢) ثُمَّ قَالَ .

إِخْدَى لِيَالِيكَ فَهَيْسِي هَيْسِي

لَا تَنْعَمِي اللَّيْلَةَ بِالتَّعْرِيسِ (٣) .

يَا أَبَا عُبَيْدَةَ أَ هَذَا كَلَّةٌ فِي أَنْفُسِ الْقَوْمِ يَشْتَبِطُونَهُ (٤) وَ يَضْطَعُونُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَا جَوَابَ عِنْدِي إِنَّمَا جِئْتُكَ قَاضِيًا حَقَّ الدِّينِ وَ رَاتِقًا فَتَقَّ الْأِسْلَامَ (٥) وَ سَادًّا تَلَمَّهَ الْأُمَّه يَعْلَمُ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ جُلْجَلَانَ (٦) قَلْبِي وَ قَرَارِهِ نَفْسِي .

ص: ٢٨١

١-١) صبح الأعشى: «حينئذ».

٢-٢) المعلوطه: من الاعلواط؛ و هو ركوب الرأس، و التقحم على الأمور من غير رويه، و المخروطه: السريعه.

٣-٣) في اللسان ١٣٩:٨: «الهييس: السير؛ أى ضرب كان، و هاس يهيس هيسا: سار أى سير كان؛ حكاة أبو عبيده»، و روى البيت.

٤-٤) صبح الأعشى: «و يحسون به».

٥-٥) صبح الأعشى: «المسلمين».

٦-٦) الجلجلان: حبه القلب.

فَقَالَ مَا كَانَ قُعودِي فِي كَسْرِ هَذَا الْبَيْتِ قَصْداً لِخِلافٍ وَلَا إنْكاراً لِمَعْرُوفٍ وَلَا زَرَايَهَ عَلَيَّ مُسْلِمٍ بَلْ لَمَّا وَقَدَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ فِرَاقِهِ وَأَوْدَعَنِي مِنَ الْحُزَنِ لِفَقْدِهِ فَإِنِّي لَمْ أَشْهَدْ بَعْدَهُ مَشْهَداً إِلَّا جَدَّدَ عَلَيَّ حُزْناً وَ ذَكَرَنِي شَجْناً وَ إِنَّ الشُّوقَ إِلَى اللَّحَاقِ بِهِ كَافٍ عَنِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ وَ قَدْ عَكَفْتُ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ أَنْظُرُ فِيهِ وَ أَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْهُ رَجَاءً ثَوَابٍ مُعَدَّةً لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ وَ سَيَلَّمْ لِعِلْمِهِ وَ مَشَيْتُهُ أَمْرُهُ عَلَيَّ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ التَّظَاهُرَ عَلَيَّ وَاقِعٌ وَ لِي عَنِ الْحَقِّ الَّذِي سَبَقَ إِلَيَّ دَافِعٌ وَ إِذْ قَدْ أُفْعِمَ الْوَادِي لِي وَ حَشَدَ النَّادِي عَلَيَّ فَلَا مَرَحَباً بِمَا سَاءَ أَحِداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ فِي النَّفْسِ كَلَامٌ لَوْ لَا سَابِقُ قَوْلٍ وَ سَالِفُ عَهْدٍ لَشَفَيْتُ غَيْظِي بِخِصْمَتِي وَ بِنَصِيحَتِي وَ خُضْتُ لِحُجَّتِهِ بِأَحْمَصَتِي وَ مَفَرَقِي وَ لِكِنِّي مُلْجِمٌ إِلَى أَنْ أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَهُ أَحْتَسِبُ مَا نَزَلَ بِي وَ أَنَا غَادٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى جَمَاعَتِكُمْ وَ مُبَايَعٍ لِصَاحِبِكُمْ وَ صَابِرٌ عَلَيَّ مَا سَاءَ نَبِيٌّ وَ سَرَّكُمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَعِيدْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ فَقَصَيْصْتُ الْقَوْلَ عَلَيَّ غَرَّهُ وَ لَمْ أَنْتَرْكَ شَيْئاً مِنْ حُلُوهِ وَ مَرَّهُ ذَكَرْتُ (١) عُذُوهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمَّا كَانَ صَبَاحَ يَوْمِنِذٍ (٢) وَافَى عَلِيٌّ فَخَرَقَ الْجَمَاعَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَ بَايَعَهُ (٣) وَ قَالَ خَيْرًا وَ وَصَفَ جَمِيلاً وَ جَلَسَ زُمَيْنًا (٤) وَ اسْتَأْذَنَ لِلْقِيَامِ وَ نَهَضَ فَتَبِعَهُ عُمَرُ إِكْرَاماً لَهُ وَ إِجْلَالاً لِمَوْضِعِهِ وَ اسْتَبْطَأَ (٥) لِمَا فِي نَفْسِهِ وَ قَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِ فَأَخَذَ يَدَيْهِ وَ قَالَ إِنَّ عَصِيَابَهُ أَنْتَ مِنْهَا يَا أَبَا الْحَسَنِ لَمَعْصُومَةٌ وَ إِنَّ أُمَّهُ أَنْتَ فِيهَا لَمَرْحُومَةٌ وَ لَقَدْ أَصِيبَحَتْ عَزِيزاً عَلَيْنَا كَرِيماً لَعَدِينَا نَخَافُ اللَّهَ إِنْ سَخَطْتَ وَ نَرُجُوهُ إِذَا رَضِيَتْ وَ لَوْ لَا أَنِّي شُدْهُتُ لَمَّا أَجَبْتُ إِلَى مَا دُعِيتُ إِلَيْهِ وَ لِكِنِّي خِفْتُ

ص: ٢٨٢

١-١) صبح الأعشى،: «و بكرت».

٢-٢-٢) صبح الأعشى: «و إذا على مخترق الجماعة إلى أبي بكر رضی الله عنه، فبايعه».

٢-٢-٣) صبح الأعشى: «و إذا على مخترق الجماعة إلى أبي بكر رضی الله عنه، فبايعه».

٢-٢-٤) صبح الأعشى: «مستأثراً لما عنده».

الْفُرْقَةَ وَاسْتِثَارَ الْأَنْصَارِ بِالْأَمْرِ عَلَى قُرَيْشٍ وَ أَعَجَلْتُ عَنْ حُضُورِكَ وَ مُشَاوَرَتِكَ وَ لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا لَبَايَعْتُكَ وَ لَمْ أُعِيدْ بِكَ وَ لَقَدْ حَطَّ اللَّهُ عَنْ ظَهْرِكَ مَا أَثْقَلَ كَاهِلِي بِهِ وَ مَا أَسْعَدَ (١) مَنْ يَنْظُرُ اللَّهَ إِلَيْهِ بِالْكَفَايَةِ وَ إِنَّا إِلَيْكَ لَمُحْتَاجُونَ وَ بِفَضْلِكَ عَالِمُونَ وَ إِلَى رَأْيِكَ وَ هَدْيِكَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ رَاغِبُونَ وَ عَلَى حِمَايَتِكَ وَ حَفِيزَتِكَ مُعْوَلُونَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَ تَرَكَهُ مَعَ عُمَرَ .

فَالْتَفَتَ عَلَيَّ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا حَفِصُ وَ اللَّهُ مَا قَعِدْتُ عَنْ صَاحِبِكَ جَزَاءً عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ وَ لَا أَتَيْتُهُ خَائِفًا مِنْهُ وَ لَا أَقُولُ مَا أَقُولُ بَعْلَهُ (٢) وَ إِنِّي لَمَأَعْرِفُ مُسَيِّمِي طَرْفِي وَ مَحْطِي (٣) قَدَمِي وَ مَنْزَعَ قَوْسِي وَ مَوْقِعَ سَهْمِي وَ لَكِنِّي تَخَلَّفْتُ إِعْذَارًا إِلَى اللَّهِ وَ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ وَ أَتَيْتُ فَبَايَعْتُ حِفْظًا لِلدِّينِ وَ خَوْفًا مِنْ انْتِشَارِ أَمْرِ اللَّهِ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا أَبَا الْحَسَنِ كَفَيْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَ نَهْنَهُ (٤) مِنْ شِرَّتِكَ وَ دَعِ الْعَصَا بِلِحَائِهَا وَ الدَّلْوُ بِرِشَائِهَا فَإِنَّا مِنْ خَلْفِهَا وَ وَرَائِهَا إِن قَدْخْنَا أَوْرَيْنَا وَ إِن مَتَّخْنَا أُرْوَيْنَا وَ إِن قَرَّخْنَا أَدْمَيْنَا وَ قَدْ سَمِعْتُ أَمْثَالَكَ الَّتِي أَلْغَزْتَ بِهَا صَادِرَةً عَنْ صَدْرٍ دَوٍّ وَ قَلْبٍ جَوْزَعَمَتْ أَنْكَ قَعِدْتُ فِي كَسِيرِ بَيْتِكَ لِمَا وَهَدَّكَ بِهِ فِرَاقُ رَسُولِ اللَّهِ أ فِرَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَدَّكَ وَ حِيدَكَ وَ لَمْ يَقْدُ سِوَاكَ إِنَّ مُصَابَهُ لَمَأَعَزُّ وَ أَعْظَمُ مِنْ ذَاكَ وَ إِن مِنْ حَقِّ مُصِيبِهِ أَلَّا تَضِيءَ دَعِ شَمْلَ الْجَمَاعَةِ بِكَلِمَةٍ لَا عِصَامَ لَهَا فَإِنَّكَ لَتَرَى الْأَعْرَابَ حَوْلَ أَلْمَيْدِينَةِ لَوْ تَدَاعَتْ عَلَيْنَا فِي صُبْحِ يَوْمٍ لَمْ نَلْتَقِ فِي مَمْسَاهُ وَ زَعَمْتَ أَنَّ الشُّوقَ إِلَى اللِّحَاقِ بِهِ كَافٍ عَنِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ فَمِنَ الشُّوقِ إِلَيْهِ نُصِيرُهُ دِينَهُ وَ مُوَازَرَهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ وَ مُعَاوَنَتُهُمْ فِيهِ .

ص: ٢٨٣

١-١ (١) كذا في د، و في ب: «أسد».

٢-٢ (٢) صبح الأعشى: «تعله».

٣-٣ (٣) صبح الأعشى: «منتهى طرفي و محط قدمي».

٤-٤ (٤) صبح الأعشى: «و استوقف من سربك».



وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُكِبٌّ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ تَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْهُ فَمِنَ الْعُكُوفِ عَلَى عَهْدِهِ النَّصِيحَةُ لِعِبَادِهِ وَالرَّأْفَةُ عَلَى خَلْقِهِ وَأَنْ تَبْدُلَ مِنْ نَفْسِكَ مَا يَصِلُحُونَ بِهِ وَيَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَزَعَمْتَ أَنَّ التَّظَاهَرَ عَلَيْكَ وَاقَعَ أَيُّ تَظَاهَرَ وَقَعَ عَلَيْكَ وَأَيُّ حَقِّ اسْتِثْنَاءٍ بِهِ دُونَكَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا قَالَتِ الْأَنْصَارُ أَمْسَ سِرًّا وَجَهْرًا وَمَا تَقَلَّبْتَ عَلَيْهِ ظَهْرًا وَبَطْنًا فَهَلْ ذَكَرْتِكَ أَوْ أَشَارْتَ بِكَ أَوْ طَلَبْتَ رِضَاهَا مِنْ عِنْدِكَ وَهَوْلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ مِنْهُمْ إِنَّكَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ أَوْ أَوْمَأَ إِلَيْكَ أَوْ هَمَّهِمْ بِكَ فِي نَفْسِهِ أَتَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ ضُنُّوا مِنْ أَجْلِكَ أَوْ عَيَّادُوا كُفْرًا زُهَيْدًا فِيكَ أَوْ بَاعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَوَاهُمْ بُغْضًا لَكَ وَ (١) لَقَدْ حَيَّيْنِي قَوْمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا إِنَّ عَلِيًّا يَنْتَظِرُ الْإِمَامَةَ (٢) وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَوْلَى بِهَا مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِمْ وَرَدَدْتُ الْقَوْلَ فِي نُحُورِهِمْ حَتَّى قَالُوا إِنَّهُ يَنْتَظِرُ الْوَحْيَ وَيَتَوَكَّفُ (٣) مُنَاجَاةَ الْمَلِكِ فَقُلْتُ ذَاكَ أَمْرٌ طَوَّاهُ اللَّهُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ع. وَ مِنْ أَعْجَبِ شَأْنِكَ قَوْلُكَ لَوْ لَا سَابِقُ قَوْلٍ لَشَفَيْتُ غَيْظِي بِخُنْصِرِي وَ بِنَصْرِي وَ هَلْ تَرَكَ الدِّينَ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِيَدِهِ أَوْ لِسَانِهِ تِلْكَ جَاهِلِيَّةٌ اسْتِئْصَلَ اللَّهُ شَأْفَتَهَا وَ اقْتَلَعَ جُرْثُومَتَهَا وَ نَوَّرَ لَيْلَهَا وَ عَوَّرَ سَيْلَهَا وَ أَبْدَلَ مِنْهَا الرُّوحَ وَ الرَّيْحَانَ وَ الْهَدَى وَ الْبُرْهَانَ.

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُلْجَمٌ فَلَعَمْرِي إِنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَ آثَرَ رِضَاهُ وَ طَلَبَ مَا عِنْدَهُ أَمْسَكَ لِسَانَهُ وَ أَطْبَقَ فَاهَهُ وَ غَلَبَ عَقْلَهُ وَ دِينَهُ عَلَى هَوَاهُ.

وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّي لَمَأْغُوفٌ مَنَزَعٌ قَوْسِي فَإِذَا عَرَفْتَ مَنَزَعٌ قَوْسِيكَ عَرَّفَكَ غَيْرَكَ مَضْرَبَ سَيْفِهِ وَ مَطْعَنَ رُمْحِهِ وَ أَمَّا مَا تَزْعُمُهُ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص لَكَ فَتَخَلَّفْتَ إِغْدَارًا إِلَى اللَّهِ وَ إِلَى الْعَارِفِ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَوْ عَرَفَهُ الْمُسْلِمُونَ

ص: ٢٨٤

١ - ١ - ١) صبح الأعشى: (لقد جاءني عقيل بن زياد الخزرجي في نفر من أصحابه، و معهم شرحبيل بن يعقوب الخزرجي، و قالوا: إن عليا ينتظر الإمامه).

٢ - ١ - ١) صبح الأعشى: (لقد جاءني عقيل بن زياد الخزرجي في نفر من أصحابه، و معهم شرحبيل بن يعقوب الخزرجي، و قالوا: إن عليا ينتظر الإمامه).

لَجَنَحُوا إِلَيْهِ وَ أَضِيفُوا عَلَيْهِ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى الْعَمَى وَ لَا لِيَضْرِبَهُمْ بِالصَّبَا بَعْدَ الْهُدَى وَ لَوْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَ فِيكَ رَأَى وَ عَلَيْكَ عَزْمٌ نَعَمَ بَعَثَهُ اللَّهُ فَرَأَى اجْتِمَاعَ أُمَّتِهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ لَمَّا سَفَّهَ آرَاءَهُمْ وَ لَا- ضَلَّلَ أَخْلَامَهُمْ وَ لَا- آثَرَكَ عَلَيْهِمْ وَ لَا أَرْضَاكَ بِسَخَطِهِمْ وَ لَأَمَرَكَ بِاتِّبَاعِهِمْ وَ الدُّخُولِ مَعَهُمْ فِيمَا ارْتَضَوْهُ لِدِينِهِمْ.

فَقَالَ عَلِيُّ مَهْلًا أَبَا حَفْصٍ أَرَشَدَكَ اللَّهُ حَفْصُ عَلَيْنِكَ مَا يَذَلُّتُ مَا يَذَلُّتُ وَ أَنَا أُرِيدُ عَنْهُ حَوْلًا وَ إِنَّ أَحْسِرَ النَّاسِ صَيْفَقَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ اسْتَبَطَنَ النِّفَاقَ وَ احْتَضَنَ الشَّقَاقَ وَ فِي اللَّهِ خَلْفٌ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ وَ عَوْضٌ مِنْ كُلِّ ذَاهِبٍ وَ سَلْوَةٌ عَنْ كُلِّ حَادِثٍ وَ عَلَيْهِ التَّوَكُّلُ فِي جَمِيعِ الْحَوَادِثِ ارْجِعْ أَبَا حَفْصٍ إِلَى مَجْلِسِكَ نَاقِعِ الْقَلْبِ مَبْرُودِ الْغَلِيلِ فَصِيحِ اللِّسَانِ رَحْبِ الصَّدْرِ مُتَهَلِّلِ الْوَجْهِ فَلَيْسَ وَرَاءَ مَا سَمِعْتَهُ مِنِّي إِلَّا مَا يَشُدُّ الْأَزْرَ وَ يُحْبِطُ الْوِزْرَ وَ يَضَعُ الْإِضْرَ وَ يَجْمَعُ الْأَلْفَةَ وَ يَرْفَعُ الْكُلْفَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَانصَرَفَ عُمَرُ إِلَى مَجْلِسِهِ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَلَمْ أَسْمَعْ وَ لَمْ أَرَ كَلَامًا وَ لَا مَجْلِسًا كَانَ أَضْعَبَ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ وَ الْمَجْلِسِ (١)

قلت الذى يغلب على ظنى أن هذه المراسلات و المحاورات و الكلام كله مصنوع موضوع و أنه من كلام أبى حيان التوحيدى لأنه بكلامه و مذهبه فى الخطابه و البلاغه أشبه و قد حفظنا كلام عمر و رسائله و كلام أبى بكر و خطبه فلم نجدهما يذهبان هذا المذهب و لا يسلكان هذا السبيل فى كلامهما و هذا كلام عليه أثر التوليد ليس يخفى و أين أبو بكر و عمر من البديع و صناعه المحدثين و من تأمل كلام أبى حيان عرف أن

ص: ٢٨٥

١- (١) الخبر فى صبح الأعشى ١: ٢٣٧- ٢٤٧ و نهايه الأرب ٧: ٢١٣- ٢٢٩، و محاضره الأبرار ١٠٢: ٢- ١١٥، و نشره إبراهيم الكيلانى مع رسالتين لأبى حيان فى دمشق ١٩٥١.

هذا الكلام من ذلك المعدن خرج و يدلّ عليه أنّه أسنده إلى القاضي أبي حامد المروروذى (1) و هذه عادته في كتاب البصائر يسند إلى القاضي أبي حامد كل ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه إذا كان كارها لأن ينسب إليه و إنّما ذكرناه نحن في هذا الكتاب لأنّه و إن كان عندنا موضوعا منحولا فإنّه صوره ما جرت عليه حال القوم فهم و إن لم ينطقوا به بلسان المقال فقد نطقوا به بلسان الحال.

و ممّا يوضح لك أنّه مصنوع أن المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة و الشيعة و الأشعريه و أصحاب الحديث و كل من صنّف في علم الكلام و الإمامه لم يذكر أحد منهم كلمه واحده من هذه الحكاياه و لقد كان المرتضى رحمه الله يلتقط من كلام أمير المؤمنين ع اللفظه الشاذه و الكلمه المفرده الصادره عنه ع في معرض التأمّل و التظلم فيحتج بها و يعتمد عليها نحو

٢٤٥٠

قَوْلِهِ

مَا زِلْتُ مَظْلُومًا مُذْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا .

و

٢٤٥١

قَوْلِهِ

لَقَدْ ظَلِمْتُ عَدَدَ الْحَجَرِ وَالْمَدْرِ .

و

٢٤٥٢

قَوْلِهِ

إِنَّ لَنَا حَقًّا إِنْ نُعْطَهُ نَأْخُذَهُ وَإِنْ نُمْنَعُهُ نَرْكَبُ أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ السُّرَى .

و

٢٤٥٣

قَوْلِهِ

فَصَبْرْتُ وَ فِي الْحَلْقِ شَجًّا وَ فِي الْعَيْنِ قَدَى .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي حَقًّا وَغَضَبُونِي إِزْثِي .

و كان المرتضى إذا ظفر بكلمه من هذه فكأنما ظفر بملك الدنيا و يودعها كتبه و تصانيفه فأين كان المرتضى عن هذا الحديث و هلا ذكر في كتاب الشافى فى الإمامه

ص: ٢٨٦

---

١ - ١) هو أحمد بن عامر بن بشر بن حامد أبو حامد المرووذى؛ أحد فقهاء الشافعية؛ ترجم له ابن خيطان ١: ١٨، ١٩: توفى سنه

٣٦٢.

كلام أمير المؤمنين ع هذا و كذلك من قبله من الإماميه كابن النعمان و بنى نوبخت و بنى بابويه و غيرهم و كذلك من جاء بعده من متأخري متكلمي الشيعة و أصحاب الأخبار و الحديث منهم إلى وقتنا هذا و أين كان أصحابنا عن كلام أبي بكر و عمر له ع و هلا ذكره قاضى القضاة فى المغنى مع احتوائه على كل ما جرى بينهم حتى أنه يمكن أن يجمع منه تاريخ كبير مفرد فى أخبار السقيفة و هلا ذكره من كان قبل قاضى القضاة من مشايخنا و أصحابنا و من جاء بعده من متكلمينا و رجالنا و كذلك القول فى متكلمي الأشعريه و أصحاب الحديث كابن الباقلانى و غيره و كان ابن الباقلانى شديدا على الشيعة عظيم العصبيته على أمير المؤمنين ع فلو ظفر بكلمه من كلام أبي بكر و عمر فى هذا الحديث لمأ الكتب و التصانيف بها و جعلها هجيرا و دأبه.

و الأمر فيما ذكرناه من وضع هذه القصة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق من علم البيان و معرفه كلام الرجال و لمن عنده أدنى معرفه بعلم السير و أقل أنس بالتواريخ .

قوله ع مودع لا قال و لا مبغض و لا سئم أى لا ملول سئمت من الشىء أسأم سأما و سآما و سآمه سئمته إذا مللته و رجل سئوم.

ثم أكد ع هذا المعنى فقال إن انصرفت فلا عن ملاله و إن أقمت فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين أى ليست إقامتى على قبرك و جزعى عليك إنكارا منى لفضيله الصبر و التجلّد و التعزى و التأسى و ما وعد الله به الصابرين من الثواب بل أنا عالم بذلك و لكن يغلبنى بالطبع البشرى.

٢٤٥٥

و روى أنّ فاطمة بنت الحسين ع ضربت فسطاطاً على قبرِ بعلها الحسنِ

ص: ٢٨٧

بْنِ الْحَسَنِ عَ سَدِّهِ فَلَمَّا انْقَضَتِ السَّنَةُ قَوَّضَتِ الْفُسَيْطَاطُ رَاجِعَةً إِلَى بَيْتِهَا فَسَمِعَتْ هَاتِفًا يَقُولُ هَلْ بَلَّغُوا مَا طَلَبُوا فَأَجَابَهُ هَاتِفٌ آخَرٌ  
بَلْ يَيْسُوا فَاَنْصَرَفُوا.

و

٢٤٥٦

١,١٥- ذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِهِ الْكَامِلِ أَنَّهُ عَ تَمَثَّلَ عِنْدَ قَبْرِ فَاطِمَةَ ذَكَرْتُ أبا أَرْوَى فَبِتُّ كَأَنِّي وَ النَّاسُ  
يَرَوْنَهُ وَإِنَّ افْتِقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدَ .

ص: ٢٨٨

١٧٥- و من كلام له عليه السلام فى معنى طلحه بن عبيد الله ٣

١٧٦- من خطبه له عليه السلام فى ذم الغافلين ١٠

١٧٧- من خطبه له عليه السلام يحذر فيها من متابعه الهوى، ثم يبين منزله القرآن و يطلب متابعته، ثم يحث على الطاعة و حفظ اللسان ١٦-٣٣

١٧٨- من كلام له عليه السلام فى معنى الحكيم ٥٥

- من خطبه له عليه السلام يمجد فيها الله ثم يحذر من الدنيا، و يذكر أن زوال النعم من سوء الفعال ٥٨-٦١

١٨- من كلام له عليه السلام فى تنزيه الله سبحانه، و قد سأله ذعلب اليماني: هل رأيت ربك؟ ٦٤؟

١٨١- من كلام له عليه السلام فى ذم أصحابه ٦٧

١٨٢- من كلام له عليه السلام فى ذم قوم نزعوا للحاق بالخوارج ٧٤

١٨٣- من خطبه له فى تنزيه الله و ذكر آثار قدرته، ثم التذكير بما نزل بالسابقين، ثم أظهر أسفه على إخوانه الذين قتلوا بصفين مع ذكر بعض أوصافهم ٧٦-١٠٦

١٨٤- من خطبه له عليه السلام فى تعظيم الله و تمجيدته، و ذكر القرآن و ما احتوى عليه، ثم بيان منزله الإنسان فى الدنيا و التخويف من عذاب الآخرة ١١٣-١٢٣

ص: ٢٨٩

١٨٥- من كلام له عليه السلام فى ذمّ البرج بن مسهر الطائى ١٣٠

١٨٦- من كلام له عليه السلام فى وصف المتقين ١٣٢-١٤٩

١٨٧- من خطبه له عليه السلام يصف فيها المنافقين ١٦٤، ١٦٣

١٨٨- من خطبه له عليه السلام فى تمجيد الله و ذكر بعض صفاته ١٧١، ١٧٠

١٨٩- من خطبه له عليه السلام يعظ فيها الناس و يحث على العمل الصالح قبل فوات الأوان ١٧٦

١٩٠- من خطبه له عليه السلام يذكر فيها مواقفه من الرسول صلى الله عليه و سلم ١٧٩

١٩١- من خطبه له عليه السلام، فيها تمجيد لله و تعظيم له، و حث للناس على التقوى، و وصف للإسلام و حال الناس قبل البعثة

١٨٨-١٩٩

١٩٢- من كلام له عليه السلام يوصى أصحابه ٢٠٣، ٢٠٢

١٩٣- من كلام له عليه السلام فى شأن معاوية ٢١١

١٩٤- من كلام له عليه السلام فى الوعظ، و فيه استطراد لقصه صالح عليه السلام ٢٦١

١٩٥- من كلام له عليه السلام عند دفن سيده النساء فاطمه عليها السلام ٢٦٥

ص: ٢٩٠



فهرس الموضوعات (١)

فصل فى ذكر بعض أقوال الغلاه فى على عليه السلام ١١، ١٠

جمله من أخبار على بالأمور الغيبه ١٣-١٥

فصل فى القرآن و ذكر الآثار التى وردت بفضله ٢٠-٢٤

فصل فى الآثار الوارده فى شديد عذاب جهنم ٣٥-٣٧

فصل فى العزله و الاجتماع و ما قيل فىهما ٣٧-٤٢

فوائد العزله ٤٢-٥٤

كتاب معاويه إلى عمرو بن العاص و هو على مصر ٥٧، ٥٦

نوف البكالى ٧٧، ٧٦

نسب جعه بن هبیره ٧٧-٧٩

نسب العمالقه ٩٤، ٩٣

نسب عاد و ثمود ٩٤

نسب الفراعنه ٩٤-

نسب أصحاب الرس ٩٥، ٩٤

عمار بن ياسر و نبذ من أخباره ١٠٢-١٠٧

ذكر أبى الهيثم بن التيهان و طرف من أخباره ١٠٨، ١٠٧

ترجمه ذى الشهادتين خزيمه بن ثابت ١٠٩، ١٠٨

ص: ٢٩١

ذكر سعد بن عباده و نسبه ١١١،١١٢

ذكر أبى أيوب الأنصارى و نسبه ١١٢

نبد و أقاويل فى التقوى ١٢١،١٢٢

طرف و أخبار ١٢٥،١٢٦

خطبه لأبى الشخباء العسقلانى ١٢٦،١٢٧

رأى للمؤلف فى كتاب نهج البلاغه ١٢٨،١٢٩

فصل فى فضل الصمت و الاقتصاد فى المنطق ١٣٦،١٣٨

ذكر الآثار الواردة فى آفات اللسان ١٣٨-١٤١

ذكر الخوف من الله و ما ورد فيه من الآثار ١٤٦،١٤٧

ذكر بعض أحوال العارفين ١٦١

ذكر خبر موت الرسول عليه السلام ١٨٣-١٨٦

فصل فى ذكر الآثار الواردة فى الصلاه و فضلها ٢٠٥-٢٠٨

ذكر الآثار الواردة فى فضل الزكاه و التصدق ٢٠٨-٢١٠

سياسه على و جريها على سياسه الرسول عليه السلام ٢١٣،٢١٢

كلام أبى جعفر الحسنى فى الأسباب التى أوجبت محبه الناس لعلى عليه السلام ٢٢٣-٢٢٧

سياسه على و إيراد كلام للجاحظ فى ذلك ٢٢٧-٢٣١

ذكر أقوال من طعن فى سياسه على و الرد عليها ٢٣٢-٢٦٠

قصه صالح و ثمود ٢٦٢-٢٦٤

ما رواه أبو حيان التوحيدى فى قصه السقيفه ٢٧١-٢٨٨



































































































بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة



نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩